

بائے فخر

ایمان و محبت و شہادت
الذکر و الرحمة و الحساب و العاقبة

تأليف
کرافٹس ڈو موسیقیان



ریاحین

www.lilas.com

بادئة الحبر



تجري أحداث الرواية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهي الفترة التي برزت فيها الروايات الشعبية التي كانت تنشر على حقائق بهدف جذب أكبر عدد من قراء الصحيفة التي كانت تلحقها في قبل كل عدد من أعدادها. وكانت «بادئة الحبر» الرواية الأكثر رواجا من بين الروايات المعاصرة، بحيث عرفت طريقها بعد إقبال القراء عليها إلى المسرح والمسرحيات والشعر.

شخصيات الرواية كما رسمها ذو موشان تتنازعها هواطب تشلي، هي هواطب إنسانية تنطق بالشاعر والأحاديث تستعطر الماضي سعياً وراء كشف الحقيقة التي تبقى غلبة الإنسان.

إنها حالة من المشاعر المتداخلة تتراوح بين الموت والحياة، الإخلاص والإنقاذ، الحب والكراهية، والبأس والأمل، وهي تلك المشاعر التي راحت في روايات القرن التاسع عشر، والتي جعلت بها صنعت تلك الحلقة من الزمان.



كزالييه دومونتيان

١٨٢٣ - ١٩٠٢

وُلد كزالييه في أبرمونت بهوتلون عام ١٨٢٣ ، وتوفي في باريس عام ١٩٠٢ : كاتب فرنسي ، ومؤلف روايات متسلسلة ومأساة شعبية ، نشر عام ١٨٦٢ حلقات مسلسل روايات جديد بعنوان «طبيب الفقراء» لاقى رواجاً قطع النظر . نال شهرة واسعة كروائي شعبي إضافة إلى أنه كان مؤلف رواية كانت الأكثر مبيعاً في القرن التاسع عشر «بالصة الخبيرة» صدرت عام ١٨٨٩ ، واقتُبست بالنوادي في المسرح والسينما والتلفزيون .

من أهم مؤلفاته :

- بالصة الخبز La porteuse de pain .
- فرسان لانسكوت Les chevaliers du Lansquenai .
- عربة جياذ الرقم ١٣ 13 Le Fiacre n° 13 .
- بنات السعوط Les filles du saltimbanque .
- فتيات الجبس les filles de plâtre .
- طبيب الفقراء Le médecin des pauvres .
- مقبرة السيدات Breton de dames .
- سمو الحب Son altesse l'amour .
- الأمير توتور Le prince Totor .
- كبريتيك الزواج le vitriol .
- الأخت سوزان Sœur Suzanne .

كزالييه دومونتيان

□ جوهر القصر الملكي La perle du Palais Royal .

وقد برزت الرواية «التسلسلة» مع بدايات تطور الصحافة في القرن التاسع عشر، وخصوصاً أنَّ الغاية منها كانت للترفية المادية لأصحاب الصحف الذين كانوا يودون جذب جمهور كبير مخلص. سميت بهذا الاسم لأنها كانت تظهر على حلقات في ذيل الصحيفة، حيث تشكل رواية تاريخية أو قصة عادات وتقاليد.

وقد أصبح تطور الكتاب الشعبي شيئاً فنيئاً بالياً ومن الماضي. وفي جملة الروايات التسلسلة يمكننا ذكر بلزاك، وجورج صند، وبصورة خاصة أوجون سكو (أسرار باريس، ١٨٤٢ - ١٨٤٣)، وألكندر دوما (الكونت دو مونت كريستو، ١٨٤٤)، وبول فيفال (أسرار لندن)، وبونسون دو تيراي (روكاسبول)، وإيضاكو (بارديان)، وإميل غابوريو، وغاستون لورو، ومرويس لوبلان، وهوستاف لوردوج.

وإذا كانت الرواية التاريخية تحظى بحصة الأسد، فإن العرق العاطفي (دليلي)، والمهرج والشرطي ستتطور جميعاً حتى الثلث الأول من القرن العشرين.



- اعترافات مُشرَّد Confessions d'un bohème
 - عميل الشرطة L'agent de police
 - وردة في المزادات Une fleur aux enchères
 - حورية البحر La sirène
 - عيشة الماضي Les viveurs d'autrefois
 - متنزَّه الغليبات Le parc aux biches
 - تجارة الرقيق الأبيض La traite des blanches
 - دمي السيدة لودبايل Les pantins de Madame Le Diable
 - الأكة ميالي Mamanella Mélie
 - بدايات نجمة Les débuts d'une étoile
 - الوصية الحمراء Le testament rouge
 - الصغيرة المحبة Mignonne - Marâtre
 - الأم الشرسة ابنة المجنون La fille du fou
 - زواج لاسكار Le mariage de Lascars
 - قراصنة نهر السين Les pirates de la Seine
 - ساحرة الصفصاف La fée des saules
 - الجائزة الكبرى Le gros lot
 - المشوق (مأساة) Le pendu (roman dramatique)
 - ابن عائلة Un fils de famille
 - المعرفة : لوبارون البيضاء La voyante: Blanche Vaubaron
 - اقتناص الميداليات La chasse aux médailles
 - آخر سلالة كورتناي Le dernier des Courtenay
- وتجدر الإشارة إلى أنَّ روايته «فتيات الحبس» أثارت فضيحة أدبيـة بسببها. وقد اتبس عديدون رواياته مسرحيات ناجحة.

شخصيات الرواية

جان فورتييه : أرملة لها ولدان ، قُتل زوجها في أثناء أثنائه عمله في مصنع ، حينها صاحب المصنع «بوابة» لتكسب قوتها وقوت ولديها .

جول لابرو : صاحب المصنع ، توفيت زوجته وتركته كطفل يدي لوسيان .

جياك جارود : مدير مصنع لابرو ، كان صديق زوج جان ، وكان يعرض الزواج على جان بعد مقتل زوجها .

لوسي : ابنة جان ، كانت أمها قد أسلمتها إلى مريض منذ طفولتها .

جورج : ابن جان ، عُرف باسم جورج داريه (نسبة إلى عائلة المرأة التي رثته صغيراً) .

بول هرمان : الاسم الذي اتخذه جياك جارود ، وهو اسم عامل في المصنع كان توفي في المستشفى .

أوليفر سوليفر : ابن خالك بول هرمان المتوفى .

ماري : ابنة بول هرمان (جياك) وحفيدة ليومي مورتييه .

إيتين : رسام ، صديق الكاهن الذي قتل جورج فورتييه .

لوسيان : ابن جول لابرو .

غريمي : مريض لوسي فورتييه .

أماندا : عاملة في مشغل الخياطة أوجستين .

أوجستين : صاحبة مشغل الخياطة الذي تعمل فيه لوسي .

ليزا بيرين : الاسم الذي اتخذه جان فورتييه بعد قرأها .

الكوت دي ريس : اسم اتخذه أوليفر سوليفر

تجري أحداث الرواية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وهي الفترة التي برزت فيها الروايات الشعبية التي كانت تنشر على حلقات بهدف جذب أكبر عدد من قراء الصحيفة التي كانت تلحقها في قيل كل عدد من أعدادها . وكانت «هاتمة الخبز» الرواية الأكثر رواجاً من بين الروايات المعاصرة ، بحيث عرفت طريقها بعد إقبال القراء عليها إلى المسرح والسينما والتلفزيون .

جان فورتييه سيئة لها حظ من الجمال قضى زوجها في أثناء قيامه بعمله في مصنع المهندس الميكانيكي جول لابرو ، ما اضطر جول إلى جعلها بوابة لمصنعه إكراماً لذكرى زوجها ومساعدة لها في تربية ولديها جورج ولوسي .

أولكت جان أمر رعاية لوسي إلى مريض كانت تجري عليها مبلغاً من المال في آخر كل شهر ، فيما راحت هي تعني بالصغير جورج ابن السنين الثلاث .

أحب جياك جارود - مدير المصنع - جان حباً جارلاً ، وطلب يدها بعد وفاة زوجها ، ولكنها رفضت وفاء لمهد قطعت على نفسها . وظن جياك أن المال هو العائق الذي يحول دون قبولها به زوجاً ، فأعصر في نفسه أن يحصل على ثروة كبيرة تجعلها تقبل الاقتران به . يتوصل صاحب المصنع إلى «اختراع» جديد يمكن أن يدر عليه مالاً وفيراً ، وفي خطوة منه لإحجاز هذا الاختراع يطلب إلى جياك جارود مساعدته في تطويره وإخراجه .

يجد جياك في هذا الاختراع الفرصة - الأمل التي كان ينتظرها ويمتني النفس بها - ويصادف في الوقت نفسه أن جول صاحب المصنع يهتد جان بالطرد لخطأ اقترفته في أثناء قيامها بحراسة باب المصنع .

استعدّ جاك لتنفيذ الخطة التي رسمها وحشد وقتها ، وبعث برسالة إلى جان يقيدها فيها أنه سيشرى قريباً وأنه يطلب إليها موافقته في مكان حدّده لها ليتزوجا ويرحلا عن فرنسا ، وتقرأ جان الرسالة ثم ترمي بها لوطياً وتقرّر عدم موافقته .

بضرب جاك خمرته فيسرق مال صاحب المصنع المودع في الخزانة ، ويحرق المصنع ، ويقتل جول ويقرّ هارباً .

لتتهم جان بالجرائم الثلاث ، بفعل تهديدها لصاحب المصنع الذي كان قرّر طردها ، وتسجن فيها كان الناس يظنون أن جاك قضى ضحية شهادته في إنقاذ جول صاحب المصنع .

ينقطع المال عن مريض لوسي بعد سجن جان ، فتضطر المریض إلى إبداع لوسي الملجأ ، بينما يتولى رعاية جورج الصغير كاهن البلدة وأخته التي تمنّيه اسم عائلتها بعد وفاتها .

يفرّ جاك جارود من فرنسا إلى أميركا متحلاً اسم عامل قضى في المستشفى ، كان يعمل في مصنع لابرو اسمه بول هرمان ، وعلى متن السفينة التي نقلته يتعرّف إلى لويد سوليفر (ابن خال بول هرمان المتوّلّى) .

وعلى متن السفينة أيضاً يتعرّف جاك (بول هرمان المزعوم) إلى الأميركي مورتيمر وابته . ومورتيمر ثري كبير وصاحب مصنع للصلل ، وينتهي التعارف بزواج بول من ابنة مورتيمر وتضم بشراسة تجعله من أغنى الأغنياء .

وفي فرنسا تخفي جان عضوة السجن المؤبد - تبعها لوتة جنون تُسبها ماضيها - ويصبح ابنها جورج محلياً مشهوراً ، بينما تصبح لوسي ابنتها خياطة في مشغل لحفكة السيدة ألغسيتين .

يتعرّف لوسي إلى لوسيان لابرو - ابن الضحية - فيتحابان ويخططان لزواج سعيد .

ويفتح جورج (داريه) مكتب محاماة له في العاصمة باريس . وتشاء المصادفة أن تعود جان إلى رعيها بعد سنين طويلة ، وتخطّط وتهرب في محاولة منها للبحث عن ولديها ، مؤمنة ببراءتها ، واثقة من أن جاك (الضحية المقترضة من قبل الشرطة) هو معترف الجرائم الثلاث ، وكانت قبل فرارها بعيد الحادثة الفاجعة قد رأيت جاك يقتل جول صاحب المصنع ، ولكن دون دليل يوثق زعمها ، وما كان الدليل إلا الرسالة التي بعث بها إليها قبل يوم من إحراق المصنع وقتل صاحبه .

مضت أحداث مؤلة وثقلها أحداث مفاجئة : لوسيان لابرو (ابن الضحية) يقع في حب لوسي (ابنة الجانيّة) وكل منهما لا يعرف الحقيقة .

جورج داريه المحامي لا يعرف أن لوسي شقيقته ، وهو صاحب لوسيان خطيبها .

ويعود جاك جارود (بول هرمان) إلى فرنسا نزولاً عند رغبة ابنته المريضة ماري (بعد وفاة والدتها) . ويتشّى مصناً جديداً !

لم تجد جان ولديها فتعمل بالعمة خبز متحلة اسم إيزا بيرين . وتتعرّف بالعمة الخبز على لوسي . . .

ويتعرّف لوسيان لابرو إلى ماري هرمان (ابنة جاك) . . . وتبدأ الحقائق تتكشف . . . ومعها تتلاحق المفاجآت . . .

ماري ابنة القتال تقع في حب لوسيان (ابن القتل) . لوسي تحب لوسيان (ابنة القاتلة المقترضة تحب ابن القتل) .

جان تصيح قريبة من لوسي ولا تعرف بعد أنها ابنتها .

وجورج يجتمع بجان (ليزا) دون أن يعرف أنها أمه .

وجاك (بول هرمان) يعرف أخيراً أن جان هربت من السجن .

وتشابهك الأحداث ... ويبرز أوليفر سوليفر ابن خال جاك جارود

(بول هرمان) كأداة لتصفية جان ولوسي . . .

لما هو مصير جان بعد أن قود جاك قتلها وقتل ابنتها لوسي . .

الأولى كي لا تنسى به ، والثانية بهدف لإزاحتها من طريق ابنته ماري

التي تحب لوسيان لا يرو . .

لماذا أركل بول هرمان (جاك) إدارة مصنعته الجديد إلى ابن

الرجل الذي كان طمعية فخره؟

كل هذه التساؤلات وما يستتبعها من مفاجآت ومواقف اليمه

يتركها المؤلف كزائفيه در مونتبان إلى نهاية الرواية دون أن يشر

القارئ بفرب جلاء عواطف ما يجري .

فهل يلحق أوليفر سوليفر في القضاء على جان؟

هل الموت لوسي فيتاح لماري الزواج بلوسيان؟

وهل ينعم جاك (بول هرمان) بتراته بعد القضاء على جان الشاهد

الوحيد على جرائمه؟

وتبقى الرسالة التي قيل إن النار التهمتتها يوم إحراق المصنع . .

فهل تظهر كدليل على برامة جان؟

•

شخصيات الرواية كما رسمها دو مونتبان تتأزعا عواطف شتى ،

هي عواطف إنسانية تنبض بالشاعر والأحاديث تنحضر الماضي

سعيًا وراء كشف الحقيقة التي تبقى غاية الإنسان :

فجان فورتيه تتأزعا عاطفة الأمومة والوفاء للذكرى زوج أحببت

والأمل في العثور على ولديها بعد سنين طويلة قضتها في البحث

عنهما . بينما تتأزعا جاك جارود سلطة المال وحبه تلك امرأة بهيم

بها ، وهو حب دفع به إلى ارتكاب جريمة ثلاثية أضطر بسببها إلى

إصااق التهمة بالمرأة التي أحب . وحين تفتح الدنيا له ذراعها بتملكه

حزن الأب على ابنته الوحيدة المريضة ، والتي من أجل إسماعها

سعى إلى الخلاص من الفتاة التي تنافسها في حب الشاب الذي رأت

فيه فارس أحلامها . والواقع أن جاك هذا نفس على حياة المرأة التي

أحبها ، وحاول بالتالي قتل ابنتها حباً بابته .

إنها حالة من المشاعر المتداخلة تتأزعا بين الموت والحياة ،

الإخلاص والانتقام ، الحب والكراهية ، واليأس والأمل ، وهي تلك

للمشاعر التي واجت في روايات القرن التاسع عشر ، والتي حفلت بها

صحف تلك الحقبة من الزمان .

القسم الأول

الحريق

- ١ -

كان ذلك في عام ١٨٦١ . وفي يوم من أيام أيلول / سبتمبر القارسة الباردة .

وفي الساعة الثالثة بعد ظهر ذلك اليوم . . وفي شارع الفورت في مدينة الفورنغيل . . كانت امرأة تسير وعليها ثياب الحداد السوداء . . بسيطة الهندام ولكن في بساطتها أناقة لا تخطئها العين .

وكانت تبدو جميلة . . ولكنه جمال فيه من الحنان أضعاف ما فيه من الفتنة . . جمال تتجسد فيه الرفاعة أكثر مما تبرز منه الرشاقة .

وكان شعرها الذهبي يسدل على منكبيها في جدائل طويلة خفيفة . . وفوق جبينها الوضاء انحدت خصلاته في حلقات ملتوية فاتنة .

ولكن على رغم هذا فأنك حين تتأمل عينا الجميلتين تقرأ فيهما آية من آيات الحزن . . وفي ثيابا وجهها تشيع سحابة من الاكئاب . . كأن بين الحنايا همأ دفيناً .

وكانت تمسك بيدها اليمنى آية من الزنك . . أما اليسرى فكانت آخذة بيد طفل في الثالثة من العمر .

في إثر الأم كان الطفل يسير بخطوات بطيئة متساهلة . . يجبر خلفه جواداً مصنوعاً من الخشب والورق المقوى .

وتعثر الجواد وانقلب على جنبه .

وهتف الطفل بالأم يستعملها ويستوقفها .

وكانت تلك هي المرة الرابعة أو الخامسة التي استعمل الطفل فيها أمه في خلال الدقائق القليلة الأخيرة .

وبصوت وديع تيمت خبرته بالحنان قالت الأم :

- احمل جوادك يا عزيزي فإن الطريق أمامنا طويل شاق .

- نعم يا ماما .

وحمل الصغير حصانه الخشي وسار إلى جوار أمه وهو يوسع الخطى على قدر طاقته .

وأخيراً .. حين انتهى بها الطريق إلى الدور الفاتمة خرجت على حائوت للبقالة . فبرزت إلى استقبالها من إحدى الغرف الداخلية امرأة بدنية . هي صاحبة الحائوت .

وقالت صاحبة الحائوت :

- أهذه أنت يا سيدي فورتييه ! طاب يومك ! أهة لخدمة أسدي إليك ؟

- أريد زيت بتروول من فضلك .

وبدت أمارات الدهش في وجه المرأة البدنية وهتعت :

- زيت بتروول ! مرة أخرى ؟ عجباً . وما صنعت بما اشترته بالأمس ؟

فأجابت السيدة فورتييه :

- قلب ابني الإناة وهو يلعب فسأل ما فيه .

- آه ! ذاك إذاً هو السر . أي قلد تربيين ؟

- أربعة لترات حتى أوفّر على نفسي مشقة التردد عليك يوماً بعد يوم .

وراحت المرأة تكيل زيت البتروول . ثم ما لبثت أن قالت :

- ولكن ينبغي أن تحذري فالأمر ينطوي على خطر شديد .
أعلمين أن انقلاب الآنية بما فيها من بتروول قد يقضي إلى اشتعال النار في المصنع ! إن عوداً من الشهاب يلقى في غير أكثر من كليل بإحداث النكبة المدمرة !

- هذا صحيح . . . ولقد هتعت جورج وزهرته زجراً شديداً . . . وإن كان للسكين قد نسي الأمر عن غير قصد لو تعمد . . . كان يجري قنوت قلعه بالإتناء . . . ووعدني بالأعود إلى مثلها أبداً .

- حساه إذاً يربّما وعد . . . وكيف حالك أنت ؟ لأرضية عن عملك الجديد يا سيدي فورتييه ؟

فهرّت الأم كتبها وقالت :

- ينبغي أن يرضيني على أية حال . . . فما كنت لأجد لي نكبتني هذه ما هو غير من ذلك .

- كيف ؟ أما كان في وسعك أن تربيين من الهياكة أصحاب ما تتقاضيه الآن ؟

- هذا صحيح . . . ولكن كيف اعترف حياة الثياب وليس لدي مال مدخر لبتاع به ما أحتاج إليه من آلات ؟ إن تربية الطفلين تستنفد مالاً كثيراً .

- ولئن صغيرتك لوسي الآن ؟ أما زالت عند المربع ؟

- نعم . . . في برجوني في جولني .

- لا ريب أنها تتقاضيك أجراً كبيراً ؟

- ثلاثون فرنكاً في الشهر .

ثم تددت عن صدرها تهلة حميقة فيها بؤس وشقاء . . . وعففت :

- آه .. لقد ما أفتقد زوجي ! لو أنه كان الآن على قيد الحياة لما
ابهظتني هذه العقبات !

- صدقت يا سيدة فورتيه ! وكيف كان يمكن أن تضيق العقبات
الكبيرة وهو يريح في اليوم الواحد سبعة أو ثمانية فرنكات !
فهتفت الزوجة المنكوبة بمرارة :

- وكان أميناً عطوفاً .. وشجاعاً .. وكان يحبني ! ربه ! إن تلك
الآلة التي انفجرت قفتك إنما قتلت في الوقت ذاته هنائي وسعادتي ..
ورفعت الزوجة المحزنة إلى وجهها يداً مرتعدة فمسحت دموعاً
انحدرت من عينيها .

وقالت صاحبة الحانوت :

- لا ينبغي أن تسلمي نفسك إلى الأحزان يا ابنتي .. ففي هذه
الدنيا نكبات تصغر نكبتك إلى جانبها ! ومع ذلك يجب أن نحمد
الله على أن صاحب المصنع ترفق بك وألغى عليك عطفه .. إذ يقال
إن زوجك هو الذي تسبب بأعماله في انفجار الآلة .. فهل هذا
صحيح ؟

- نعم .. صحيح والسفاه !

- ومع ذلك فقد تولى صاحب المصنع تقفات المدفن كلها .. ثم
أقامك براءة لمصنعه وطمع علمه بأنها مهنة لا تصلح للنساء .. ولكنه
أراد أن لا يتدخل في مساعدتك .

فطمعت السيدة فورتيه بلهجة تطوي على الأسى :

- هذا صحيح .. لقد كان السيد لا يرو عطفاً علي .. عطفاً
جداً .. إنهم يمزون إليه القسوة والقسامة .. ولكن سلوكه حيالي
ينفي عنه هذه المزاعم .. ومع ذلك فليست أستطيع أن أنسى أن

زوجي قتل في مصنعه ! إن هذا المصنع عندي تلير الشوم والنكبات .
ولولا أنني مسوؤلة عن القيام بأود مقلي لما قبلت هذا العمل الذي
أمره الآن ربه ! ما أشق على نفسي أن أعيش في المكان الذي
سُفك فيه دم زوجي ! أية أعصاب يمكن أن تحمل هذه الذكرى
للزوجة المضجعة !

فكانت صاحبة الحانوت تسري عنها :

- تجلدي يا ابنتي فما يجديك هذا الاستسلام للأحزان شيئاً ! إن
من الحماقة أن نعيش للأصوات ! إنك ما زلت في عطفوان الشباب ..
ولك من الجمال حظ موفور .. وإن عاجلاً أو آجلاً ستلقين شاباً
جسداً بهيم بك ويسألك الزواج .. فاحذري أن ترديه محاسباً وإلا
فركبت بذلك زلة لا تغتفر .

فهتفت المرأة :

- أتزوج؟ محال ! محال !

وكان في نبرات صوتها عزم وإصرار .

واجتمعت صاحبة الحانوت ابنتامة المرأة الهزينة وقالت :

- هذا كلام لا يثبت أن يمضي عليه الزمن ! إن كثر الأعوام كفيلاً
بأن يغير من رأي الإنسان ! ومن كانت في مثل سنك غليظة أن لا
تبقي مترحلة مدى العمر .

- قد تكونين على صواب فيما تقولين .. وقد يكون لمن تتزوج
أسباب قوية تدفعها إليه .. أمّا أنا فلدي من الأسباب ما يصرفني
عنه ! على أنني شيئاً واحداً هو أن أظفر بألفين أو ثلاثة آلاف من
الفرنكات !

- وما تصنعين بها ؟

- ما أصنع بها؟ أوه! أشياء كثيرة لا يحيطها الحصر!

على أنها ما يثبت أن هزمت كتبها وأردفت بأسي:

- ومع ذلك مما جردى التفكير في هذا الأمر؟ إنها أحلام داهية في الهواء! أنصلي علي بالعمر - ولا سبيل لي إلى الثراء! وما أكرم المصنع ما استطعت حتى أربي طفلي! وإذا كان لي رجاء في المستقبل فمن أجل هذين الطفلين لا من أجل نفسي!

- نروذي بالأمل يا أيتي! فلنأمل ببيض على الرء صبراً وشجاعة! هاهنا شروك! وإذا أخذت بنصحي أودعته خزانة بمجرد وصولك وأغلقتها بالفتح.

- طمئني يا أماء! سأأخذ الحيلة للواجبة! فليس ثمة من هي أشد مني توجساً من النار.

وانصرفت الأم وحملها يش إلى جانبها وقد تأبط جواده الخشبي وابتعتها صاحبة الحماروت بصورها برقة ثم غمضت نعاظت نفسها

- يا لها من امرأة بيلة وشجاعة! ولا ريب هندي في أنها تعتقد زوجها كثيراً فيما أرى امرأة طموح جمة المطامع أليست شعري لأية ظلمة تسمى أن تنال هذه الثلاثة آلاف فرنك التي نعلم بها؟! ثم تحركت إلى مساعدتها ما زلت - وراحنا تقطعان الوقت بالتحدث في هذا الشأن.

كانت جان فورتييه قبل رواجها خياطة بلرعة تكسب من إيرها مالا غير قليل.

وإذ بلغت الثانية والعشرين اقترع رجل يدعى بير هورتييه كان يعمل ميكانيكياً في مصنع اليد جول لايرو

واتفق يوماً أن تتركب بير غلطة مية كان من عوائبها أن انصهرت إحدى الآلات ففقدته لساعته

ورثى صاحب العمل للأرملة المسكينة

كان يعلم أن لها طفلين تمولهما - وأن لا مال يديها تنفق منه عليهما - فأقامها بوابة لمصنع برآ بها وتمولها بها من مصروح زوجها.

وكانت جان ضجرة بهذا العمل - لا بما خيال زوجها يبرأه لعيها!

في هذا المصنع سالت دعاره! - هاية أعصاب يمكن أن تحمل هذه الذكرى؟

ولكنها ارتفعت هذا العمل وراحت عسها على الصبر - رحمة بولديها!

إنها لا تفكر إلا فيهما - ولا يطوف بصدرها رجاء إلا كإنا مبعث ومشاره - وحين تلت الثلاثة آلاف فرنك إنما تمسك بكمي تنش داراً حياة الثياب تصاعف منها دخلها - لأجل طفليها!

ومعاً - فيما هي سير بها لهذه الخواطر سمعت صوتاً يناديها اسفح وجهها - ولكنها تابعت مسرها دون أن تدبر رأسها إلى صاحب هذا الصوت.

بل لقد اشتدت في السير وجذت مسرعة

وعاد الصوت ينادي:

- سيده فورتييه! أما سمعني! إني ماض مثلك إلى المصنع قدمني أحمل عتك هذا الإثاء.

ولكنها تظلمت بأنها لم تسمع شيئاً

وانتعت الطفل وراه وهتف :

- أماد . إنه صديقي حارود الذي أعطاني هذا الجوارد
وب كان لها مناس من التريث .

ولحن بهما حارود

مال إلى الطفل فصله ثم تحوّل إلى الأم يقول

- بر رآك أحد تجديتي في السير يا سيدة هورثيه حين مدينتك لومع
في روجه أنك خاتمة سي ! إنك ما كنت تسمعي أنليك حتى
أسرعت في السير . فليت شعري هل نسأت إنك ؟
فقلت بحبه بشيء من الأزيك .

- إي م أسرعت إلا لأبلغ المصنع عاجلاً وما سمعتك
تأديني .

ولكن إنكارها لم يصدده .

وهاد يقوب

أصحيح يا جان هورثيه أنت لم تسمعي حين مدينتك ؟

- طبعاً ما كنت أقول لك هذا

فصك هنية ثم عاد يقوب

- ليس حافياً عني يا جان أنك تتحاشين لقايتي ! إنك تعلمين أن لا
شيء يسمدي كف يسمدي أن تبادل الحديث معك !

فألت المرأة بحرر

- سيد جاك ! أرجوك أن لا تبادر طرق هذا الحديث مرة

أخرى . . إنه حديث يمت في نفسي فلأ !

- وأك يا جان ! أحسبتي سعيداً هائلاً ! ألا تعلمين أنني أتعذب
وأناكم أصعب ما سمعته من وتنايل ! جملتك وصلك لي

وأمرضك عني كل هذا يهيج في نفسي ألماً لا يطاق ! إني أحبك يا
جان . بكل جوارحي ! إن نفسي لا تسكن إلا بحبك . وأنت تعرفين
هذا !

فأطعته الأرملة بقولها

- أريدت إنني كنت على حين حين أسرعت الخلق حتى لا
أنت إلى هذا الحديث !

- وكيف يسمي أن أسكت هوردي وأحمد صوت الحب ! إني لا
أنكر إلا بهت ! وأبعد ساعة في حياتي تلك التي أكون فيها إلى
جوارك . . أنظر وأصغي إليك بلا انقطاع !

- وأنا أيضاً بلا انقطاع لا أتنا أقول لك إن هذا العزم حقايقه
ومغلفه .

- حافاً ! ولم !

- لأنني لم أستطيع أن أحبك !

- أنظري هذا !

- إنه ليس مجرد ظن ! إني موقنة بما أقول !

- أما أنا فإني موقنة من العبر ثم أشياء مستحيلة في هذه

الحياة لا يمكن أن تقع ! إنك في عنوان الشباب . ولت جمال بدير

جميع الرؤوس . فكيف تظنين شبة ليانت في الترميل . متفحمة

في الشمس موصدة بأك في وجه الحياة ؟ وكيف يمكن أن تطيب لك

هذه الوحشة . عيه ؟ أجيبني !

- أرجو أن تكلم عن هذا الحديث يا سيد حارود !

- ولم أك عته ؟

- يعني أن تذكر أنه لم تمض شهور خمسة على وفاة بيير . .

وأنت كنت صديقك !

- ومعه حال أن أنسه! ولكن التحسين أن حيي لك يدس
 ذكره! وكيف يكون هذا وما كأنه منك يحيي إلا بعد أن أصبحت
 حرة طيبة؟ أليكون تديساً بذكره أن أقول لك يا جان إن
 ودي بير سيكون ولدي؟ أليكون تديساً بذكره أن أقول لك؟
 جان إني سأكمل بك وبولديه العيش الرعيد ٢٥ في دخلي
 في المصام أكثر من خمسة آلاف قرينك وأنت امرأة مقيمة
 ممتنعه وفي رأسي مشاريع كثيرة مشاريع رائعة! وفي
 مصمنا أن وأنت أن تصبح من الأغنياء! وما يدريك في قد أصبح
 يوماً ما صاحب مصنع ولحت إمرتي مئات المملا إلا ذاك تصبحين
 روجة سعيدة وأما سعيدة! وإلى جنتك طفال سعيدان
 والأمر بعد متروك عليك! إني أحبك حتى الحبوب علا تبديهي! إني
 الحب جبار لا يفرح فلا تدفعيني بإعراصك عني إلى الزكك
 الحماقات

وأستك جان لجماعة من السهر وراحت نظر إليه ثم قالت
 بصوت اسبح عليه الأعمال تهدياً ملحوظاً
 - أصح إلي يا جارد - تلك هي المرة الرابعة أو الخامسة التي
 حدثني فيها عن حبك وإني لأعلم أنك مخلص ليري
 فقاطمها جاك بحماسة :
 - أليس لي أحبك بمجامع قلبي؟

- دهي أتم حديثي إني مقدرة بإخلاصك لي ومع ذلك فلا
 أستطيع لأن أن ألي إنيك الحواب معه الذي لقيته عليك في
 المرة الأولى وهو لقد عرمت عني أن أخل أرملة! وليس في بيتي
 أن أزوج مرة أخرى!

وأحسن جاك جارد عند سماعه هذه الكلمات أن قلبه يوشك أن
 يتحطم من جني

واستمرت السيدة فورتيه تقول :

- لقد أحببت بيير حباً عظيماً طفي على قلبي وحواسي فلا
 يسمي أن أحبه سواه! كان علي له وحده وبمودة مدام الحب
 في قلبي

وبلغت في ثلثها وجهه أصدرت اليأس وانحدرت من عينيها
 عبرتان... وصوت مختنق قال :

- آه - إنك قاسية يا جان فورتيه! ليس في فؤادك ذرة من
 الرحمة! لقد عذبتني عذاباً شديداً...

ورائه جان يركي وما كانت تجهل أن دمة تنحدر من عيني
 رجل ليست بالشيء الطاف الضئيل.

وبصوت وقبح عتوف قالت :

- إني أعلم أنك تشاك! وثق لي أنك لأجلك! ولكن هل يسمي
 أن أكم الخفيفة دونك! هل يسمي أن أحدث وأموه عليك! إن
 عصيري يحتم علي أن أحدث إليك بصراحة. فلا تفكر في بعد
 الآن!

لصاح في غنوط :

- لا أفكر فيك! ديه! وهل هذا ممكن!

- ليس حيي - أرمعه من فؤادك - وشجد من هي أكثر مني
 جمالاً وأعظم مالا!...

فنهض قائماً

- أقتضيه! إذا على كل ليل لي في المستشفى!

- هذا لا بد منه .

فأمسك يدها بهتف وقال :

- حان إلي اليوم رجل فقير وأنا أعلم أن فقري هو الذي
يسوجب ارتدائك لي . . ولكن هبني أصبحت خيباً . . هل ترضين
بي رجلاً ذك ؟

وراعها ما بدا من اضطرابه وعنه فقالت

- كفى ! لا تخاطبي بهذه اللهجة . إنك تبعث الخوف في قلبي !
فصاح

- سأصبح ثرياً . سأصبح ثروتي عند قدميك وأقدم طفلك
لهل لقبين ؟

- كفى ! اصمت !

- كلا ! لن أصمت ! ينبغي لك تنصتي إلي حديثي كذا ! إن
هزمني بك يس حديث العهد ! إنني أحبك عند خمسة أرواح . وقد
طفني هذا الحب على قلبي وعقلي حتى كاد يفقدني الصواب
ويكني صبراً . ولجأحت . وكنت ما يدور في صدري ! لأن
زوجك كان صديقي !

لما لاقى وقد مات زوجها . وانراحت المصائب القائمة بيني
وبينك من الطريق . فلم بعد ثمة ما يحول دومي والتقدم إليك
بحبي ! جان إلي أحبك . ولا بد أن أتحدثك روجة في أهكنا سطر
القدر في لوحته الخائفة . ومحال أن محارضي كلمة الأطفال
وطعن حبه الأعمال فقال إلي يدها وأدنى صها شفتيه الملتصقين
ولبثها قبلة من نار .

وفي هذه اللحظة دعا الصبر من أنه وقال وهو يتعلق بثوبها

- ملأنا . هيا بنا ! لم نقت هكنا وسط الطريق ؟ !

وتابع الثلاثة طريقهم من جديد

وقال جارود يخطب الأرملة :

- دعني أحمل عنك هذه الأثمة

- شكراً . فإنها خفيفة ليس فيها . لا أريعه لثرات من ريت
البتول

مبت أمارات الدعش على وجهه وقال

- أنصتيني غرفتك بريت البتول ؟

- نعم . فهو دحصر النسر

- ولكن ألا تعلمين أنه شديد الخطر . وأن السيد لايرو حرم
إدخاله إلي طاق المعمل ! لو أنه علم بأمرك سواه الغضب !

فقالت جان في وداة :

- ما كنت أعلم ذلك من قبل . وس استعصه بعد اليوم

- حبك أن تستعطي الشموع أو القناديل .

- سأفعل ذلك من العدم

وحيث بلغوا المصنع سار جارود برفقتها حتى باب هرتها . ثم
لهل هبة هناك وقال

- أنصتيني كي بكلمة ؟

- بكل تأكيد

- لا بوصدي في وجهي بك الأمل . خسرني في موعدا مهما
يكن بعداً !

- لا أستطيع يا جارود !

فأشد به القصب فجأة . . وضرب الأرض بقدمه وقال :

- ماذا! أتألم علي حتى حق الرجاء البعيد!

فراغها ما بد من انقلاب سحته وهمت بالاعلالت إلى غرفتها
ولكنه اهتزض طرفها .. وقال بصوت هارم :

- جان! ليك أن تهيجي يأسى! حير لك أن لعل لك صديقاً!

فقلت لكي تحمله على الانصراف ،

- حسناً! سرى فيما بعد!

- حقاً!

- بلا ريب

فانفجرت لسائر جردود وهتف :

- شكراً بك! كاد صدك يفتني .. ١٠

ودعيت جان إلى غرفتها فأودعت ريت الشروق وقفاً من دموع
الظلمة وهي تقول :

- هنا رف عرفت لا تصل إليه يد جورج .

وسط إليها جردود يده يصدحها فلما رأها مترددة حال

- ماذا .. ثاقبة أنت علي .. ٩

- كلاً ولكن ..

- تكلمي! فوسى ما بنا بك ولكن اعلمي قل كل شيء أني

أحسنت وأنني لا أعيش الآن إلا بهذا الأمل! وفي يوم من الأيام

سأحضر إليك وألني بشرتي هذه فندميك وأقول لك هاتفا قد

أصبحت من الأغنياء فهل ترهين بي زوجاً!

فقلت وهي صورتها اضطراب ملموس

- نعم! إذ ذاك أرتضيك زوجاً! من أهل طفلي! من أجلهما

فهمت

- ولست أطمح فيما هو أكثر من هذا! هاتي يدك .

وسطت إليه يدها ..

وضغط عليها بحراة وكانت ضغطته عهداً مقطوعاً

- ٢ -

كان جاك جردود من أبرع العمال الميكانيكيين الذين يعمدون في

مصنع السيد لامرو فبسط عليه هذا لأحير رعايته وراح يرفيه

ويرمعه من أجره حتى أصبح مراقباً للعمل

وكان السيد لامرو لا يملك بملكه الرأي كلما عرفت به حيلة أو

كلما أنشغل عليه باختراع من الاختراعات .

وكان جردود صغراً بنفسه يزمن بدكائه ولا يفتأ يمي النفس

بأن يصبح يوماً من كبار المخترعين فلذا ما جرت الليل وفرع من

عمله راح يطلع أحدث الكتب الميكانيكية استمرادة للمعلومات

واستنهاضاً لطافته .

وما كان يتمس إلا أن يوفق إلى اختراع يدر عليه مالا وفيراً

وحين دكرت له حال أنه يرتضيه زوجاً حين يصبح من أهل

الغناء اشتد اعتناؤه بالثروة وراح يفكر كيف السيل إليها!

كانت هذه الخواطر تدور في رأسه وهو داخل المصنع

واقترب من كهل بين العمال وغال له .

- فانسأ .. لقد قابلت ابنك الآن .

فقال لكهل مقاطعاً بسرة تدل على القلق

- وماذا قال لك عن روجي ترى هل اشتدت العلة عليها؟

- كلاً ولكنه يرحوك أن مرجع إلى الدار عقب انصرافك

مباشرة

- ألم يرد على هذا القول شيئاً؟

- كلا

فهر الكهل رأسه وقال

- وما حاجه إلى الإسهاب ! إنه ما كان ليشتوقك في الطريق
وسألك أن توصيني بالإسراع بالعودة لأعلمه بأن الماء قد اشتد
على أمه ! سيد جارود أتأذن لي بأن أوصي إلى البيت على أن
أعود بعد نصف ساعة ؟

فهر جارود رأسه وقال :

- آسف يا فلان ! أنت تعلم أن انصراف العمال في أثناء العمل
محظور .

- ولكن الظروف محتم وخطير وأحب أن أذهب لأبوي
لقاطعه جارود بقوله .

- إن السيد لأبوي غائب الآن في المصنع ولا يمكن أن تنصرف
إلا بعد استئذنه

وسكت العامل الكهل على مضض

وما كاد جارود ينصرف حتى اشتدت هواجس المكين والمخ
عليه اليأس وروح يتصور أمراته وقد اشتدت عندها والحزن
الاحتضار فلم يطق على الأمر صبراً .

عاد مكانه ومضى إلى الباب فالتفت جان جالسة عنده فسألتها
أن تأذن له بالمرور فقالت :

ألا تترك تصريح بالخروج ؟

كلاً فإن المدير غائب

وقصص عليها ما كان من مقابلة ابنه لمسيد جارود وقال مسترسلاً

- ولا شك أن وطأة الماء قد اشتدت عليها ولا ينبغي أن أنصرف

إلى صلي إلا إذا اطمانت عليها

فالتفت جان ودأ أدركتها الشقة عليه

- وكيف ينبغي أن أفتح لك الباب وليس لديك تصريح خاص
بالمخرج ؟

- وأمراني أنني سعتي سكرات الموت ! أتحسين آتي أبائي بالنظم
للوصوة ؟

- ولكن ما يكون من أمري حين يعدم المدير أنني أذنت لك
بالمخرج دون تصريح مه ؟

- ولكنه غائب ولي يعلم أنني خرجت !

- إن استأذن المراقب

- لقد لمي أن يأذن لي

- إنني ينبغي أن تترتب حتى يعود المدير

ولكنه لمي أن يترتب .

راح يتوسل إلى جان وحدثها عن روجته المريضة وكيف أنها في

دور الاحتضار وما زال بها حتى آثار عطشها تشمعت الباب

وسمحت له بالمخرج وهي تعلم أنها سوف تستشهد بالمرض
صاحب المصنع

بعد فترة وجيزة مر جارود بفلان الذي كان فاسماً يحمل فيه

فلم يجده . فلما سأل عنه قيل له إنه خرج

استشاط جارود غضباً ومضى إلى جان مسرعاً يسألها حقيقة

الأمر فتابته عما فعلت وقالت

- وقد وعد بأن يعود على رجل

فقال جارود

- فقد ارتكب غلطه ما كان ينبغي أن تتورط فيها إذا المدير
لن يعمر لك هذه الهفوة أنا أنا فلا يسمي إلا أن أطرد فلنسان عقاباً
به .

- كيف - أطرده وهو ما انفاد إلا لقلبه الرحيم؟ إنه سيحود
عاجلاً فلا يعلم بالأمر أحد سواك . أرحوك أن تصيح عنه
فترت جاك جارود هنيهة ثم قال :

- حسناً ! سأصيح عنه إكراماً لك على أن لا تعودني إلى ارتكاب
مثل هذه الهفوة مرة أخرى وأرجو أن يحجل بالعودة قبل قدوم
المدير

وفي ثلث اللحظه كُرع الباب

فقال جان

- ها هو فلانسان قد رجع عاطش !

وإذا فتحت الباب لرسمت لآراءات الفلق في وجهها

لم يكن القادم فلانسان وإنما السيد لايرو صاحب المصح

صار لايرو نحو جارود وقال له :

- أأنت الذي أدت فلانسان بالانصراف؟

لاذ جارود بالصمت لا يجيب . . وانظرت جان .

وبان الغضب في وجه المدير وعاد يكرر سؤاله .

وقال جارود في صوت المتردد :

- كذا

- إذا فقد انصرف فلانسان دون استئذان !

- لا أحري - فبقي لم أجده في مكانه فبحثت أستعصر عن الأمر
من السيد هورتيه

فتحرك السيد لايرو إلى جان فورسه يتنظر منها جواباً فقالت

- نعم - لقد خرج

- إذا فقلت التي فتحت له الباب؟!

فاحت رأسها بإيجاباً .

فقال بصوت تنم نبراته من الصراحة :

- وما الذي دفعك إلى مخالفة التعليمات؟ وأي عذر ساق فلانسان

إلي؟

- أردت أن يطعن على امرأته إذ اشتدت بها العدة

- ولم أبق أن يتظر حتى أعود فيستأذني؟ إنني أعطيت من

فلانسان ولكني في الوقت ذاته لا أحب أن يكون قدوة سيئة

لزملائه إذا ما عاد فلانسان فلا نعلمي له الباب إذ ينبغي أن

يطرده لا أنكر أنه من خيرة العمال ولكن لا بد بي أن أجعله عبرة

لسواه

ثم صر إلى مكتبه يتبعه جاك جارود

- ٣ -

كان جول لايرو صاحب المصح في الخامسة والأربعين من العمر

تزوج وهو في الثانية والثلاثين بامرأة موبوءة الثراء فكان له من

أمواله ما استطاع به على إنشاء مصنعه .

ثم ماتت امرأته وحملت له طمعة يدعى لومسيان فأرسله أبوه

إلى أخوته في الريف لتثولن ترسته ويصرف هو إلى إدارة مصنعه

وتنبت

دخل لايرو إلى مكتبه يشعه جارود ثم تحول إلى وقال
- لا ريب أنني أعطأت بتعبي السيدة فروقييه بولاية للمصنع .
ويشعني أن أقوم رجلاً مكتبها .

فاشدت حيرة جارود ولم يدر ما ينبغي أن يقول وعمهم .
- إنها امرأة أمية يا سيدي .

- ولكنها صعيه الإرادة لا تصلح لأداء هذه المهمة
وفرع انساب ودخل الحساب بحمل رومة كبيرة من المال وكية من
الجبهات الذهبية ووضعها على مكتب رايه وقال

- جئتك بالدخل يا سيدي كي تتولى إيداعه المصرف
وحين الصرف الحساب وغلا لايرو يجارود قال له :

- إني منهكت في هذه الأيام في اختراع آلة للفصل ، فإذا تحقق
رجائي أصبحت من ورائها مالاً حبيباً ، على أن بعض العقبات قامت
في طريقي وأريد أن أعهد إليك بتدليلها على أن يكون لك خمس
الأرباح

واستطار جارود فرحاً بهذا العرض وقال :

- إني ومن إشارتك يا سيدي فحدثني بما أشكل عليك

وراح السيد لايرو يمشي إلى مراقب المصنع بتفاصيل الاختراع
الذي وفق إليه ، ولما فرغ من حديثه قال :

- ولأن ما رأيك في هذا ؟

- لا ريب عندي في النجاح

- سأعهد إليك إذا بالأوراق على أن نحس نفسك في مكسي
هذا غايي لا أحب أن يقع أحد من العمال على سر هذا الاختراع
أو أن يرى الاممودج خشبة أن يمشي بسرنا إلى غيرنا من المنافسين

- حياً يا سيدي - وسأشرع في العمل من صباح الغد .

- امض الآن إلى المصنع وابحث إليّ بجان .

حين علمت جان أن السيد لايرو يدعوها إلى مكتبه ملأت فيها
الهواجس وراحت تقول لايرو

- أتدري لم يدعوني إليه ؟

- نعم - لظنه سيبحثك على ما فعلت - فلا تصارعيه بكلمة
ودعيه يقول ما يشاء ! فإنه كريم القلب وإن كان حاد الطبع

ومضت جان إلى مكتب المدير على حين لاذ جارود بفرفته

كان يادي الاضطراب لا يتأ بروح ويحيه وهو يقول لنفسه

- صدق لايرو إنه اختراع جليل العائدة لمضمون الزواج وما

أشك في أن صاحبه خليل بأن يصحح من كبار الأعباء ؟ أه هذا

هو سبيل الثراء الذي كنت أنته - ولكن هي ظفرت بهذا الاختراع

فمن أين المال الذي أنشئ به المصنع وأستجيب الآلات ؟

وراح يدور في الخرفة كالقهد المأسور - ثم قال

- وعندي بأن يحمي خمس الأرباح فأية حصافة تحسني على أن

أفعل بخمس وفي وسعي أن أثال الربح كله نفسي ؟

وأخرجت أساوره هيبة وقال

- وإذا ما أصبحت ثرياً فهل تردني جان حانياً حين أسألها الزواج ؟

فعلما

إن السيد لايرو ناقم عليها الآن - ولشد ما أتمنى أن يطردها

فوقها إن أصبحت بلا عمل لم يكن لها مناص من الألمجاء إلي

لأهلها وأعمال طفليها

وارتسمت على شعته ابتسامة كان فيها من الشر ما أحالها إلى

استامه أشبه بتكثيرة وحش صدر مكشّر من ثيابه !

طرقت جان باب المكتب وتقدمت إلى السيد لايرو قائلة

- أودعوتي يا سيدي؟

- نعم - فقد علمت أنك عهدت بآليات بعد ظهر اليوم إلى أحد

العمال فلم صعدت هنا ولئت تعلمين أن في ذلك مخالفة

للتعليمات؟

- لقد مضيت يا سيدي لأتبع بعض الحاجات الضرورية

- لما كان في وسعك الترتّح حتى ينصرف العمال

ودون أن ينتظر منها جواباً أردف بطول :

- هذا إلى أن تصرفك حيال الناس لم يكن صائباً وقد دلتني

على أنك لا تصدّقين لهذا العمل

مغروروت حينها بالميزات وقالت

- ولكني لم أسألك يا سيدي أن تقيمي براءة للمصنع أنت

الذي عهدت إليّ بهذا العمل من تلقاء نفسك بموضاً لي عن مصرع

روحي الذي قضى وهو قائم في خدمتك . فإذا كنت ترى يا

سيدي أنني لا أصلح لهذا العمل قلت أرى ما يدعوك إلى الإنهاء

هنيّ بالآلثة دون سبب !

فلطّبت السيد لايرو جيئة وقال

- كيف ؟ أتكرهين إذاً أنك خالمت التعليمات المقررة؟

- لا أنكر أنني سجلت عن حراسة الباب ساعة أو أقل ولكنني

عهدت بالأمر إلى أحد العمال فتولاه مكاتي .

ولكنني انتدسك ثمت حراسة الباب ولو أنني أردت لكأن في

وصفي أن أنتدب هذا العامل الذي أشبه بكاتك ومع ذلك فتلك

هصوة قد تنعصر ولكن ما تقولين في هفوتك الأخرى؟ أهني

صباحك لتقتسان بمقادير المصنع دون إذن مني؟

- لا أنكر يا سيدي أنني أخطأت في هذا ولكن ما كان ينبغي

أن أردت خائياً ولما أعلم أن لمرافقة طريحة الفراش تمناني سكرات

الموت !

وساد الصمت هيبه ثم رفع السيد لايرو رأسه وقال

- يؤسفني أن لرائي مكرهاً على فصحتك من همك فإني فيما

أرى نحسين المحدث والتقاش ولست أحب من عصاني إلا الطاعة

والإدعان

وفي هذه اللحظة دخل المحاسب وقدم إلى رئيسه بعض الكشوفات

وقال معقاً

- أرجوك يا سيدي أن تأمرها بأن لا ندخل زيت البترول إلى

المصنع

وما سمع السيد لايرو هذه الكلمات حتى قمر واقفاً وصاح

- زيت بترول ! ألي مصنعي بترول؟

- نعم يا سيدي . . فأتها نفسي عرفتها بزيت البترول .

فاستشاط لايرو غضباً وصاح

- كيف هذا ! أتجهلين أن إدخال البترول إلى هذا المصنع محرم

محظور؟

فقالت جان

- كنت أجهل ذلك يا سيدي

- كنت تجهلين ؟ لا أستطيع أن أصدقك !

- وما الذي يدعوتي إلى الكذب يا سيدي ولا مائدة منه تعود

علي؟ إنك قصصتي من العمل منذ خطأت والآنكاري لي يجديني
معاً!

صباح السيد لا يرو وهو يحاول أن يكظم عيظه

- قد أعمر لك اليهوديين الذين ارتكسها لما أن أتجاوز عن
إدخالك البترول إلى مصفي فمحل ابحتي لك عن عمل آخر
فني نهاية هذا الشهر ثفاذين مصفي.

فيما اليأس في وجهها وقالت

- أنطردني بعد أن مات زوجي في خدمتك؟ وما يكون من لمرى
بعد أن توعد أبواب البرق في زوجي؟ وما يكون مصير ولدي؟!
ثم تهذج صوتها وأردفت

- حذر يا سيدي فإن طردني لي يجلب لك خيراً

فألقى إليها السيد لا يرو نظرة فاحصة وقال:

- ماذا تعين بهذا القول؟

صباح المحاسب

- أتهددين وتترعدين؟

فأثارت جان

- لا أهدد ولا أتوعد إني أحتمل بكيتي بجلد وشجاعة لقد
ارتكبت هوة مالاك إذا على استعداد لتحمل ثيمة ما فعلت إني
من أنتظر يا سيدي حتى ينتهي هذا الشهر وأنا سأليث لبيتك لسيروا
واحداً أغتروا العمل بعده فلك أن تحتار سراي

وأدركت الشمعة السيد لا يرو وقال بصوت عظيم

لا نحسبي يا انسي اني لطردك طرفاً كل ما هي الأمر اني
أدركت الآن أن حرمة الباب لك بالعمل الذي يوكل إلى النساء
فأثارت بالفعال

- كان يسمى يا سيدي أن تترك هذا قبل أن تكمل هذا العمل
إني

- هذا صحيح ولكن عليت عني الرعية في مساعدتك وفتح
أبواب الروى أمامك فعهدت إليك بهذا العمل ومع ذلك فسوف
أعني لك عملاً آخر

فأجهشت جان بالبكاء وقالت

- بل سأعادر بعد أسبوع واحد يا سيدي فإني ما كيدت في
هذا المصع غير البرس والشقاء أو نجوب فيه خطوة إلا ترى في
شح زوجي عارفاً في الدماء!

وزدعت يديها إلى وجهها في أنسى ثم دارت على عقيبها
وعادرت القاعة فشي ثبة اليأس والقنوط
نابها صاحب المصع يبصره ثم غمغم بقول

- يا لها من مائسة مسكية إني أعلم أنها ما أدت للفلان
بأخروج إلا رحمة به.

فأترى المحاسب بقول

- إنك يا سيدي كريم رحيم القلب

- الواقع أني مقير لهذه المرأة فقد قتل زوجها وهو قائم في
خدمتي. فمن حقها علي أن أرحمها وأن أمد لها يد المونة...
وسأجد لها عملاً عند أختي

- ولكن يبيعي يا سيدي أن عذر هذه المرأة فقد حددت

- أنظري ذلك؟

- هذا لا ريب فيه فقد كانت تحب زوجها حباً شديداً وما
عن شك في أنها بعد أنك مشول عن مصرعه فلا عجب أن

فهر السيد لابرو راسه ونال .

- إنك شديد الوطأة على هذه المرأة . . ولكن يعني أن لا نسي
أنها امرأة متكرهه مات زوجها ولديها طفلان معولهما ومهما
يكني فلا معر من أن نؤودها بقدر من المال إذا معسر علي أن نجيبها
في خدمة أخي

لم ما ست أن أردب يقول

- أجننتي بحساب الصدوق؟

- نعم يا سيدي

ودفع إليه كسفا وهو يقول

- في الصدوق لك ٧١٢٣ مراكاً وثلاثون متباً وسأتيك
الآن بهذا المبلغ .

- ولم لا تبقى لديك؟

- إني لا أنام في لصح يا سيدي وأخني نعمة العرفة

- حساً . . هاته إذا .

وفي خلال ذلك كانت جان لاكدة بعرفتها تنكي بكاء صرا بعد أن
رأت أبواب الرق تسد في وجهها .

وجاءها جازود يسألها عما حدث بينها وبين المدير فلما أنبان
بالأمر قال .

- هه ما كتب أتوقع لا رب أنك فحرت غضبه بالخدل والغاش

لغالت باتفعال :

- ولكنه طردني من خدمته طرداً

- إته ما كان ليعل ذلك لولا أن أثرت غضبه

- وكعب كنت تريد مني أن أؤد بالصمت وهو يرجع إلي أنسى

الكلمات ويحاسبني على هه لا تستحق كل هذا العصب؟

- والآن ما الذي تنبر أن يصمي؟

- لا أدري ولكن يعني من أية حال أن أكنس ععلاً أعول به
ولدي ولبتي .

فلما رأى إليس يادياً في وجهها قال :

- دعك من القسوط يا جان بعد يرجع المدير نفسه في الأمر
ويشقيك

فهرت رأسها بإصرار وقالت

- ولكني لن أبقى إني راحلة !

- حقاً ؟

- نعم فعلى هذا عركت

فقال بلهجة تنطوي على الأسى

- وما يكون من أمري حين ترحلون ؟

- إنك لا تلت أن تسالي

بهت بحرارة

- جان - لا تعلمين أن من المال أن أهنس بعيداً منك لحظة

واحدة ؟ كلا سأحدث في شأنك إلى المدير وأرجعه في أمرك

- لا تعمل ذلك باقة عديك !

- إنك تعلمين إني أحبك حباً محلاً فم لا تبادليني هذا
لحب معيش سعيد ؟

فقطت جيبتها وقالت وقد بدا الازدراء في ثانيا وجهها :

- ماذا ؟ أتسألني أن أكرن خليلك لك ؟ هه إهانة لي يا سيد

فقال محتاراً .

- ما قصدت إلى إحداثه جان كل ما في الأمر أني أعرض عليك أن يعيش في كنفى وأن أتحب من ولديك لبيبي لي حتى إذا انقضت شهور الحداد لتتحدثك زوجة لي .

ثم ما بك صوته أن تهدج وقال مغطياً

- جان عذبي أني مجنون بحيث وهأنا أعرض عليك حمايتي ومعونتي لك وبولديك إني أحبهما كأنهما ولداي ! ولذا يبدني وأعرضت عني لقد أسأت إلى هذين الطفلين قبل أن تبيني إلي !
هنا حبري كيف يتاح لك في المستقبل أن تمنني عليهما وتلحقيهما بالمدراس ؟ وهل تطيق أن تربيهما جائعين مترددين ؟

وامتنع وجهه جان وقالت :

- إنك تسرف في الوصف لكي تهد عزمي إذا ما صورت لي المستقبل على هذه الصورة البشعة !

- إني لا أسرف ولا أباليك وإن أكنمت لك الحجب من المستقبل الذي ينتظر ولدك !

مهت .

- رباه ! إنه لا يرحمني ! إنه لا يريد أن يهت !

صباح جدارود .

نعم لا أريد أن أصب إني أرى الهوة قاعرة ضلها تحب فدميت فكيف أدعك تسيرون إليها وأنت معمصه العيين ؟ ها أنا مصرف عت وكبر اعلمي أن مستقبل طفلك رهيئ بكلمة تصدر من بين شففتك

وأولاهما ظهره وتصرف فتهاكك على أحد المقاعد متحاذلة في إعياء

وداحت تقول لصها

نعم إنه لم يبالغ ولم يسرف لقد صدق فيما قال فإن لن تستطيع أن أعول طفلي مهما انتصت من أبواب الرزق ! رباه ! ألقى على عيني الطفلين المسكينين بالعانة والعقر ؟ !

ولكن كيف أتزوج هذا الرجل وقد انقسمت بزوجي وهو على سرير الموت أن لا أتزوج سواء كيف أحث بهذا المعهد المقدس ! رباه إنه لن يكون مدالة عني لو أني تزوجته أكلاً لن أراجع مهما حدث !

- ٤ -

في صباح اليوم التالي اتزوي جدارود بمكتب السيد لابر والكتب على أوراق الاختراع الذي ولر إليه رئيسه وراح يدرسه ويحاول أن يتح . . وألقى سحابة تهاوه وهو منهك في العمل .

ولمّا نزل المساء غادر المصنع واطلق إلى شاطئ النهر فارقي على الرمال وساول طعاماً حبيماً . وظل مكانه حتى انتصف الليل

وكان في حلال هذه الساعات الطويلة يرسل بصره إلى مصبحة الماء وقد استولت عليه الخواطر وخرق في تفكيره حتى كاد يفعل عما حوله

وإذ عاد إلى المصنع في الصباح كان باذي الاضطراب محتقن الوجه فأن المريض الذي نوم فرائشه عبلاً طويلاً

وأقبلت عليه جان سأله عما به فربماها بنظرة تبها ألم واضطراب وقال

- لا شيء -

لم يأتني أن أعود

كنت أريد أن ألتحق بك من

ولكنه ما لبث أن ألتحق بك وقال في اضطراب

- كلاً .. كلاً .. ليس الآن .. فيما بعد .. فيما بعد !

ثم أوالها ظهره ومضى مسرعاً إلى المصنع ..

شيعته جان بظرة مبيتة بالدخول وراحت تقول لصها

- عجباً ! بيت شعري أي حديث أراد أن يعصي به إليّ وما

سرّ هذا الاضطراب الذي يهزّاه ؟ كأنني به يتكلم سرّاً عالياً !

وفي مكتب المدير جلس جارود منهمكاً في غسب آلة المصقل

على حرم جلس السيد لابرو على مفرجة منه يكتب بعض الرسائل

وبعد برهة جاء المصاحب وقال

- ها قد جئتكم بدينار يا سيدي لتروعه المصروف

- أبقه بدينار حتى أفرغ من عملي

وإذ سمع جارود كلمة المال سرت الرعدة في بطنه وعرفته راحته

أخفاها بجهد مموس

أما إذا كان هو الرجاء الذي يعيش من أجله ؟ وعنده هي الأمانة

التي يشدها ويرجوها

وبعد هيئة دخلت جان تحمل رقعة رقاء فللون وقالت

- جاءتك بوفية يا سيدي

تداول السيد لابرو البوفية ومضتها على عجل وما كان يتلوها

حتى اصمغ وجهه وغط

- ابنتي مريض .. وإنه أمر في خطر 19.

وتحوّل إلى جارود يقول

- جاءتني بوفية من ابنتي تخبرني فيها بأن أبي مريض

مريض - ولا معر لي من أن أسافر إليها فوراً فاجتمع أوراق

الاختراع يا جارود لأردعها الخزانة .

واتعاض جارود وأبرت عينه ابتهاجاً وروح يجمع الرسومات

والأوراق

ودق السيد لابرو لخرس يدعو إليه المصاحب ويبله بسعره

وطلب إليه أن يبلّغ معه من المال ما يكفي لعقبات العمل في أثناء

هيته

ثم دعا إليه جان وأمرها بأن تملأ له مركبة

ورحلت جان بعد دقائق فقال لها المدير

- انتظري لحظة حتى تساعدني في إعداد حقيبي

ثم جاء المصاحب بعد لحظات وهو يقول

- أنيت لدي خمسة آلاف فرنك وجئتك باليدي

- حسناً - إنني أرجو أن لا أعيب أكثر من يومين بكم حتى ؟

- جئتك بمبلغ ١٣٣ ألف فرنك - فإذ أضفت إلى ما في خزانة

كان المجموع ١٩٠ ألفاً و ٢٥٣ فرنكاً

تداول لابرو الأوراق الثقيلة ودفعها إلى خزانة دون أن يحصيها

وفي خلال ذلك حانت من جان لعنة إلى جارود

وأب في ثانيا وجهه انفعالات غريبة لم تعهدها فيه من قبل

كان مضطرباً خائفاً كمن اقرب جرعة يحشى أن تكشف

وكان في الوقت ذاته مضطرباً للنظرات متتالية العين

وعجبت لأمره ولم تكن ما دهه !

- 45 -

وقدّم جارود وسومات الاحمر الى ريسه فأردعها هذا الأخير
الخرانة وهو يقول -

- سنعود إلى الاهتمام بها حبيب هودتي ،

وإد رآه بهم بالانصراف قال له :

- انتظر لحظة فإني بحاجة إليك .

ثم تحول إلى جان وقال لها :

- لا بد لي يا سيّدة مورتييه من أن أهتم بأمرك عقب هودتي

واعلمي أنني لن أدعك بلا عمل . وأرجوك أن تنسي ما جرى بيننا
كما نسيته أنا

ولاذت جان بالصعب وقد استعيرت ما أبداه بحوها فجاءت من
حطب لا يهتق مع صرامته المشهورة .

وكان المحاسب يحنس إليها النظر ويقول في نفسه

- ويحبها ! إنها لم تلق إليه ولو كلمة شكر واحدة ! لا ريب أنها
حائفة عليه وتبيت الانتقام منه ؟

ثم أمرها السيد لايرو بأن تعد حقيبته فانطلقت دون أن تحجب
بكلمة واحدة

ولمّا أهلت الباب خلفها قال السيد لايرو :

- أخشى أن تكون السيدة مورتييه باقمة علي فقد عشتها تصبها
شدتها . ولكنها هي التي أهدجت غضبي بعندها . ومهما يكن
فسأجد بها عملاً عند هودتي .

ثم ألقى بمصر تعيمانه إلى جارود والمحاسب وعاد المصح
مسافراً إلى الريف ليعود ولده المريض

عندما حانت ساعة الانصراف مرّ جارود بعرفة جان فأمسى إليها

التيه وهم بالذهاب . . ولكنها استوقفته وقالت له

- ما الذي كنت تنوي أن تفعلني به هذا الصباح ؟

عبر الرجعة في لوصاله وقال مرادفاً

- كنت أريد أن أتحدث إليك في مسائل كثيرة

- نكلم إننا فإني مصعبة إليك !

فهز رأسه وقال

- كلاً ليس الآن لقد مرتت في الأمر واسطر في الرأي على

لوحده الحديث إلى مرصه أخرى والواقع أنني لا أجوز

- لا تجرؤ؟ على أي شيء؟

- على مكاشفتك بما في نفسي . ولكني قد أكتب إليك بما

لهمني ؟

وكي يادي الاضطراب والثرود . . ففالت له جان :

- ولكن ما سرّ هذا الاضطراب الذي أراه مثلاً في حبيبك ؟

- أرجوك لا تلجئي الآن إيضاحاً ولكن بيئي هل تدهرت

لر مستقبلك ومستقبل ولديك ؟

- نعم تدهرتهما !

- وما مربي ؟ أمواضة أنت على ما اقترحتة حبيبك ؟

- نعم ولكن بعد أن تكشعني بما في صدك

- سأكاشعك بكل شيء ولكن تريثي حتى العد معه ينقصر

مصر

- ولم العد بالقدات . . ؟

- هذا سرّي ولا أحب أن أزيدك الآن إيضاحاً . . اصبري حتى

أفقد هذا كل ما هنالك

ومضى عنها مسرعاً كأنها يخشى أن يروى لسانه في أثناء الحديث
فيجري بما يحاول أن يكتم
سار جازرود إلى مطعم قريب فتناول طعامه وهو مضطرب شارد
الخواطر

وإذ فرغ منه عاد ثانية إلى المصنع
ونكته هذه المرة لم يتجه إلى الباب الكبير العام الذي اعتاد العمال
الدخول منه وإلى سار إلى باب ضمني صغير يفضي إلى مكتب
السيد لايرود الذي اعتاد أن يحتضن بمصاحبه

الفترب من الباب وأخرج من حبه قطعة من الشمع دفعها في
ثقب القفل حتى انصبع عليها شكل المفتاح ثم حذبها ودسها في
حبه وانطلق إلى غرفته مسرعاً وجبه يتعصب عرفاً
في ذلك الوقت معه كان السيد لايرود جالساً مع أخته وهي
تحدث إليه عن ابنه لوسيان .

أبانه أن الطفل أصيب بحمى شديدة ولكن الطبيب صرح لها
اليوم بأن الخطر زال عنه ومن بعد ثمة ما يدعو إلى القلق
فقال الأب تشكين أخرج القواد :

- وأين هو . . فإني أريد أن أراه ؟
- إنه مستريح في بومه فدعه ولا توظفه
وسار الأب إلى غرفه به يحتلن الخطى وإذ رآه بام عادت
سري عنه ورجع إلى أخيه فراحته مروي له بإسهات تفاصيل
المرض الذي حل بـلوسيان
وقال لها الأب

- ما دام الخطر قد زال عنه فلا أرى ما يدعو إلى إطالة إقامتي

هنا وسأعود غداً إلى مصني

ولما سألت عن أعماله حدثها بأمر الاختراع الجديد الذي وفق
إليه وقال

- وإني أرجو أن يلتقي هذا الاختراع بالملايين من المركبات !
عندها جاب أخته ولكنها قالت بهدر
- ولكن يعني أن تبادر إلى إخراجه وتسجيله رسمياً وإلا سيقبض
عليه آخرون

- إني لا أتوقع شيئاً من هذا القليل . ومع ذلك فما من مخترع
ألا يشهد للمنافسة الطفرة ولا سيما إذا انكشف بعض سره
لخصومه . فليتهم همسرون المكرة ويدخلون عندها من التطوير
والتحوير ما يكمل لهم النجاح ولكني اتخذت خطة فإني
أعمل بضمي ولا يساعطني غير رجل يدهي جازرود أنني به ثمة
حمية

وراح يحدثها عن جاك جازرود وسوقه وكيف أنه أشركه معه
ليعطيه خمس الأرباح
فطالت سالة

- هل أطلعت على سر الاختراع ؟
- لم يكن لي حصاص من ذلك إذ كان هناك بعض عيوب في
الاختراع سألت أن يتلافها إذ استعصى أمرها عني
فهربت الأخت كتمها وقالت
- يه ما قام الرجل محلاً لتفتك فلا داع للاستمرار في أمره
ولا سيما أنه قاسمك الربيع
وبعد برهة عادت تسأله

في صباح اليوم التالي كتب جان شاردة الذهن غارقة في
خوابها تفكر في جوارود وتساؤل نفسها عن هذا الاضطراب الذي
هرل وأي سر خفي أقيم بطوي بين حبيبته حين دخل عليها
خادم المصح يأخذها مفتاح غرفة السيد لآبرو يسبقها ويكسها
عطر الخادم إلى ما يبدو على وجه جان من أسرار الشوود
وكأن قد انتهى إليه أن صاحب المصح أندرو بالمرود بأنبل عليها
يقول

- ما بك؟ لمهجة لك؟

- كلا

- إذا لم أراك مضطربة؟

- لست مضطربة إنك واهم!

- وما الذي توشى فعله الآن؟ ألي بيتك الإقامة في هذه البلدة؟

- فسامها قوله وأجابته بمخشونة .

- لا أعلم .

- وهل يولي السيد لآبرو يا ترى ألا يسحك مكاناً مائياً؟

- معالي له باتعمال

- إني لست ممن يقبض الصدقات!

- ومن قال لك إنه سيتصدق عليك؟ إن لمريض أعمال عد

فصلهم أمر مقرر قانوناً ولكن يفرح بي أنك حاضرة عنده

فدفعت إليه مفتاح المكتب وقالت نقطة

- هاك مفتاح المكتب فاقصر عني

فتناولها منها وعاد العرفة وهو يقول في نفسه

- وكيف حال تلك الأرملة المسكينة التي قتل زوجها في مصحك
هذا انفجار إحدى الآلات؟

- لقد أقمتها بوابه للمصح كما علمين ولكني مكره على فصلها
لأن

فعلت الأخت مستكره

- كيف؟ أنظردها وقد مات زوجها في خدمتك؟

- ولكن إنقاذها في هذا العمل مستحيل إنها عاطفية رقيقة
الإحساس وقد سمحت اليوم لأحد العمال بمخادعة المصح دون إذن
خاص . . . والساء في رأيي لا يصلح لهذا العمل .

- كان ينبغي إذا أن تدرك هذا من قبل ولكن ما يكون من
شأن هذه المسكينة حين تطردها ولا عائل بها أو لولدها؟

- وهذا ما أردت أن ألتحدث إليك في شأنه يا اختاه إنك في
حاجة إلى امرأة تدبر لك شؤون هذا المنزل . فلم لا تتخلين جان
عزماً لك؟ إنك الآن في حاجة إلى الراحة وليس من الإنصاف وقد
بدعت هذه السس أن ترهقي نفسك بالأعمال المنزلية إن لها ولذاً
في الثالثة من العمر يمكن أن يتحدده لوسيان رفيقاً له فإتبعها في سن
واحدة

فعلت الأخت

- هذا الانسراح يا أخي يدور على ما طمعت عليه نفسك من
الخير وإني بمرسي أن أقبله نعم . يمكنك أن تبحث إلي بجاني
فانزلها من عيني مرة الأخت فكون لها من ذلك بعض العزاء
عن فقدتها وزوجها المسكين

- لا ريب عندي في أنها تنصر له شرّاً

وراحت جان تنشق عرقها بعد انصراف الخادم

ثم أتت برجاءات فلحمة المفروشة فيها زيت البترول من الأتية الخاصة بالمصنع وهي تقول في نفسها ،

- أنا التي أشرب هذا البترول بمالي الخاص من حملي أن أحمله معي إلى عرقي

وعرق الساب في هذه اللحظة وكان الطارق هو صاحب المصنع

دفع الباب ودخل وهو يقول

- أم حذرك المدير من استعمال البترول؟ ومع ذلك فما تزال تشم رائحته ؟

- إنني أدرقه في رجاءات خاصة لأحمله معي إلى غرقي الجديدة بعد محادثتي المصنع ومع ذلك فيمكنك أن تطعش إلى أني لن

أحرق المصنع قبل رحيلي

فقال بحاطبها بعض مكتوم

- طمأأني الوجه الوديع بية شريرة

وأولاهما ظهراً ونصرف

بعد ظهر ذلك اليوم كان جورج الصغير يذاعب جواده الخشي

وعصب فجاء على الجواد فتناول عصاه وانهدى بها عليه ضرباً وكانت ضرباته عيفة قائش بخفي الجواد ،

يكى جورج برهة ، ثم ما لبث أن مسح دموعه وقد حشي أن نعمم أمه في فعل قراح يجمع أوراها من الصحف بحشو بها بطر جواد

ثم رجع إلى اللعب كمن لم يأت ضاً

وفي أثناء ذلك كانت جان واقفة بالغرب من باب المصنع تترقب

خروج جازود

ورائه مقبلاً

اقرب منها وقال لها

- هالك الرسالة دوت فيها كل ما أبيي أن أكاشعك به

فتولنها الدهشة وبالت

- وما الذي بدعوك إلى الكلمة وفي وسعك أن تصارحي بي

نشأ ؟

فقال في انتصاب

- تمة أنباء لا يمكن أن يجري بها اللسان وإن كان حياً أن يجري بها القلم ! اقرأني هذه الرسالة حين تلودس بغرفتك واعلمي أن مستملك ومستقبل طملك رهين بكلمة منك .

ثم انطلق مسرعاً دون أن يريد حرفاً واحداً على ما قال

ومضت جان إلى عرقها وقد اشتدت بها البهجة

ففت الرسالة وراحت تقرأها باهتمام بلاد، حد، بصها

"حيثي جان

أنا لأمر حدثك عن ثروة متطرة تضم لك وبوديث الهاء

والآن أستطيع أن أؤكد لك أن سيل هذه الثروة أصبح مهداً مبسوراً

ههنا ملأصح من الأعياء ، أو على الأقل ستكون بين يدي جميع

الأسباب التي تمنعني لي ثروة لا شبهة فيها كما سيكون بين يدي

اختراع جليل للمصنع عظيم الزواج سيبدو علي مئات الألوف كما

سيكون بين يدي في العدد ما يقرب من مائتي ألف مرنك

١ جان اعدني أن طفلك سيصبحان ولدي إذ هذه الفكرة وحدها حليقة بأن تحملك على قبول التواخي ..

وفي هذا مساء سأكون في انتظارك في الساعة الحادية عشرة عند جسر شاريتون فاحضري وفي رقتك جورج .. وستزل في أحد الفنادق . وقدأ يرحب قرب إلى أحد البلاد الأجنبية حيث يصبح من المؤسسين الأحياء ؟

عادري بلا ندم ذلك المصعب الذي قتل فيه روجك والذي طردك منه صاحبه

اتعالي إلى ذلك الذي يحبك والذي سيجعل منك أحد النساء ١ إذا لم تحضري فلا أدري إلى أي نوع من الحماقات بدعني اليأس وبكك متحضرين ١ . ٢

٧ ليلول / سبتمبر سنة ١٨٦١
جانك جارود

فرغب جان من تلاوة الرسالة وأخبرها مرسلة من الدهش والاستعراب

أي اختراع هذا الذي يتحدث عنه جانك جارود ؟ وكيف وثق إليه لجأه وما حسنها عنه من قبل ؟ وما مئات الألوف من الفريكات هذه التي يرحم أنه سيها لها عدأ ١٩ من ليس به هذا المال وهو عامل فقير ليس به خير مربية ؟

أليس لونه من الجسود طمعت عليه فجعلته يتصور الأرواح حفيقة واسعة ؟ أو لعله أراد أن ينصب لي شركاً وهو بحسب أني حافله سادجه ؟

ولكن لا محال أن أفتاد لترغب هذا الوعد ؟ إنه لن يلقى سي

إلا الأصدقاء والاحتقار .

وهزئت الرسالة بين يديها وألقها على الأرض بعصب ومطر إليها جورج إلى الورقة المذكورة ثم انقضى عليها فتأربها ودسها في بطي الجوارد المستقوق يحشو الشئ بها ولتبل الفير وأدلهمت السماء

ومضت جان بولدها إلى فراشه فأرقدته في عطف وحنان ورحب تنفي له أنشودة حلوه بصوت عذب وقبيل

وإذ هي إلا لحظات حتى أوعدت السماء وأبرفت وبدأت العاصفة ترسل بدها الرهيبه لاحتاح الأرض بغير رحمة

- ٦ -

في الموعد المضروب كان جارود عند جسر شاريتون يترقب لندوم جان

كانت العاصفة جائحة عاتية ومع ذلك لم يبال بها وإنما العنى إلى النهر ينفضي سبول المطر على كتفيه في غير كثرات وراح يقول لنفسه

- نعم إن العاصفة لن تردنا عن القدوم ! إني متوقن من أنها ستحضر حتماً في الموعد المضروب إذ كان في بيتها أن تحصر ؟ وإذ ذلك أمضي بها إلى غرفتي فلامها هناك بركة مع طفلها ريشا أشير ما بيتاً عليه العرم

ومضى يتحولا في المكان جثة ودعلاً وكلما سمع حركة كلما حسب أن جان هي القادمة

وطال الانتظار وجان لا يبدو لها أثر وقال في نفسه

تأبها ! أنيدت حين وأنت أن توليدي ! سرى إذا كعب
أنتم منها ! إن هذا القصب الذي يضطرم عراماً سبقت الآن متأجلاً
بالعصب والكراوية

ومجاء طواف بدمته خاطر ارتعد له

هذه الرسالة التي كتبها إلى جال يدعوها إليها إلى موافاته حد
الجسر . ألا تحمل وماله اتهام خضيره ؟ ليس دليلاً على الجريء !
وما يكون من شأنه في أبوت جال هذه الرسالة ردعتها إلى
الحقير ؟

وغري في خواطره برهة وقد أهدته نائبة من الخوف

ثم رفع رأسه وقال بشفة

ـ قللاً سادع الشهمة من نفسي بأن أرجى سفرى لسوفاً
بل شهراً

على أن الرجاء في قدومها ما لبث أن عادوه عاقام مكاته
برهة . ولما أدركه الضود سار صوب المصع وهـ يقول في حبه
ـ لأن ماتت خب في قلبي واضطربت مكانه اليغضاء ! والويل
بها ! لقد دامت غرامي بقلوبها فليس لي عدي إلا الانتقام

دخل جوارود إلى المصع من الباب الخلفي الضمير الذي اعاد
السيد لأبرو أن يدخل منه

ولقد رأبه من قبل يأخذ للمصباح قائلاً من الشمع صبع على
سبته مفتاحاً استعمله في فتح الباب

وإذ صار في العساء رأى الضوء يبحث من غرفة جال فمضى على
أسنانه وقال في نفسه

"إنه الآن تهرأ بي وتمتدني قائم نحب وليل من المطر لفرق

قدومها . . ولكنها سترى الآن كيف يكون انتقامي ! ولحب الذي كان
لغية تتحدث عن حالها قد نصب الآن داراً لجشاج كل من في
طريقها !"

كانت جال قد أودعت الزجاجات للآلى بالبترون حربة مجاورة
لغرفتها . فمضى إليها جوارود بعير مرقد وهو يحتسب الخطى

حمل بعض الزجاجات وسار إلى مصع الجارة نصب السروك
قوى شاره الخشب

ثم انطلق إلى مكتب صاحب المصع . فعالج الخرافة بما لديه من
أدوات وآلات حتى غمق قلمها . وأودع جيبه ما ليها من أموال
ودرسعات خاصة باعتراف آلة الصقل ثم صاب البترون فوق المكتب

فرقد جوارود ثانية إلى ورشة النجارة وأخرج من جيبه صوداً من
الكبيرت لشعله في الشارة . وإن هي إلا خطرات حتى التهيئت
وصارت أشبه بأبوت متأجج البران

وبعها كانت هذه الحوادث الرهيبة تنال في باريس . كان
السيد لأبرو قد هاجر القوية راجعاً إلى مدينة العظيمة بعد أن اعطاه
على صحة ولده

بمع باريس سبيل متصف الجبل ساعة فتناول طعامه في أحد
الطعام ثم استقل مركبة لمر سائقها بأن يمضي به إلى المصع

وبع السيد لأبرو المصع حين فرغ جوارود من إشعال النار في
ورشة النجارة . . وأردت إلى مكتب المدير يشعل فيه النار

رأى المائد الكبير البيوان تلهم مصنعهم فجري راكضاً صوبها
لهيشين الأمر . وحانت منه لفته فرأى باب مكتبه مفتوحاً وألقى النار
لم تشتعل عرواً . وأن يدأ قلعة أشعلتها عمداً . . فما كان منه إلا أن

جري إلى المكتب واقتحم الباب

راى حارود صاحب المصنع مضطراً عليه . فلم يرَ وهو في هذا الموقف المخرج أن يتراجع .

استلَّ إحدى الأدوات التي هشم بها الخرقة الحديدية الصغيرة وانقض على السيد لابر وشدَّ إلى قلبه طعنه كانت القاصية صرح المطمون المسكين صرخة هائلة ثم تريح وهوى على الأرض والدماء تتحجر من صدره

وفي هذه اللحظة كانت جان قد أقبلت مسرعة على وقع الأقدام ورأت القتلى وهو يهشم الأداة المتداة في صدر السيد لابر

التهمت النار المصنع وتعالى اللهب وتراءى على البعد وتجل رجال المظلمى مسرعين وراحوا يكافحون النيران بجهود صادقة

ولم يحف عن جان سوء موقفها وأبقت أن التهمة ستلصق بها ألم يطردها صاحب المصنع في اليوم السابق؟ ألم يمت زوجها في مصعده؟ كل هذه توافع معنيتها على إصرام النار في المصنع ! ورث البترول الذي ابتاعه إنما هو الدليل على ما فعلته ! على أنها ما بش أن هتعت

- ونكس سنمفي التهمة عن نفسي إن الخطاب الذي كتبه إليّ دليل قاطع على أنه هو الجاني الأليم !

وانطلقت تجري إلى غرفتها لتأني بالرسالة تلك الرسالة التي ستقدها من هذه التهمة الرهيبة .

وفي الطريق إلى غرفتها تذكرت أنها ألقت الرسالة إلى الأرض بعد أن مركها بين يديها حقاً

ودفعت ابنتها وألف مظرة عجلت في أرجاء الغرفة فلم تجد أثراً

للمرسلة

أدركها الحرج وعتبت

- رياه أين الرسالة إذا ؟

وراحت تبحث عنها في كل مكان تحت المقاعد وتحت السرير وتحت المائدة

وعبثاً هي جادة في البحث تنهت إلى سمعها أصوات حادة نبت من بينها صوت الحاسب سمعته يقول

- لا ريب عندي في أن السيدة فورتييه هي التي أسلمت النار في المصنع فقد سمعتها بأني تهفّ السيد لابر وتترعده .

وحاص قلبها في صدرها خوفاً حين سمعت هذه الكلمات وقالت في نفسها .

- رياه ! إن لم أجد الرسالة تُفني عليّ حقاً

وراحت جهودها في البحث عن الرسالة عبثاً

تقد أفلت من بين يديها الدليل الوحيد الذي كان خبيثاً بأن ينفدها من مصيرها المصعج !

حملت ابنتها جورج وغادرت الغرفة وبطلت من المصنع هالمة على وجهها والصغير المسكين متعلق بعتقه خوفاً وقرها .

ولكن في غرفة خوم لم ينس جوائه الكرتوني .

وأتى اللام المسكية أن تعلم في تلك اللحظة أن الرسالة المنشودة في بطر الجواد المتقون !

احتشد القوم حول المصنع المتأحج ينظرون إلى السنة الذهب وهي تتعالى في الجو ورجال المظلمى يتسلقون السلالم ليكافحوا النيران

قد كانت الأبواب لا تزال موصدة

وهب أحد الحاضرين

- أين جان حارسه اسباب؟ وكان جاك جارود بين المحتشدتين فتبيري
يقول

- أين جان؟ لا ريب عندي أنها هي التي أشعلت البيران! لقد
طرده المدير فأقدمت على هذه العملية انتقاماً منه!

ثم أهاب من حوله قائلاً

- ها أيها الأخوان تتش خزانة المدير من البيران

وانطلق بحري صوب المصح وفي أثره بعض المنحصرين

بعد أن ارتكب جاك جارود جريمة المהلكة وعرف أن جان رائة
وهو يقتل المدير انطلق عارياً وهو موقن أنها سوف تنهجه وتكاشف
الناس بما فعل.

وبكنه ما إن اتعد من المصح مئات من الأمتار حتى استرد رباطة
جأته فقال في نفسه:

- نعم إنني مسترجمي بالتهمة. ولكن أي دليل لديها على
صحتها! الرسالة⁹

ولكن لا ريب أن البيران قد التهمت الرسالة وأثت عليها وبعد
فكك الناس جميعاً يعرفون أنها باقعة على المدير وأنها تضيء
غرفتها ببيت البترول عاد، ما رأوا الرجاءات الصارخة إلى جانب
البيران ليخبر أنها هي اإجانبه!

وحين أهاب بالمشددين أن يحفروا إلى تشال خزانة المدير كان له
من وراء ذلك غرض جهمي كان يريد إبعاد التهمة عنه.

انطلق القوم صوب المكتب فرأوا آلة البيران تتدلع منه بقوة
وتصدعهم عن الدخول إليه.

وقال أنجليس

- إن الدخول مستحيل!

فهبت جاك جارود

- أما أنا فأحاول! لا بد لي من تشال الخزانة!

- ولكنك ستعرض لخطر شديد!

- سأكون حريصاً

روث إلى داخل المكتب

وإن هي إلا لحظات حتى تنهى إليهم صوته المنهتج يقول

- ها جئة!

ثم يرد ثانية من المكتب وهو يحمل جثة السيد لايرو فوضعه
على الأرض وهو يتسائل

- يا إلهي جثة من هذه؟

فهبت الحجاب

- رباه! إنها جثة السيد لايرو!

وانطلق جاك جارود ثانية إلى المكتب.

بعد مبهمة ثعالت من داخل المكتب صرخة دامية وتناهى
إليهم صوته وهو يقول

- أسرعوا إلي! إنني أختق! أختق! إنني أخن!

ثم تضائل الصوت وما لبث أن خمد.

ووثب بعض الرجال صوب المكتب ولكن اشتداد البيران صدعهم
خائين... كما أن الحداد ما سب أن انهار فسد السبل إلى المكتب

. وراح بعضهم يقول لبعض:

- مسكين جاك جارود!.. لقد ذهب ضحية شهامة!

وعلى وهم اجهود الهائلة المتواصلة التي بذلها رجال المظالم فقد
أتته البراءة على المصع ولم تبق منه شئاً فاستحال ركاباً وجدواتاً
متهدمة

وكان الجمهور المنتشد يتحدث في هذه الكبة ويتناول من
سرهما وبدا المحاسب أشد القوم وطأة عن السيدة فورييه إذ كان لا
يملك بضرب كفا يكف ويقول :

- تبا لهذه الأثمة ! إنها هي التي أحرق المصع وكانت سبباً في
مصرع السيد لا برو وجاك جازود . .

وماذا دعا من رئيس الشرطة وقال يلكه :

- من أنت ؟

- إني محاسب المصع

- لقد فهمت من حديثك أنك تهم أحداً فمأنا نعي ؟

- نعم إني أتهم بوابه المصع السيدة جان فورييه

- أديك دليل عليها ؟

- ختمناؤها إن موارها في هذه النقطة المخرجة هو في ذلته أكرى
دين عسى إجرامها ؟ إني موثر أنها م تشرت ريت اليتورل إلا
لتحرق به المصع

- وما الذي يدعها إلى ارتكاب هذه الجريمة ؟

- حصدها عن صاحب المصع فقد أئدها منذ يومين

بالاستغناء عن خدماتها

- وأين جثة القتيل الثاني لقد سمعتك تقول إنها قتلت رجلين ؟

- القتيل الثاني ؟ سيدي هو مراقب المصع السيد جاك جازود

لقد اسلم المكنب المتأجج بسعد خزانة المدير معشر على الجثة

وأخرجها إلها ثم ارتد إلى المكتب ثانية ولكن البراءة أهدقت به
لسمعه بصرخ مستجداً ولكن استحال عليه إنقاذه إذ تهدمت
بعض الجدران .

فقال رئيس الشرطة :

- حسناً - سئل أليست إلى محروك المركبات هناك البار لم تقم
إليه وهناك أتولى التحقيق المدني ريثما يحضر القاضي

ولم من ثم بعض رجاله ينقل الجثة .

ثم دعا إليه المحاسب وطرح عليه طائفة من الأسئلة عرفت منها أن
السيد لا برو مشمول وأن له ولداً في الثالثة من العمر يقيم عند عمته
في لريف وأن السيد لا برو ذهب إلى زيارة أخته وولده ولا ريب
أنه عاد ههنا ليلقى حتمه .

فقال رئيس الشرطة :

- أليست إذاً برفقة إلى أخت السيد لا برو أليست فيها بمصرعه .

- نعم يا سيدي

وراح رئيس الشرطة يلصق تقريراً تمهيدياً بشقيقه إلى قاضي
الحقيق الذي سيتولى الأمر

- ٧ -

حملت جان طعلها واتعلت قائمه على وجهها صوب البحر
وكانت تتوقف عن السير عائنه مدعورة وترسل بصورها من حين
إلى آخر ناحية البراءة فتوجهه عشد رعبها وتشد رقة في لابتعاد
عن هذا الأثون المتأجج

وكانت كلما أدركها الإعياء كلما انطرحت على أحشائها تلتئم

الراحة وضمت ملعبها إلى صدرها وراحت تقبله فيكمش المكبي
إلى صدرها كأنه يجد في هذه القبلات ما يرد عنه لدعات الفرد
القلارس .

وكانت لا تفتأ تقول لنفسها :

- ترى إلى أين أسفني - ولم صررت هاربة ! نعم - بقي أعلم
أنهم سيتهموني ! وقد اتعدهم الدليل الذي كنت أركن إليه للإثبات
برأيتي . فلم أجد مفرّاً من الهرب .

ودكرت النظرة الوحشية التي رمى بها جاك جارود حين رآه
يضم مديح المصع وترددت في سمعها عبارته حين قال لها في
تلك اللحظة

- ستلست التهمة من كل جانب ولا سبل لك إلى إنكارها !

رياء ! ماذا فعل هذا الأثيم ؟ وما قلدي دبر ؟

إنها هي التي بتاعت البترو من أحاثوب وسجدون الرجاجات
العارضة وطارها عقب الأحداث والكلمات التي ألغتها إلى السبد
لأبرو حين قالت له إنك لم تلتفت حيناً ! كل هذه شبهات وفرائس
لدمعها بالاثم !

وإذا طالت هذه الخواصر في دمعها اشتدّت إيماناً في الهرب

أشرقت الشمس وهي لا تزال هائمة على وجهها .

وعلى بعد رأت شرطيين يفودان امرأة مكبلة بالأغلال

أدركها الرعب والذروت حلف بعض الأشجار وهي تقول في
نفسها :

- رياء ! أياكون هنا مصري ! الأساق إلى السجن كما تلاق هذه

مرأة ؟ إنني يريته لم أجن إثمًا ، ومع ذلك نؤخذ بما اقترافه غيري !

وقراري ؟ إنه عمل يتلوي على المحاقاة ! كان ينبغي أن أبقي وأن
أصيح بالشرطة : هو ذا القاتل غابضاً عليه !

والآن ما عساي أصنع ؟ هل أعود ثانية ؟ وهل أستطيع لو أنني
حدث أن ألقى التهمة عن نفسي ؟ !

وقطع عليها هذه التصورات عيوب طفلها وهو يقول
- أماء ! بقي جالس .

عصر الحزن قلب المسكينة وانهمرت عبراتها وغصمت نفوس
- صبراً يا بني ! إذا ما وصلك إلى القرية جئت بك بالطعام
- بقي تمب يا أماء لا تقري على السير !

فحملته من جديد وسارت به وهي تترنح نشدة إعيائها
وأحبراً لاحت لها مباتي القرية فأرقدت طفلها على العشب
وذهبت

- انتظري هنا يا جورج حتى أعود إليك بالطعام .

- سأنتظرك يا أماء !

- ألا يحاف وحيدك ؟

- كلا ! فإن جولدي معي يندفع هي !

واحنس جواده وأغمض عيبيه وما بث أن عرف في اليوم .
تبعته عنه أمه وقلها يتصنع

في غضون ذلك كمل القاضي التحقيق مع حضر إلى المصنع وتولى
التحقيق ولمر يتمشى للمصنع تعيناً دقيقاً لمعرفة السبب في اشتعال
النيران

ودرج إليه رجال الشرطة يحملون رجاجات وبت البترول العارضة
وقال القاضي يسأل المحاسب :

- أرايت هذه الزجاجات من قبل؟

- نعم . . . فقد رأيت جان فورتيه تملأها بزيت السرور .

- هل لك أن تذكر لي كلمات الزعيم التي ألقاها جان إلى

صاحب المصنع؟

- نعم يا سيدي . حين أئذرها بالاستعداد عنها قالت له : «احذر

فإنك لن تسمى حياً» وهذا قول صريح في التهديد يا سيدي

القاضي . وكان سبوكها حماله يذل على الحقد وعلى في المعص

يتأجج في صدرها .

- أعتقد أن الانتقام وحده هو السبب في هذه الجريمة؟

- لا شك في ذلك يا سيدي .

- أكلت الخزانة فارغة؟

- بل كان فيها ما يقرب من مائتي ألف فرنك .

- أيعلم أحد سواك بذلك؟

- نعم جاك مورو وجان لورتييه .

وتفرجت أسارير القاضي وأيقن أنه يرشك أن يخطئ اللئيم عن هذا

السرد . واستمرس المحاسب يقول .

- نعم . كان الإنسان يعلمان بالأمر . ولكن ما هي البراهين قد

اتهمت جاك للمسكين حين حاول أن ينتشل الخزنة من النار

وتابع القاضي تحقيقه . ثم تحول إلى رئيس الشرطة وقال له

- صدق ظني . إن الانتقام وحده لم يكن هو الدافع إلى

الجريمة . لقد كسرت الخزنة واستولت على المال ثم أشعلت النار

في المصنع إغواء لمعالم جرمتها . وعند معدتها الكتب فاجأها

سيد لا برو على غير انتظار فما كان منها إلا أن سقطت إلى صدره

هذه العجوة القاتلة !

وقال رئيس الشرطة

- ومن يستطيع امرأة أن تهشم خزانة حديدية؟

فانبرى المحاسب يقول

- نعم . فهي من طراز قديم سهل كسره بأقل جهد .

فنادى رئيس الشرطة يقول

- وما يدرينا أن النار لم تلتهم لها؟

فقال المحاسب

- هذا محال يا سيدي . فقد كان في الخزنة ثلاثة آلاف فرنك

وإذا ملو أنها بقيت في النار لانتصهرت ولرب ما دبرها !

وقال القاضي بكال الطيب

- أصرحت سرق الأداة التي قتل به السيد لا برو؟

- إنها في الغالب مبدية كبيرة وقد أصبحت القصب

- ولكن ما الذي حصل جان على أن تسرود بهذه المبدية وهي

نعرف أن صاحب المصنع حائب في الرقيم؟ إنني أعتقد أن لها

شريكاً . فإن امرأة لا تستطيع وحدها أن تتركب كسر هذه الجرائم

- ربما جاءت مبدية لتعظم بها خزانة .

- هذا جائز

واستدعى القاضي صاحبة حائوت البغالة فشهدت بأنها باعته

لجان فورتيه منذ يومين أربعة لترات من زيت بترول

ثم قصت عليه ما كان من أمر جان وكيف أنها قالت لها إنها

تتسنى أن تحصل على ألفين أو ثلاثة آلاف من المركبات

وتناول قاضي التحقيق في الأمر مع رئيس الشرطة وانتهى به

الأمر أخيراً إلى إصدار أمره بالقبض على جان فورتيه

إن التهمة لأصغرها بها ومحال أن تفتد الأدلة التي أخفيتها من كل
دحية

- ٨ -

في منتصف الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم معه كان القطار
المسافر إلى القاهرة يضم في أحد صالوناته رجلاً ثدياً هيبته على أنه
من رجال الأعمال الأثرياء .
وكان ناشراً أمامه أوراقاً ينظر فيها باهتمام وقد استغرقه التفكير
ولم يفت أسيره عن الاغتياب

أما هذا الرجل فما كان إلا بطلت جاك جارود وقد تنكر وصنع
شعره . وما كانت الأوراق المنشورة أمامه إلا رسومات الاختراع
الذي سرقه من خزانة السيد لافرو .

والواقع أنه حين اقتحم جارود البيروا راعماً أنه يعني فتشال
الخرانة بامر بالخروج من باب المكتب الخلفي بعد أن أرسل صراحة
استماعة داوية حين رأى الجدار بهار حتى يوهم القوم المتشددين في
الجدار بلفظ فوقه وأنه ذهب طعمة بنظر .

تسلل جارود من الباب الخلفي وقد اتخذ من الظلمات ستراً
والغلق إلى غرفته والقوم يظنون أنه ذهب ضحية شهامة وشجاعة
وقد أمضى سحابة النهار مروعاً في الغابة حتى لا يقع عليه بصر
إنسان . ولجأ إلى المساء التالي تسلل من مخبئه وسافر إلى القاهرة
ونزل في أحد الفنادق متخفلاً اسم بول هرمان .

إنه اسم صديق له من العمال كان يشاطره غرفته ثم نزل به
للمرض فنقل إلى المستشفى . وهناك أعزته المنية . فما كان من
جاك جارود إلا أن احتفظ بأوراقه الشخصية .

والآن أصبح في وسعه أن يستعمل هذه الأوراق وأن يتجسس دوماً
يرد بها شبهات الشرطة . وإن لارتاب أحد في أنه بس بول هرمان
ليرو أوراقه الشخصية فتكون الدليل الدامع الذي يقنع كل شبهة أو
ريبة

حين جاءت جنات فورتييه بالطعام أصابت منه هي وطعها
كمايتهما ثم استلقى الاثنان على العشب واستمرقا في النوم
وحين استيقظا كانت أشعة الشمس قد سمعت الأرض والحيات
العاصفة العتية .

وغمغم جورج يقول :

- أمامه .. إلى جاني .

فصمته إلى صدره واستلأت عنهاها بالعصيات . إذ تصورت
المصير المجمع الذي ينتظر ولدها من حري وتشرده

وراحت تقدم إليه الطعام وتحبه من يمسها لأنها كانت تعلم أن
الليل الذي لديها لا يعد جوع كثير

وتلقت الساعات وهما منزهان في العلية إذ رأيت من الحكمة أن
لا تدخل القرية في وضوح النهار .

وحبط الليل واشتعلت الظلمة الأرض

وقامت جاك تخرج رجلها جراً وتشرع قدمها من الأرض بجهد
كأن دكتا إليها بالمسامير . وسارت صوب قرية شيمري القرية

ثم اقتربت جان من منزل كامل القرية الأب فيكس لوجييه وفي
إعواء شديد رفعت يدها تطرق الباب

وأعلنت الخلاعة مسرعة نظور من الطارق . فتحت الباب ونظرت
إلى جان وهي تعمل جورج والإلهاء ناد على وجهها

وقالت جان بصوت حاقب يدل على الضعف

- أيمكنني أن أقضي الليل عندكم

- بكل تأكيد - لحظة واحدة حتى أتي الأب

وبعد خطوات جاء الأب بحسه ليجد جان طريحه على الأرض وقد أدركه الإغماء

وندى الكاهن أخوته كلاريس ونقلوا للرثة المسكينة إلى داخل البيت وما رآها حتى أضاف وقال الكاهن

- أطلب ظني أن ابصر هو سبب هذا الإغماء

وحمل إليها مع أخته فدرأ كاهباً من الطعام ومضى الاثنان يتحدثان إليها برقي وعطف حتى شعرت أنها بين أهلها وفي كنف لوم يحبونهم ويعطفون عليها

وتناوبت جان يد الأب فانهالت عليها ثماً وثقيلاً وقالت :

- أشكرك يا الله ! أشكرك بكل جوارحي

- ٩ -

حين انتهى بآ تلك العاجلة الأليمة إلى أخت السيد لايرو حضرت إلى مديته لثورنغيل على عجل وقد استولت عليها الذهشة كانت المسكينة لا تصدق ما رأت أو سمعت ! كيف؟ منذ أربع وعشرين ساعة كان أخوها في دبرها يتحدث إليها سلجماً معلى ويكاشعها بمشاوره المسفليه وما يوسى أن يعمل باحترامه لمضاعفة ثروته

وفجأة تنهار هذه الأحلام يقش أخوها ويحرق مصحه

وتندوب الثروة الهائلة فلا يبقى لها أثر !

ولم أتبعها المحاسب ريكو أن جان موريبه هي لجانيه هتعت المرأة الكريمة القلب المنجوعة

ما هذا الذي تقول يا سيد ريكو ؟ لم يكن أخي يشد إلا هذه هذه المرأة وقد سألني أن أتحدها مسيرة بي فكيف يمكن أن تقدم على هذه الجرائم ! هذا مستحيل ! لا لا رب أن القضاء أخطأ .. وطالما أخطأ القضاء في أحكامه ! ولكن الأدلة ضدّها دافعه قوية !

فهربت كتمبها مرة من تذكر هذه الأقوال وقالت

- إن قلبي يحدثني أنها بريئة لم تجر ذباً !

ودراج المحاسب يتحدث إلى السيدة برناد من مركز أحياء المالبي بعد احتراق المصنع إن المصنع مدين بمئة ألف فرنك ولكن شركات التأمين ستولي دفع هذا الدين من قيمة التأمين قتالت السيدة برناد

- إن كان لأخي لايرو مودة في المصارف ؟

- كلاً فقد سحبها كلها من مصرف قبيل مصرعه وأودعها حراته إذ كان في يده أن يشتري آلات جديدة لتعيد احتراعه الأخير

- وأين هذا المال ؟

ودوى لها ما كان من سرقة هذا المال

قالت الأخت لتكني

- إنّا فلم يبق لأخي شيء من المال ؟

- نعم - عدا الأرض التي كان المصنع مقاماً فوقها ولكن من

فكانت السيدة برتان :

- إن لوسيند سيهم في كني وسانتولي الإلتاق عليه وأجعل منه رجلاً يحيي ذكرى أبيه

بعد أن ووري السيد لوبرو معرو الأجير سافرت لسته برتان إلى باريس لعلها قاضي التحقيق

استهل القاضي حديثه معها بأن ليدى ألسه بلكبة التي نزلت بها ووعدها بالانقصاص من الفتلة فتهدت بأسى وقالت :

- وما يجديني القصاص ؟! ليس في ذلك ما يعميد إلي أخي المسكين

- هذا صحيح بكل أسف ولكن ينبغي ألا يذهب دمه هدراً !
وقالت السيدة برتان

- ولكن هل أنت عوف يا سيدي من أن جان مورتيه هي الثالثة ؟
ليس لدي شك في هذا يا سيدي .

- ولكن كيف يمكن لأمرته أن تقدم على الاعتراف هذه المخزائم كلها ؟

- إن أحقك يا سيدي بحث القوة والجرأة في أصعب المساء

- وعلام الحقد وقد كان أخي شديد الاهتمام بحبل هذه المرأة ؟

- بلوح لي أنك تجهين أنه ألقاها بالطرد منذ يومين

- لا أجهل ذلك يا سيدي ولكنني أعرف في الوقت ذاته أنه كان شديد الاهتمام بأمره وقد سألني أن أتعدها رقيقة لي وأقيمها عندي وصبت ذلك فعلاً وهو ما كان يوي طردها

قملأ وإنما أراد إقصاءها عن عمل يعتقد أنها لا تصنع به

فقال القاضي :

- ولكن أكنت جاز تعرف بما يوي أخوك من أجهها ؟

1 - لا أقل ذلك

- إذاً علا شبهة في أنها كانت حاقدة عليه وليس لدي دقة من الرينة في أنها هي الحاقبة ومع ذلك فاي دين أقوى من فرادها عقب الحادث ؟!

فهرت السيدة برتان رأسها وقالت :

- لا شك أن فرادها خفيق أن يثير الشبهات ! ولكن ما يدريك أنها هربت دحماً وفرها ؟

- وما الذي يرمعها إن كانت بريئة ؟! ثم إن شراء ريت البترول هو في ذاته دليل لا ينقض على انترافها هذه الجريمة

حككت السيد برتان عيبة ثم قالت

- إذاً فالتهمة ثمة عبيها ؟

- كل الثبوت

- ألم ينطرق الشك إلى دحك في شأن سواها من العمال في

الصنع ؟

فرمعا القاضي بنظرة فاحصة وقال :

- سيدي إن هذا الإلحاح في بي السهمة من جان مورتيه لا يمكن أن يأتي حصواً لا رب أنه قامت في نفسك شكوك ضد

سواها فانصحي إذاً وكاشعي بكل هواجك

- أصبت يا سيدي عندما رارني أخي بالأس لبياني أنه في

سميل اختراع آلة جديدة لنصقل تدر عليه الملايين فهو من

استبعد أن تكون هذه الجريمة المزدوجة قد ارتكبت ابتداء سرقة هذا الاختراع؟

- ومن أطلع أخوك أحداً على سر اختراعه؟

نعم - أطلع أحد مراقبي المصنع - وسأله المصنوع في حقل الاختراع ووعده بأن يحميه خمس الأرباح

- إذا طالت تهمين هذا المراقب بأنه هو الجاني؟

- هذا رأيي يا سيدي

- إنه رأي له وجهته على أنه حاك - وبني أن يؤخذ بالاعتبار ولكن من هو هذا المراقب؟

- إنه يدعى جاك جارود

فهر القاضي رأسه وقال :

- جاك جارود؟ إذا فقد النهارت شكوكك يا سيدي؟

- ولم؟

- لأن جاك جارود كان مثالا للشجاعة والشهامة - لقد التهمت الميران حين اقتحمها محاولاً أن يقتل خزانة أخيك

- حقاً - ما كنت أعلم ذلك - (في أسعة يد جري لساني بأنهم

وبعد حديث قصير اتصفت السيدة برتان بعد أن أكدت لها قاضي التحقيق أن دم أحبا لها يدعى هنرياً

- ٩٠ -

لقبي حاك نوربيه في بيت الأب لوجبيه من المصنع ما مدد بعض أحرانها أصاب طعماً شهاً - وراحه بعد إحياء - وموماً

بعد أرق - ولما نطلمها

وفي قاعة الاستقبال جلس الأب لوجيه يتحدث في شأنها إلى أخيه كلاريس وإلى صديق له من المصورين النافعين يدعى إتيان كاتل -

قال الأب إنه علم من هذه المكدودة أنه قادمة من المصورين ولكنهم لم تذكر له سبب هجرها - وقال معاً

- ولا رب عندي أن العاقبة هي التي دفعتها إلى الرحيل - فإن عيبتها تم من سلامة الطوية - وفي بيتي إن أجدها عملاً أو لا لزودها بقدر من المال -

وفيما كانوا في هذا الحديث إذ أقبل ساعي البريد يحمل الصحف

شر الأب إحدى الصحف وراح يقرأ - وتلعت عيناها عنواناً يقرأ من حرق المصنع -

وما إن قرأ له سطوراً حتى حضه :

- رياه - ما معنى هذا؟

فالتفت إليه أخيه والمصور يسألانه الأمر - فروي بهما ما كان من حرق المصنع وقتل صاحبه واتهامهم من تدعى جاك نوربيه بهذه الجريمة وكيف قرأت حادثة عقب الحادث مع طفلها جورج

دهش القوم لذلك دهشاً شديداً - إن أوصاف جناية تطبق تمام الانطاف على هذه المرأة التي لادب بهم - أوابها يدعى جورج كابن هذه المرأة -

وما عاد لديهم أدنى شك في أن هذه المرأة هي تلك المجرمة التي تطلبها الشرطة في كل مكان

قال المصور -

هذا عجيبه .. فإن لها وجه شريفة طلعرة!

وقال الكاهن

- مهلاً .. إنهم في كنسا وبعينا الأكل فليس من اللياقة أن سادر إلى اتهامها قبل أن تتبين حقيقه أمرها .. وسأحدث إليها برهة فقامت أخته

- وما الذي تروي أن تغمه إذا كانت هي المجرمة المستردة؟!

سأزودهم بقدر من المال وأسألهما الرحيل فما كنت لأشي بالمرأة لادث بسقف بيتي وطلبت حمايتي! ..

حين استيقظت جد من يومها دخل عليها الأب لوجيبه مع أخته والنصور تشكرته على ما فئت من عطفه وحمايت .. فقال لها

- ومن صار في وسلك مرافقة سمك الأك يا ابنتي؟

فتصرع وجهها احمراراً وغضت من بصرها وقالت

- الحق يا سبدي أنني ما هيئت هذه القرية إلا وهي بيتي أن أقيم فيها

وقد كنت على وشك أن أرجوك أن تجد لي عملاً ليعول به طعني!

- ألك طفلان إذا؟

- طفلة تبغ العمام أقمتها عند مريض في الريف .. وجورج هذا

- وأين زوجك؟ ..

- لقد مات

- ولكن كيف أسمى لك عملاً في هذه القرية قبل أن أعرف اسمك وقبل أن أطلع على أوراقت الشخصية؟

سرت الرعدة في أوصال المسكينة .. صلق الأب لوجيبه ليس

في وسعها أن تكتم أمرها طويلاً

وقضى الأب إلى ما عراها من اضطراب وقال يألها

- ما اسمك يا ابنتي؟

- جان

- وما نعتك؟

- هورتيه

فقال الأب على حجل -

- إذا فئت قادمة من الفورنيل؟

رفعت جان بصرها إلى الأب بطرة مبهة بالدهر وقالت

- فانت عالم بكل شيء إذا؟

- نعم .. إنني أعلم أنها المسكينة أو الشرطه تطبت في كل مكان

- ولية نعمة يوجهون إلي؟

- إسراق المصنع وقتل صاحبه!

دهشت بصرخة دافية :

- أشهد الله على أنني بريئة لم أجس ذباً! أقسم بيبي هذا الذي لا

أحب سواء في العالم أنني لم أرتكب هذه الجريمة

وكانت ميراث صوته متهدجة .. حافلة بالصدى

وببادل الكاهن وأخته والنصور نظرات تدن على عوط ما بالهم من

تأثر

وقال الكاهن مسترعلاً :

ولم هربت إذا ما فئت بريئة؟

- لم هربت؟ نعم... لم هربت؟ هذا هو السؤال الذي لا أكاد أعلم به جواباً! كاتب المريب والشبهات تكسني من كل جانب وكان بيدي دليل قاطع على براءتي... وحين تفقدته ولم أجده طمأنيتي اليأس فالتفتت هزينة.

- وأين ذهب هذا الدليل؟

- لا أدري... وإن لم يكن بيدي شك الآن في أن النار أشتعلت عندها اشتعلت لي غرفتني

ساد الصمت برهة... ثم قال للكاتب:

- هل لك يا ابنتي أن تروي لي قصتك كلها؟

وراحت جان تحدثه بكل ما كان من أمرها... منذ مات زوجها حين انفجرت الآلة فتنته إلى أن قرأت حادثة غلب الحريق حين رأت جاك جارود يقتل صاحب المصنع ولما فرغت من قصتها قال الأب لوجيه:

- قصة عجيبة... ولكنني أصدقك... إنني أطمئن أنك لا تكذبي ولكن الشيء الذي أعيايت فهمه هو موت جاك جارود فقلت جان في دهشة:

- وهل مات جاك جارود؟

- نعم... فقد جاء في الصحف أن...

وروى لها ما قرأ.

فنهضت جان

- هذه خدعة يا سيدي! جاك جارود يعدم على هذا العمل للتطوي عن الشهامة؟! إنني لأعرفه يا سيدي... إنه أشد الأشخاص حبة وخسة!

- ولكن الشرطة تحققت من موته؟

- تحققت من موته... وبلاء!... إنفاً غلتي هالكة! إذا كان قد مات

فلا سبيل إلى إثبات... نبي! لقد كنت أرجو أن تحصد المواجهة على

الإقرار بما فعل!

فقال الأب:

إني موقن من براءتك يا ابنتي وإن كان فراقك قد أثبت المهمة عليك... وأرى أن نخفي إلى الشرطة فتسلي نفسك وتحاولي أن تثبت براءتك... فقد يكون هذا أجدي عليك لأنك من يستطيع أن تطعن حجة طليقة طويلة.

- وما يكون من شأن ولدي يا أبتاه إذا ما ألقيت في السجن؟

إني لا أطيق فراقه!

- هذا ما لا مفر منه يا ابنتي... لا بد من هذا الفراق عاجلاً أو

أجلاً!

واتهممت العبرات من عينيها وزاحت تقول:

- وبلاء... أقضي عليّ بأن لا أرى ابني... وابني الذي عند

المرضع في الزيف؟!

فقال لها الأب يسري عنها

- ولكنك ستبين براءتك وتعودين إلى ولديك!

وأقبل صغيرها جورج حين رآه تبكي وألقى بنفسه بين درعها

وهو يقول

- لم تبكي يا أماء؟! دهيني قلبك!

شدت ذراعها حول بطن الصغير وعصر آخر قلبها وقنوب

أولئك التي شهدوا هذا الموقف

وفي هذه اللحظة قرع الباب .

دعرت جان لسا سمعت للقرع واللعط الذي يصحبه . وذهبت
يجري

- رياء ! لقد جاءوا ! لقد امثلوا إلى مكاني !

وضعت طفلها إلى صدرها كأنها تشد منه أو يحبسها وأن يرد
عنها القادمين !

فتح الباب ودخل العمدة يصحبه نمر من رجال الشرطة

لقدّم من الكاهن وحياء باحترام واعتذر إليه عن نهجه وفلان .

- أنا قادم باسم القاتون يا سيدي الأب

- أعلم ذلك - لاعتقال امرأة تدعى جان فورتيه !

- هو ذاك يا سيدي الأب - إنها متهمّة بالإحراق والقتل والسرقة !

فتملّكت جان عطوة نحو العمدة وصاحت :

- هذا كذب ! أتني برثة !

فقال لها العمدة .

- أنت جان فورتيه بوابة مصنع لايرو ؟

- نعم .

- فلاني أطلب عليك باسم القاتون إذا .

تهدج صوته واشتد بها اليأس وصاحت :

- انبطسوا علي ! واحكموا بالإعدام إن شئتم ! ولكن هذا السبب

معناه أنني أجتنيه ! إن أحكامكم من تهدم يرميني أو تشوهها ! إن
ذلك شهيد على براحتي

اقتربت منها أحد الجود وهم بأن يضع للقيّد الحديد في يديها
فارتدت مذهورة إلى الوراء وذهت

كلّا لا تقيدوني !

فقال لها الكاهن :

- امثلي يا فتتي - قما تجديك للمقاومة !

ومدت يديها إلى القيّد

ويكي طفلها ! راح يشج ويحول - وينظر إلى أمه من خلال
عينين ملائهما المبرات .

وحين سار بها أخذ تعلق بثوبها وهو يقرب

أمام لا ندعي ! إني خائف ! لا ندعي !

عذات

- لا نيك يا سي - يمكنك أن تأتي معي !

فقال رئيس الشرطة

- كلّا . هذا محظور .

فاشتد بأسها وصاحت

- ماذا ! أتباعدون بيني وبين ولدي ؟

- إنك ستذهبن إلى السجن . أما ابنك فيرسل إلى الملجأ !

شحب وجهها حين سمعت هذه الكلمات وصاحت

- الملجأ ! سي يودع في الملجأ ! محال ! الملجأ !

وتحوّلت إلى الكاهن - بطلت إليه يدها بتوسل وخسارة
وصاحت

- أي ! إنهم سيخرجون مني لسي ويودعونه الملجأ - سألتك بالله
أن تعيهم أن من الملجأ أن يدارق أم طفلها !

فقال الكاهن

- ادعني يا ابنتي فالمقاومة هير مجديه ولكن ابنتك لن يرسل
إلى السجن! سأجيب عدي وأتولى أمره حتى تشي براحتك وتعودي
إليه! أما إن حكم عليك بالسجن فسبطل جورج في وعائتي
ومحال أن ألتقي به... أطمئني يا ابنتي!
ودنت منها كلاريس أخت الكاهن وقالت:
- ثقي يا أختاه أن ابنك سيجد في أنا رشحا تعود إليه اسمه
الحقيقية

واتحدت العبرات من عيني جاك وهفت:
- رباه! انضي عني بأن لا أرى ابني؟! أي قلب يمكنه أن يحتفل
هذه النكبة؟! لا أبالي باتهامات تهال علي. ولا أبالي بالسجن
التي في ظلماته! أما أن يعرق يبي ويبس ولدي...!
وكان المرفق أليسا مسجعا لم يكن قلبها وحده هو الذي
ينفطر. وإن انفطرت معها قلوب جميع الحاضرين. وحتى أفراد
الشرطة لم يملك بعضهم أن يذرف الدموع!
رحمت كلاريس الطفل وكان لا يزال يبكي وقال له الكاهن:
- إن أمك مسافرة يا ببي. وستعود عاجلاً ونأثيك بلعبة جميلة
- وهل أبقيت هت؟
- نعم يا ببي... وسألهك كثيراً.
- إذا كانت أمي تريد أن أبقي هنا فلبقي!
فقلت جيان وقلبي يرجع:
- نعم... أبل هنا يا ببي!
- على شرط أن يعود عابلاً.
- نعم... سأعود عاجلاً.

ثم تحولت إلى أخت الكاهن وقالت لها:
- خديه يا سيدتي. اجعليه كإنه ولدك! أحبيه. وذكريه دائماً
بلعه وعلميه أن يحبها. قولي له إنها بركة لم تكن ديباً!
ثم ضمت ولدها إلى صدرها وانحنت عليه بالقبلاط وهتعت:
- ببي! إن أمك تصارقت مهرأ معها! لو أن الأمر كان بيدها
لظلت أثناء الليل وأطراف النهار تهتمك إلى صدرها وتعصرك
بقلبتها! إني أحبك فلا تنسي! لا تنسي!
ثم لوكه ظهرها وانطلقت مسرعة قبل أن تحرقها فواها
وفي ركن من الفناء كان المصور ينيب وألقاً يتأمل هذا المشهد في
سكون.

ولما تصرف القوم انصت إلى الكاهن وقال:
- سأجعل من هذا المشهد لوحة خالدة
وأخرج معركته وزسم فيها خطوطاً ودون بعض المدكرات
مثلت جنان مورنيه أمام قاضي التحقيق فقال لها:
- والآن هم نجيبين عن هذه التهمة الثلاثة الموجهة إليك؟
- ليس لدي إلا جواب واحد... هو أنني بريئة.
- ولم فررت حارة إنفا ما فعلت بريئة؟!
فلاذت بالصمت ولم تجب.
فعاد يقول:
- تكلمي... ما يملك لا نجيبين؟
- وما الجدوى وأنت لن تصدق حرفاً مما أقول؟
- هذا لأنك تكلمين!
- إني لا أنظر بحبر الحقيقة ولكن الأدلة كلها تزيد التهمة

- أنتكرين إذا أنت قتلت صاحب المصنع؟

- بلا رب

- وهل تنكرين أنك كنت حاقلة عليه؟

- طبعاً . . إذ ما الذي يدعوني إلى الحقد عليه؟

- لقد طردك من مصنعه .

- إنه لم يطردني يا سيدي . لقد وعدني بأن يعيد لي عملاً آخر

حين أدرك أنني لا أصلح حراسة الباب .

- وهل تنكرين أنك أنت التي احترقت المصنع؟

- كل الإنكار .

- وما دليلك على براءتك؟

- لا دليل لدي .

- ولكن الأدلة قاطعة تثبت أنك أنت المتهمة . أما اشترين من

بيت البرول قدرًا كبيرًا في يومين متتاليين؟

- هذا صحيح .

- وقد وجدت الزجاجات فارغة في ورشة النجارة وفي المكتب

- إنها إذا مكيدة ظهرت للإفطار بي !

- وقد كسرت الخزانة وسرقت ما فيها من أموال فلما فاجأك

السيد لا برو لم ترددي في قتله

بقالت بإصرار :

- أنا سم آخر . . ولم أسرق . . ولم أقتل !

فصحك قاضي التحقيق هزناً وقال .

- رواية حجة تسمى إقناعي ! اتعجبني غراً سادجاً !

- كنت أتوقع منك هذا من قبل يا سيدي ! نعم . . إنني أعلم أنك

لن تزامن بما أقول

- ووعينك للسيد لا برو . . أنتكرين أنك توعدته قبل الحادث بأن

قلت له إنك لن تلقى خيراً بعد طرحي ؟!

- نعم قلت له هذا . ولكني لم أكن أرمي إلى الوعيد

فصددت أن أقول إن اضطهاد لومة مسكية مثلي لا يمكن أن يكون

مدير خير . إنها كدمات عادية يجري بها السكك دائماً دون أن تحمل

مسمى الوعيد

- ولكنك كنت تعلمين أن في خزانته مالا إذ كنت حاضرة عندما

جاء المحاسب

- هذا صحيح يا سيدي . ولكن لم يعم الإنسان بوجود مال إلا

لنعم على سرقة ؟!

فقال القاضي وهو ينظر إليها بشك

- ومارك ؟! إنه وحده دليل قاطع على إجرامك !

- بل دليل على شعبي . فقد أفرغني من سمعت من القاتل .

- ويحك . أتريد أن تخولي إنك تعرفين القاتل ؟

- بل رأيته وهو يسدد القطعة المقاتلة إلى السيد لا برو

- ومن يكون هذا القاتل ؟

- جاك جارود مراقب المصنع !

فنهقه القاضي ضاحكاً وقال

- لما كان في وسحك أن تنهي رجلاً آخر ؟! أما وجدت غير ذلك

الذي مات شهيد مروحته وشهائمه ؟

لقد بلغني أنه مات
 - إذا كعب خطر لك أن تنهيه بعد ذلك؟
 - لأن تلك هي الحقيقة
 - وما برهانك عليها؟
 - كان لدي برهان فاجع
 - وأين هو؟
 - التهمة البراء في التهمة
 فصححت هازناً مرة أخرى ولعل
 - عجباً لك ، أتريدين مني أن أصدق كل حرف يجري به
 لسانك إنما سألتك البرهان وأبدل حجرت وعصرت ؟
 - هل لك يا سيدي القاضي أن تسمع حكايتي كلها؟
 - تكلمي ،
 فحدث بروي له قصتها كما دونتها لنكاح من قبل
 ولكن إن كانت جان قد نلت من الكاهن إيماناً ونصيفاً فما
 يلب من القاضي التخليط إلا إنكاراً وسحرية
 وحين مرحت من قصتها قال لها
 - ينبغي أن أشهد بأن بك عيلاً خصباً راثلاً
 ومع ذلك فقصت القصة تهدم معها بعضها تقولين إن جاك
 جزود بعث إليك بكتاب فيه الدليل القاطع على براءتك فما كان
 مصير هذا الكتاب؟ ألقته على لأرض فهل هذا ما يجعله لزم
 برسالة لها هذه المظورة؟
 وتقولين إن السيد لا برو كان شديد العطف عليك وإنك كنت غير
 حاقده عليه ومع هذا لم يحاولي أن تخدي يداً إلى إعادته وتب

تزين القاتل يسعد إليه الطعة للمسة ؟
 ثم إنك اخترت لتوجيه اتهامك رجلاً ميتاً حتى لا ينقض كلمة بما
 تقولين ؟
 كلاً يا سيدي إن هذه القصة الملتفة وإن بلغت من الحكمة
 والإشفاق حداً عظيماً إلا أنها لا يمكن أن تنفي ؟
 فهتعت المسكينة ياسر
 - لا دليل لدي على براءتي ولكني أئوئل إليك أن تؤمن بأنني
 لا أنطق إلا بالحقيقة .
 فقال لها القاضي
 - ألا تريين أنه يحسن بك أن تفري بأخفيفة بدلاً من هذه
 الدلووات والمجاوزات التي لن تجديك معها والتي قد يهدم مركزك
 سوماً ومخرجاً ؟
 - ولكنها الحقيقة هي تلك التي أكاشفت بها يا سيدي ؟
 فأدركته السأمة وحال
 - إذا ما كنت ما دلت مشقة بالإتكار ؟ هذا شأنك
 ودق الجرس وأمر بإرسالها إلى السجن
 بعد أيام مثلت جان قورنيه أمام المحكمة
 كانت الأدلة دامعة يراحم بعضها بعضاً أما المسكينة فلم يكن
 لديها دليل يمي واحد وكانت قصتها في رأي الجمهور والقضاة
 كقصة برواية خالصة لأوحى بها خيال خصب
 وأخيراً حلت اللحظة الزهيدة وطق القاضي بالحكم
 السحر الزويد !
 وأطلقت المسكينة صرخة داوية وترجعت معي عنها

صرخة أودعتها أحرانها الساحقة أودعتها حبها الراسخ لذلك
الصغير الذي حمل بيته ويته . . مدى الحياة

- ١١ -

كانت الباخرة بورفير تشق البحار صوب البلاد الأميركية وعلى
متنها جاك جارود . وقد اتحد لعمه اسم بول هرمان
وجاء أحد غيباط الباخرة عذب إقلاعه وراح ينادي بأسماء ركاب
الدرجة الأولى ويدفع إلى كل واحد أوراقه الشخصية
وكان جارود مستنداً إلى الحاجز مرسلًا البصر إلى البحر وهو
يعمل بين يمين تلك البلاد التي ارتكب فيها جريمة القتل
على أنه كان من حين إلى آخر يحتضن النظر إلى كهل تدل سمته
على أنه أميركي الجنسية . وكانت برفته ابنة الحساء
وطبق الضابط باسم بيومي مورنيمر والأكنة مورنيمر فلى الكهل
رايته النداء ثم دلف إليهما أوراثنهما .

وأخيراً طوى باسم جاك جارود ودفع إليه الأوراق
وكان بين ركاب الدرجة الثانية شاب يقرب ركاب الدرجة الأولى
يعصون ودرن قصد معين . . وكان يدعى أوليفر سوليمر
ولكن حين سمع اسم بول هرمان سرت في أوصاله رجفة وقال
في نفسه :

عجباً ! بول هرمان ابن خالي ! لقد حبناه متاً فإنا هو حي
بررق !

ولم يصره إلى جاك جارود في نظرة ماحضة . ثم قال في
منه

- هذا عجيب ! إنني لم أربس خالي إلا مرتين . ومع ذلك فلا
أرى بينه وبين هذا الرجل إلا شبيهاً غريباً ! ولكن ما يدري أنها
رجلان مختلفان وإن كلنا يحملان لهما واحداً ؟

تروى أوليفر سوليمر في الأمر برهة ثم قال في سره
- لا بد لي أن أكتسب لمر هذا الرجل الحقاً ابن خالي ؟ ولكن
كيف السبل إلى الاتصال به وركاب الدرجة الثانية محظور عليهم أن
يصعدوا إلى جناح الدرجة الأولى ؟

فلأبحث إليه إننا برسالة ندعوه فيها إلى مقابلتي
وعائد مقصوده وصعد إلى متن السفينة ووقف عن كذب من
حاجز الدرجة الأولى

واتفق في هذه اللحظة أن أقبل الأميركي بيومي مورنيمر فأشار
إليه أوليفر وقال :

- سيدي . أسمح بأن تسدي إليّ خدمة ؟
- بكل ارتياح

- إن بين ركاب الدرجة الأولى ابن خالي كنتنا بحسبه ميتاً
لهل لك أن تدعوه إلى مقابلتي إذ محظور علينا نحن ركاب الدرجة
الثانية أن نتقل إلى الجناح الخاص بكم ؟

- بكل ارتياح . وما اسم ابن خالك هذا ؟
- بول هرمان . أمّا لنا فأدعى أوليفر سوليمر
- حسناً . . سأدعوه إليك إننا

ومضى الأميركي إلى مكتب لإدارا وعهد إلى أحد الخدم بأن
يحمل الرسالة إلى من يدعى بول هرمان

ولمّا أنقضى الخدم إلى جاك جارود بالرسالة التي جاء يحملها
امتقع وجهه وقال -

- ولكنني لا أعرف أحداً بهذا الاسم؟

- إنه من أهالي ديجون يا سيدي وهو يقول إنه ابن خالك
وكان يحبك ميتاً

مهتف جاك جارود

- آه ابن عمتي أوليه سوبير هنا إني ذلت إليه

ومضى إلى غرفته مسرعاً تراجع أوراق تحقيق التحصية الخاصة
بيول هرمان ليبحث ما فيها من نسب والقباب وليبحث أن يول
هرمان ينحدر من أسرة سولير حقاً.

ثم راجع يقول في نفسه:

- وما حسبي أن أفعل الآن؟ إذا تحلفت عن ثقائه مرعاً لثرت
شبهاته وإن ذهبت فقد يتبين أنني مدّع كاذب... ومع ذلك فعن
ظهير أن أذهب...

فقد كانت الجرافة الشاذة المصيبة على ما قد بهجر بصفه من
وساوس

ومضى إليه بغير تردد

فدّخ كلى من الرجوبى صه إلى صاحبه وذكر اسم أسرته التي
يتنسب إليها مهتف أوليد

- إذا فانت ابن حالي لقد كنا بحبك ميتاً

- وكيف جاءكم هذا التبا؟

هدا ما جرث به الأكرس في بلدك منذ خمسة أعوام هيّة
ديجون أحد العمال هداماً من باريس وأنبأ أنك يفتك من في
استشنى مصحبه الصدفة وأصيب بحصى شديدة ما ليث أن
قضت عليها وفي غمره هذه التكب لم يحظر لأحد أن يتصل

بالشئى ليتبين الحقيقة ولا ريب أنك علمت بموتها

- نعم لقد يلحقني ألماً فحسرت لذلك حزناً شديداً

- وطبعاً سافرت إلى ديجون وأصبحت الإرث الذي خلفته لك
طبعاً.

- لئلا أنا ظلم أصب شيئاً

إذا فقد مات ليراثك؟

- نعم منذ عامين لقد اندثرت أسرتنا فلم يعد باقياً من أسرة
سولير سواي ومن أسرة هرمان سواك

ثم انشم وقال مسترسلاً

- إننا لم نلتق منذ ستة أعوام... ولو لم يذكر اسمك أمامي لما
عرفتك ولكن خبرني! تذكر اجتماع الأخير في مرسيليا؟ إنك لم
تكن في ذلك العهد ثرياً! فمن أين لك ما أرى عليك من مظاهر
الثراء؟

- لبي لست ثرياً ولكني لست فقيراً لقد وظفت إلى اختراع
خبر على بعض المال

مهر أوليد سولير رأسه وقال

- لا بدعشي أن تكون مخترعاً فقد كنت أيرعنا في مدرستي
شالون والصور والصلائح

مهتف جاك جارود وقال

- الحق أن أيام الدراسة كانت أياماً لا تنسى ولكن بم شتعل
الآن؟

- بمهتي معها

- وما هي مهتك؟

فقال أوليفد باستعجاب

- عجباً! أنيت أنتي ميكانيكي؟

قامتدرك جاك وقد علم أن لسانه قد رن وقال

- لم أنس طبعاً ولكن دعني شمرد قبلاً وإلى أي بلد

تقصد؟

- نيويورك -

- وهل تظن أن من السهل أن نجد لك عملاً فيها؟

- بن لقد وجدت فعلاً سأعمل ميكانيكياً في مصانع أميركي

بدعى بيومي مورتيمر

- أتعرفه إذا؟

- بالنظر إلى ذلك الأميركي الكهن الذي رأيته نظرت إلى اب

بافتان والحق أنها أجمل من بيريت -

- ومن تكون بيريت هذه؟

وبدت الدهشة على وجه أوليفد وقال :

- عجباً . كيف سبت بيريت؟ تلك الفتاة التي فنتك حاً

فيما مضى!

وللمرة الثانية عرف جاك أنه ارتكب خطأ أخرى!

وقال جاك مستدركاً

- لقد سبتنا لصور العهد بها

ولكن مع الاعتذار لم يحدث أوليفد وقال في هذه

- عجباً ما الذي دهاه؟ لقد سي أني ميكانيكي وسي

أترأه الي أجيها والمر لا سي حياته مثل هذه السهولة!

وعند جاك إلى تعبير مجرى الحديث على حبل فقال

- إذا فستعمل في مصانع نيومي مورتيمر؟

- نعم وتماقتت مع وكيله لمدة ثلاثة أعوام ومورتيمر هذا من

كبار المخترعين وقد اخترع منذ عهد هوب كة بلصعل ستحدث

عند ظهورها انقلاباً في عالم الصناعة .

ارتعد جاك جازود وشعبه لونه كة بلصقل! أترأه ستكون

لأهبة على تلك الآلة التي من أجل أن يسرق رسومها ارتكب ثلاث

جرائم رهيبة؟

وقال أوليفد سوليمر منزعجاً

- ولعلهم لجبرني في هذا النوع من الآلات اتفقوا معي على

حسمانة فرتك أجراً شهرياً

- هل لك أن تصف لي هذا الاختراع الجديد الذي يؤمل مورتيمر

أن يهز به الأسواق؟

مزج أوليفد سوليمر يحدث إلى حاله من التحسينات التي

أدخلها مورتيمر على كة القفل المعروفة .

وكان جاك في خلال ذلك قد خلج قيمته وراح يحسح جيبه الذي

لصق حرفاً

وكانت الصفحة التي صليج بها جاك شعره قد بدأت تزول لضي

خسة أيام عليها فمضى أوليفد إلى ما بين شعر ابن خاله وشعر

هذا الشاب المثل لسانه من اختلاف وقال في هذه

- عهدي شعر ابن خالي بول أسود فاحم لك هذا فشعره

مصبوغ بالسواد!

ولم يعد يعالجه أي شك في أن هذا الرجل مدع انتحل اسم بول

هرمان

ولم يعب على جاك جارود أن أوليد يرتب في أمره وقال في نفسه
- التوبن كي إذا هذا الشكوك إذ تحركت لم تنكس إلا بما يلعب
مرقة اليقين

وتصالح الرجلان وانصرف كل إلى شأنه
في رواية معرلة من السمينة وقف أوليد سريماً يتدبر الأمور إنه
الآن موسم من أن هذا الرجل دهمي ألقا - ولكن ما غلبته من
انتحال اسم بول هرمان؟ وما كان ابن حاله غنياً وما يرجى خير من
استعارة اسمه؟

وقضى لو أنه مرر بالدرجة الأولى حتى يسهل عليه مرهبة هذا
الدَّهْمِي ولكن من أين له المال الذي يمكنه من الانتقال إلى إحدى
غرف الدرجة الأولى؟

وفيما كانت هذه الأفكار تمرر دمه جانب به لفتة مرأى رجلاً
في الخامسة والستين يصعد إلى متن السمينة وهو يحمل كيساً من
الجند مشدوداً إلى وسطه
قال أوليد في نفسه

- في هذا الكيس سنون ألقاً من الفريكلت من الأوراق الضخمة
لقد رايه بنفسه يحصبه - ألا لبتني استطع أن أسرقها لأتغل فوراً
إلى جناح الدرجة الأولى .

وراح يسير على السمينة حثاً ودعاباً وهو يفكر في وسيلة يسرق
بها هذا الكيس
وفي حطّره مرّ برجلين يتحدّثان بصوت منخفض وكتب
كلماتهما تنامي إلى سمعه

ومن حديثهما عرف أن أحدهما طبيب وآخر من أهل كندا
كان الكندي يتحقّق عن تواء عجيب يصنعه اليهود الأحمر من
بعض الأعشاب التي تبث في مجاهل أمريكا من خصائصه أنه
يزيل اللحم في خلال ساعات قليلة مهما كانت مرثة مستعصية
هلى أن خاصيته الكبرى العجيبة كانت في إزهاام من يشاوب منه
ملقحة صغيرة على الإنشاء بكل ما يخفي - إذ يصاب بهديان وتني
لا بطول أكثر من ربع ساعة يروح في حلاله بكل أسرار
ومال أوليد سوليصر في نفسه وهو يسترق السمع إلى هذا
الحديث

- لو تني ظفرت بملقحة من هذا الشراب لانتزعت من ابن خالي
أسراره التي يتكتمها
وقال الطبيب الشاب :

- الحق أنه أكسير عجيب ولكني لا أصدق هذه المزاعم إلا إذا
لعت بنجربة هذا الأكسير بنفسه ، فأين يمكن أن أجده؟
قال الكندي مجيئاً

- في ميونرك - عند شوشيليو . . رقم ٢٤ بلشارع الحادي
عشر .

ولسرع أوليد بدوى هذا العنوان في معركته وهو يقول في نفسه
- لا بد لي من ملقحة من هذا الأكسير !

في الوقت الذي كان فيه هذا الحديث يدرر بين الكندي والعجيب
كان جاك جارود في قاعة الاستقبال يتلمّس وسيلة إلى التعرف
بالأميركي ميومي مورتيير

التفت فرأى أنه تعرف على البيانو لحناً مريباً ممّا فرغ

منه أبدي إعجابه بما عزف وعبث بقول :

- بشد ما يعتني أن أصحى إلى الموسيقى الغربية !

فأبست له العنة وقالت

- أنت فرسي يا سيدي؟

وكانت هذه العبارة استهلال حديث غير قصير ذكر لها جاك في

خلاله أنه ميكانيكي وأنه يقصد نيويورك لزيارة مصانعها وقال

مستملاً

- ولا سيما مصانع مورتيمر التي يقال إنها من أعظم مصانع

نيويورك .

فأبست الفتاة ولم تقل له إنه إنما يتحدث إلى ابنة مورتيمر

عنه وإنما قالت

- وهل تعرف هذا الرجل يا سيدي؟

- كلا وإن كنت ألوي بطيعة الحال أن أعرف إليه .

- أتحب أن أتولى تقديمه إليك؟

- إنني أكون شاكرًا ممتنًا إذا فلتت تعرفيه؟

فأبست ههين وقالت

- إنه أيي !

فتظاهر جاك بالدعش وقال :

- أبوك أدهي أعتش إذا يا آنستي فهو من موبغ هذا العصر

- دهني إذا أقدمك إليه . . ما استطك يا سيدي؟

- بول هرمان .

- هيا بنا إليه

سارت العنة سول هرمان إلى ليها وعبثه إليه مرحب .

الأميركي وراحا يتحدثان عن الحالة الصناعية والاحترافات

الميكانيكية الحديثة .

وراح مورتيمر يتحدث عن آلة الخياطة المعروفة باسمه والتي

أخرجتها مصانعه وما أصاب من ورائها من أرباح جسيمة .

فقال جاك جارود :

- ولكن اسبح لي أن أقول إن فيها عيباً واحداً

- أي عيب يا ترى؟

- صوبها للزعج

فقال بيومي مورتيمر

- صدقت ولقد حاولت أن أتلقي هذا العيب وكترت له

جهود خمسة أهرام فلم أظفر بشيء

فأشتم جاك وقال :

- لو أنك كترت جهود خمسة أهرام حقاً لأفلحت حتماً !

- أنعمي أنك وقفت إلى ما قصرت أن دونه؟

- بجزر

- أيتكون فضولاً مني أن أسألك أن تحدثني عن الطريقة التي يمكن

بها ملافة هذا العيب؟

- وراح جاك جارود يشرح نظريته ببراعة ولباقة الميكانيكي

الذي يعهم مهته ويشارك فائقها .

فلما فرغ من إيضاحاته قال مورتيمر

- لا شك عندي أنك أصبحت تحتاج إلى هذا لاختراع خليك بأن

يسمى «آلة الخياطة الصامتة» متى نوي أن تخرجها إلى السوق؟

متى أنوي أن أخرجها إلى السوق؟ إنني لا أنوي إخراجها إلى

السوق مطلقاً . إني أتحسب لك عن هذا الاختراع الجديد
قَالَ الأميركي

- محال أن أقبِلَ هذا العرض . إن آلة الخياطة الصانعة جديدة بل
تدُرّ ربحاً عظيماً فكيف تتخلى عنها؟
فقال جاك جارود .

- إني مصر على التحلي بها حتى وبر أمتي بمئات الألف !
فقال مورتيمر في نفسه

- إنه فيما أرى شاب بهل . ألا ليتني أستطيع أن أجعله مديراً
مصانعي !
ثم قال

- إذا أردت سي أن أقبِلَ هذا الشرط فني شرط واحد
- وما هو؟

- أن تقاسمي الربح . إني أنا الذي اخترعت آلة الخياطة ولكن
أنت الذي أدخلت عليها هذا التحسين الجليل العائد . من حقتك
أن شاطري الربح .

فهر جاك جارود كتبه وقال

- أشكرك على هذا العرض الكريم . ولكني لا أريد أن أشمل
نصبي لأن بهذا المشروع الضئيل . فإن ذهبي مكثف بمشروع ضخم
- ألتوي أن تنشئ مصنعا في بلادنا؟

- نعم . . لإخراج آلات الصقل

واضطرب مورتيمر حين سمع هذه العبارة . وكان هذا هو ما
يرمي إليه جاك جارود

لقد عرف من أولفد سولسمر أن مورتيمر وفق إلى آلة جديدة

للصقل . فرمى يتحدث هذا إلى غايه بعده

وقال يومئذ مورتيمر متكئاً سره

- إني لا أظن أن من الممكن تحسين آلة الصقل المعروفة
فابتسم جارود وقال .

- وماذا تقول إذا أتيتك أمتي وفقت فعلاً إلى اختراعها؟
- ماذا تعني؟

- أتعني أن الآلة الموجودة تصقل الأجسام للسطحة . أما الآلة التي
أفكر في إخراجها فتصقل حتى الأجسام المقعرة

ما إن سمع مورتيمر هذه الكلمات حتى شحب بوجهه . فقد
كانت هذه هي بعينها الآلة التي يروي أن يفرو بها السوق أهل جاء
هذا الفرنسي لكي يراحمه ؟!

ومناد الصمت برهة . وكان مورتيمر في أثنائها غارقاً في
خروطره .

ثم رفع رأسه وقال

- أصح إلي يا صديقي . إني أريد أن أكاثمت يا أهنر في غير
سوارية أو حمراء ! لا ريب عندي في أن آلة الصقل الجديدة التي
صنعتني عنها ستدور عليك ربحاً جريلاً . ولكن ألا ترى أن من
المعروف أن تنشئ مصنعا في بلادنا وأنت غير خبير بعادات وطائها؟
- هذا صحيح . ولكن أيسمي أن أفعل غير هذا الذي حرمت
عليه؟

- طبعاً

- وكيف؟

- بأن تصبح شريكاً لي تقسمني الربح بدلاً من أن تجرد

بأموالك بإنشاء مصانع جديدة - وعيذك أن تبدأ عملك بإخراج
التي الخياطة والصقل على أن يكون لك نصف الأرباح - - وسأقدم
إليك لأن شباكاً تحت الحساب بخمسين ألف دولار

استطاع المرح جاك جارود - ولكنه أراد أن يبدي عاتقة استغراباً
للأميركي للوقوف في المصنع الذي ذهب له
والبرت هيبس تدخل في الأمر وقالت

- إذا رفضت يا سيدي أن تشارك أبي كنت كمن يهد صدقتنا
نقال جاك جارود باسماً :

- أمام هذا الرجاء لا أستطيع يا أنسي أن أترافع !
فشد موريس على يده وقال :

- إذا فقد أصبحت شريكاً - ولأن عيوني هل أنت متزوج ؟
- كلاً يا سيدي :

- إذا سافر لك في منزلي جناحاً تقيم فيه
- شكراً جزيلاً يا سيدي .

ثم قال في نفسه

- ولن نخفي شهر قليلة حتى أصبح رجلاً لائماً
حقاً لقد اتسم لي الحظ

ولكن حين طاعت يدهنه صورة أوليفر سوليفر الكهف وجهه وقال
في نفسه

- إنه هو الذي يمسح عليّ حياتي - ولكنني سأجد وسيلة أنهره
بها وأجعله أضيق لي من بناتي .

- ١٢ -

عند ظهر اليوم التالي احتشد الركاب على من الباخرة يتمرجون
على نارحة حريمه عمر من كتب

وترك جاك جارود المحتشدين ومضى يبحث عن أوليفر سوليفر
ولم يكن منزو من الباخرة لكنه مشرباً وفي يده خنجر يحدول أن
يحميه - فانزوى جاك جارود في ركن قريب ودبح برقاب ما يفعل
أوليفر - - وانه يفسر من رجل مستند إلى حاجز الباحة يتأمل البارجة
الطرية

رفع أوليفر ألبال الجاكينة فالتفت عن كيس مشدود إلى وسط
الرجل - فاجرى خنجره على أشرطة الكيس فالتقطت ودسه في
جيبه - ثم ارتد مسرعاً وسار إلى هرت

وبرر جاك من محبته وقال له

- ويحك ! ما الذي سرفت ؟

استمع وجه أوليفر سوليفر وقال وهو يتلعثم

- ماذا سرفت ؟ لا شيء طبعاً

- دهك من الإنكار فهو لا يجهلك !

وقضى على دواحه ودفعه إلى ركن بعيد عن الركاب وقال له :

- لقد رأيتك وأنت تسرق الكيس - ولا بد من إعادته إلى

صاحبه . لقد كنت شرف لسرتنا - ولولا ما أعتاه من الفضيحة
لدفعت بك إلى الزبائن ليرجك في السجن

فراح سوليفر يتوسل إليه أن يصفو عنه . فقال له جاك

- أهد إليّ هذا الكيس . وعبرني عما به

- إن فيه متين لك مرنك

- حسناً - انتظري حتى أرجع إليك - إنني ذاهب لأعيد المال

إلى صاحبه

انطلق جاك جارود إلى صاحب الكيس ودفعه إليه وهو يقول .

- أهذه كيسك يا سيدي؟

ويذهب نحس الرجل موضع كيسه ثم هب :

- وباه .. إنه هو بعينه

- لقد سرق منك وأناذا أعيده إليك . فانظر إذا كان قد نقص

منه شيء

أحصى الرجل أوراقه النقدية فوجدتها سليمة لم يفتس منها ورقة

واحدة فقال

- ولكن كيف وصل هذا الكيس إليك يا سيدي؟

- تعال معي إليك بالأمر

وسار به إلى سوليير الذي كان منروباً حتى ابتعد برقب ما

يجري

أوما إليه جاك وقال

- هذا يا سيدي هو الرجل الذي سرقك ! إنه يستحق العقاب

ولكني أعرف أنه من أسرة كريمة وأحب منك أن تمر له ما فعل

وراح سوليير يتوسل إليه .. فقال الرجل .

- أكراماً بهذا السيد أعفو عنك . ورحمة بأسررتك الشريفة

ولكن احذر أن تعترض طريقني بعد هذا وإلا ألفت بك في السجن !

واعلم أنني لن أنسى وجهك فكن على حذر . ولكن ما هو

اسمك؟

فقال جاك

- أوليد سوليير

وما إن سمع الرجل هذا الاسم حتى قال

- أوليد سوليير؟ إني أعرف هذا الرجل ! كان عادياً في شاطئ

الذهب .. وصل إلي الأمر مرة باعتضله بتهمة السرقة !

وأطرد سوليير لا يجرؤ على الإنكار أما جاك فقال

- إني لا أعرف من صاحبه ما تعرف . ولكن أرجوك أن تبر

برحمتك فلا تبلغ لمرء إلى الرهان

- سأكون عند كلمتي يا سيدي . إني شاكر لك ما فعلت

وسري أن ألتقي بك في سولي في بيروك . إني مقيم في رقم

٥٦ بالشارع الحادي عشر . واسمي ريميه بوسك . وقد كنت من

قبل من ضباط البوليس قسري ثم اعتزلت العمل

حين أنصرف الشرطي السليل وعلا جاك جارود بأوليد سوليير

قال له

- تبا لك يا ابن الحمة ! لا تكاد يلتقي بعد تلك العجبة الطويلة

حتى ترتكب هذه الجريمة الفاضحة على سمعي وبصري !

- صموا يا ابن الخال ! إنه إفراء أمان وأن فقير لا أملك سوى

مرتبي

- فقال جاك جارود باحتضار :

- لم يكن في الكيس إلا سنون لئلا يهل يدي وأنت مثل هذا

البلع الضئيل؟

وساد الصمت برهة . ثم قال جارود مسترسلاً

- إذا وعدتني بالطاعة المحببة مسحك ثروة جديدة بأن تدبر

الرئيس

هتف سوليير باغصا

- حقاً؟

بلا ريب

- إني إذا رمى إشارة منك وكيف أمك أن أعصي لك أمراً
وهي وسعت أن تزجي في السحر عفاً بي على هذه السرقة التي
لارتكبت؟

- وإن لم أشي بك إلا إذا أبيت أن تدهن لشيتي

- وما الذي تريه مني؟

- لا تخدشي إلا إذا كنا في حنة - مزي كنا تمام الناس وظهر
بأنث لا نعرفي - إني لا أحب أن يقال إنني أسرتي لها وضيقاً ولا
سيما أني أصبحت شريكاً لورتيير

فهل أنت أوليد سولير باستغراب؟

- أنت أصبحت شريكاً لورتيير؟

- وسأكون صهراً به عاجلاً - فاحذر أن تعصي إلا طردتك من
مصانع مورتيير - أما إذا ظهرت برضايتي سأرفع أجرك وأجعلك
مربياً للمصح كما أني لم أجد عليك بامولي
لقال سولير بغيث ودهله :

- إني أعلم أنك بحاجة إلى ممولوني ولا يعني أن أتعري
الأسباب إذ سبي من الأمر كنه أن تحشو جوبي بلال فاسحك لقاء
ذلك إرادة واضحة لإشارة منك ،

- إذا فقد انقلنا .

ودس جاك يده في جيبه فأخرج ررره من الأوراق المضطربة دفعها
إلى أومد وهو يقول

- وهذا مبلغ تحت الحساب تحقق منه حتى مبلغ نيويورك

- شكراً لك يا ابن الخنا العزير .

- صه - إني لا أحب أن أسمع هذا اللقب بعد الآن - إنيك أن
يعرف أحد من الناس أنني كنت إليك بصله من القرابة .

وحين خلا أوليد سولير بنعسه ذاك

- لقد تفرع مني في الخنا العزير متين للقاء من العرنكات بعد أن
استقرت في جيبتي - ولكن لا صبر عني من هذا ما دم في وسعي
أن ألك منه أضعافاً بعد ذلك - على كل حال أنا أعلم أنه يطوي
سراً خطيراً - وأنه قد انتحل اسم بول هرمان إلا بعناية شديدة لمي
عنه - وسأكشف سره وأتحدث منه سراحاً أوعده به إن ضمن عليّ
بذلك - ولا سبيل لي إلى معرفة ما يخطر إلا باستعمال إكسبر
الحققة . - فلا تتردد إذا حتى أبلغ نيويورك .

وفي نيويورك تحققت أحلام جاك جارود .

لم يمض شهران حتى تقدم إلى بيومي مورتيير يطلب يد ابنته
فأجابته إلى طلبه باغتيال .

وحضر أوليد سولير حفلة العرس . وأطلع على الأوراق المثبتة
لشخصية ابن حله وأنه يدهي بول هرمان . فقال في نفسه

- ربه - أنوتي كنت محظناً واحداً ؟؟ أكون هذا الرجل حقاً
ابن حالي ؟؟

لما جاك فراح يرفع من قدر سولير ويريد مربيته حتى أصبح بعد
شهور قلبه ماعداً للمراقبة يتقاضى مائتي دولار في الشهر
وتتابعت الأيام وسي حاله ماضيه !

لم يمد يذكر أنه مائل لقيم - وأن الاسم الذي يحملته متحول
مستعمل - لقد مات يعتقد أنه هو بول هرمان حقاً - وأنه إنما أصاب

من أصناف من مجد وثروة ونجاح يذكاه ويبرغه لا من طريق ذلك
 الاحراج الذي سرق رصوماته وقتل صاحبه
 انطوى الماضي ولم يعد يحيا إلا حاضره ومستقبله
 إلى أن جاء يوم قرأ فيه في الصحف أن القضاء الفرنسي حكم
 على من ندعى جان موريس بالسنجس المؤبد بتهمة القتل والسرقة
 والإحراق .

ثم ينقض في قلبه عرق بالرحمة لا ولم يؤبه ضميره على ما
 فعل واقترب من لقد شاع في نفسه الانهزام . وأبقى بالجملة إذ
 كان هذا الحكم آخر ستر يلقى على الماضي البغيض
 وهي الموت الذي كان فيه جاك جارود ينسجم لصنوره الحكم على
 جان كانت المسكبة في المستشفى تمناني تلك احسن القلبية التي
 حلت بها عقب إغمائها عند سماعها الحكم عليها .
 قدمت جان إلى المستشفى في حالة خطيرة ولما سميت كانت قد
 أصابته بوثة من الجنون

لم تعد تذكر من ماضيها شيئاً هي الأخرى غشي دماغها ستر
 من السجالات ولكنه كان من نوع يختلف عن ذلك الستار الذي غشي
 دماغ جاك جارود

كان جنوبها هادئاً ساكناً لا يصحبه شيء من التوربات فأيقن
 الأطباء أنها لا بد أن تشفى يوماً ما وإن طال بها الداء

أما ولده الصغير جورج فعاش في كنف الكليش الأب لوجه
 لقد اتحدته أخته كلاريس أسأ لها وأصبحت عليه اسم عائلتها فصار
 منذ تلك اللحظة يدعى جورج فلوريه .

وهكذا السدل الستر على قلاصبي البعيد ثم بعد ذلك من يذكر

منه شيئاً ؟

القاتل الأشم يروح في حاضره وقد نسي ماضيه ومنتهمه البرية
 جئت ميت عذابها وولدها والاس نزع عته لاسم الذي يربطه
 بمولده وارثه مخلوقاً جديداً

مات الماضي وإن كان هؤلاء أحياء

- ١٣ -

بعد مضي عام على هذه الاحداث دعا جاك جارود إلى عهده
 لوليد سوليير إليه وقال له

- أي مسافر خذاً لإيجاز صعقة كبيرة وأحب أن توافقي بهفتك
 المراقب العام للمصانع فتهياً بسر

وكان قول ما فعل سوليير استعداداً لهذه الرحلة أن ابتاع رجاجة
 من إكسبر الحقيقة من عند شوشيلين

لقد عرك على أن يضم هذه العرصة لانتزع سر جاك الخفي

وفيما كان القطار ينهب بهما الأرض قال جاك

- والآن أنبئي . . أليست راضياً عن حالتك ؟

- كل الرضاء ولا يخفى علي إلا أن أرتني مكرهاً على أن
 ألتزم على ما يبتا من صلة القرى

- آه . هذا سر لا تعرفه يا لوليد ! إلا لا بد من الحذر .

- وما الذي يدعوك إلى أن نلتزم دومي سر ثروتك إذ عهدي
 بك عبرا ليس لك سوى موتك ؟

- لقد اعتصمت إلى اختراع حرّ عليّ مالا كثيراً .

- أي اختراع هذا ؟

لم تدركه بحيرة أمام هذا السؤال وإنما قال
- لقد بعث حقوق هذا الاحترار إلى سواي ولم يعد من حقني
أن أنسبه إلى نفسي .
وآثر سوليمر أن يلود بالصلصت إذ عرف أن لا جدوى ترفعني من
طرح هذه الأسئلة وأنها قد تثير شيهات بول هرمان
وقال جاك بعد هبة لحيث مجرى الحديث
- ولكن كيف تمضي سهراتك في نيويورك؟
- هي مائدة القمار
- آه إذا فأنت من المقامرين! احذر منه جدير بأن يدفع بك
إلى التهكة .

فقال سوليمر
- لا أكتمك أن أموالني تنصيف كلها على المائدة الخضراء ولكني
أرجو أن يدركني الربيع عاجلاً
- سراب خادع! وأولئك أن تنصيف من هذه الخلة الذهبية
وأخيراً برلا القصد وتظلوا العشاء في غرمتهم الخاصة
وحمل إليهم الخادم القهوة . ونزل أوليد سوليمر معها في
الفدحين
واغشم هذه الفرصة و وضع في أحد الفدحين يضع فقط من
إكسبر الحقيقة

تناول جاك جارود القهوة وهو لا يدري سر الملكية المديرة
وبعد هبة ألقى يراحته على جبهه وقال
- إني أحسن نعتاً وصداً
ويد عليه الاضطراب

وابتهج سوليمر وعرف أن معمول الإكسبر قد بدأ
وقال جاك

- علي نقدح من الشراب .
وحمل إليه سوليمر قدحاً بعد قدح
ومساءً بدأ جاك جارود بضحك وبقهقه
وقال أوليد سوليمر بحاطب
- اسمع يا بول هرمان!
فقهقه جاك مرة أخرى وقال
- بول هرمان! أصبحت لن هذه هو اسمي أيها المليون؟
واستمرسل يتحدث

أحد السر يكشف واخذت لاستدر ترتفع مشراً بعد
ستر أ حتى لم يعد هناك ما هو مخفي من أمر جاك
وكانه سوليمر يصفي إلى هذا الحديث بذهول وعجب
ولمسيراً حين فرج جاك جارود من قصته أطق فعه وأغمي عليه
وحمله أوليد إلى مرآته وهو يتشم أنفاسه الطفر
وقال سوليمر في نفسه
- الآن عرفت سره! إنه مدح متعل كمد ونع في خاطري بوهنة
الأولى!

وعداً يصحو من غيبوته ولكنه لن يذكر شيئاً مما قال . بهذا
صعدت الكندي يحدث الطبيب
وضحك سوليمر ضحكه شيطانية وقال
- كان الأحسن يحب لنفي في قبعة يده والآن سيبري لها الذي
يصبح في قبعة صاحبه!

إني إذا كنت فقيراً الآن فلا شك أنني سأصبح من كبار الأغنياء
ما كنت قد وقعت على هذا السر . . . وسأقال من ثروة الذين لمخالفة
العزيزة كل ما أشتري وأبقي !

في صباح اليوم التالي استيقظ جاك من نومه وهو يعاني صداعاً
أليماً . . . فالتفت إلى صاحبه وقال .

- ترى ما الذي ذهاني ؟! إنني أشعر بإعياء شديد !

- لقد أصيب بالأمس بوجه فجائيته فصرعت كاللهائين وأخذت
تهدي وتبكي لخصاص بجرع .

- أهذي ! ماذا قلت ؟

- لا شيء . . . هديلان سخيف !

ورجعنا بعد يومين إلى نيويورك بعد أن انجبرنا للصعقة التي حطرا
من أجدها .

وما إن استقر أوليفر سوليفر في نيويورك حتى بعث برسالة إلى
ابنتي الذي قبل أن يحاله بول هرمان نائب فيه يستعصر من
حقيقة البؤس

وبعد شهر جاءه الرد من ابنتي . فكانت فيه صورة رسمية
من الشهادة التي تثبت وفاة بول هرمان

واتفرجت شفتا أوليفر سوليفر عن انشامه حبة وقال في نفسه
- الآن أصبح جاك حارود في نفسه يعني بعد أن كنت في قبضة يده

- ١٤ -

انقضت سبعة أعوام على هذه الحوادث

وفي شهر تشرين الثاني / نوفمبر من عام ١٨٧٠ شوهد معنى

بنت يتيو طرقت بقلده شيعري

وكان في أثر النعش ثلاثة أشخاص يكون الأب لوجيه كاهن
القرية وصديقه المصور إتيين . . . وغلام في الرابعة عشرة .

لما العلم كما كان إلا جورج ابن جاك فورنس . وقد أصبح الآن
يُدعى جورج داربي بدتته كلاريس داربي أخت الكاهن

لأن ذلك النعش لم يكن يقيم إلا جسد تلك المرأة الطيبة القلب
كلاريس

بعد حضرتها الوفاة وجاء ابنه بالتبني جورج من باريس مرصفاً
ببودعها القديع الأخير وما هوفا بشيعها إلى المقر الذي لا رجعة منه

عندما رحلوا إلى المنزل قال الكاهن يخاطب صديقه المصور

- لقد لوحنت أختي لجورج بكل ثرونها وأقامني وصياً عليه
- حناً فعلت .

فقال الكاهن

- وسأقدي بها ماوصي له بما أمسك على أن أقدمك وصياً فهو
أرحم مني مدبث ؟

- بكل أرياح . وسأوليه من حبي مثلما أريشاه

- شكراً لك . وسأكتب لك رسالة أكشفه فيها بحقيقة مولده على

أن لا ندمها إليه إلا إذا بلغ الرابعة والعشرين . فهل يمدني بذلك ؟

- بلا ريب

ودفع الكاهن كتابين إلى المصور إتيين أحدهما وصيه والآخر

رسالة منه إلى جورج يكشفه فيها سر مولده

ولم نخفي أساليب قليلة حتى لحق الكاهن بأخته وخلف جورج

في رعاية المصور إتيين كاستل

وفي الأسبوع نفسه الذي مات فيه الأب لوجيه أدركت المنية

لوجة جاك جارود ،

وكان جاك يحب زوجته حباً شديداً فحزن عليها وبغى قلبه
حسرات ولكنه وجد بعض العزاء في تلك الابنة التي خلعت لها
روحته الراحلة

كانت ابنة طفلة الجسم ضعيفة البنية تتأهبها الأمراض كثيراً
فأولم عليها حبه وأصبحت عنده هي الدنيا وما فيها
وكان سوليصر لا يزال يعيش في ركاب جاك جارود كلما
ضربت أمواليه كلما سأله بمحنة فلا يمس عليه جاك بما سأل
ومن أجل هذا لم يكن في حاجة إلى أن يتوخى بإمشاء سره
فظل جاك يجهل أن سوليصر على بنية من حقيقة أمره

وكان مخرب داريه عديم يدعى بوسيان تعرف به وهما يتلقيان
العلم في مدرسة هري الرابع
أما بوسيان هذا فما كان إلا ابن السيد لافرو صاحب المصنع الذي
اتهمته جان فورتيه بإحراقه .

وهكذا شاءت الأقدار أن تجمع بين ابن الفتاة - البرينة - وابن
القتيل !

حدثت أم جورج على لب بوسيان فقتله إنما لا يزال عجمت
بيهما لأوصار الصداقة والمودة وكان كل منهما يجهل سر الآخر
بل سر نفسه

وكان بوسيان قد سمع من عمته حكاية مصرع أبيه وعرف أن
القضاء أصدر بحكمه على امرأة تدعى جان فورتيه

ولكنه كان كتمته يؤمن إيماناً أعمى بأن جان بريئة وأن الجاني لا
يد أن يكون ذلك المدعو جاك جارود وأنه ما قتل له إلا ليرى

رسومات الاختراعات

والآن فلنعد إلى جان فورتيه .

كانت بريئة مستثنى الخبايا . وقد أحاسها كما ذكرنا بوقت
أنتها ماضيها فلم تعد تذكر منه شيئاً

وفي حلال ذلك العام الرعب عام ١٨٧٠ . الذي جتاح
فيه الجيوش الألمانية العاصمة باريس وغربتها بالقنابل سقطت ثلاث
قنابل على مستشفى الخبايا فهلك شطراً منه كما استعادت
التيران في أحد الأجنحة .

وقد جاز تنظر إلى التيران وهي تلتهم مستشفى
ونجاة انراحت الحجب عن عيبها وانكشف السر من
الخاصي

ذكرت ذلك المرحوم الذي رآه في الماضي منذ تسعة أعوام .
يلتهم مصنع السيد لافرو !

وعادت إليها ذاكرتها وشعبت من لوعة الجنون !
في صباح اليوم التالي للحادث دخل الطبيب على جان فأدهشه
ما رأى من تشك في نظراتها لم يعد لها ذلك الدهور المعهود
ولا هذا الشرود الذي كان يطالعه في عيها
ومالت جان تسأله

أبي أعلم يا سيدي أنك حييد وأني هنا في مستشفى
ولذلك أنه حكم علي بالسجن المؤبد بتهمة السرقة والقتل وإحراق
مصنع السيد لافرو المسكين بأي مستشفى هذا ؟
- مستشفى الخبايا .

- إذا فقد كنت محبوبة ولكني أشرأني شعيت الآن

- وهذا ما يبدو لي فقد كتب مصابة بصداع للذاكرة وهائلا
أرى أن ذاكرتك قد حادت إليك .

- وكلم مضى عليّ في هذا المستطفي؟

- إنك هنا منذ عام ١٨٦٢ ونحن الآن في عام ١٨٧٠

وراحت جان تستعسر منه عن بعض الشؤون فأبيلها أن أحدا لم
يسأل عنها في خلال هذه السوات النسخ .

ما إن سمعت جان هذه الكلمات حتى انفجرت باكيا وقالت

- ريتاه لقد كان لي ولد يدعى جورج وبس ندعى لوسي

فماذا حل بهما؟ وكيف لم يسأل عني أحدهما؟

وحين سكن روعها قالت للطبيب :

- وما يكون مصيري يا سيدي الطيب الآن بعد أن شعيت؟

- تُعادين إلى السجن ثابت

فأجهشت بالبكاء مرة أخرى وقالت .

- ريتاه أهلكا نفسي عليّ أن أمضي حياتي رهينة السجن لا ألقى
ولدي؟

وتركها الطبيب لأحزانها وانصرف

وبعد أسبوع نقلت إلى السجن

ما إن استقرت جان فورتية في السجن حتى سمعت برسالتين
إحدهما إلى الأب لوحيديه الذي كمل ابنها جورج والثانية إلى
المريض التي كانت تتولى إرضاع ابنتها لوسي .

ومرت بها أيام ثلاثة تنتظر كمن يتطلّى على الجمر

وأخيراً جاءها الرد .

الكتاب لأول من قرية شعري كتبه إليها الكاهن الجديد يقول

إني الكاهن السابق مذ موتي وإنه هو شخصاً لا يعلم شيئاً من أمر
تلك الحادثة التي ترونها

أما الكتاب الثاني فكان رسالتها نفسها التي كتبتها إلى الموضع

وقد أشارت عليها مصلحة البريد بهذه العبارة :

فماذا إلى المرسل لأن المرسل إليه غير معروف

وما إن تلّمت جان فورتية هاتين الرسالتين حتى كادت تجم

خوفاً ورياء وأصابها إغماء شديد لم تستع من إلا بعد ساعة

ولما سكن روعها راحت تفكر في أمرها فظالت في نفسها

- ريتاه أهلكا نفسي عليّ بأن لا أرى ولديّ مدى الحياة؟

ولكن لا ... ينبغي أن أفكر من هذا السجن ... سأهرب وأبحث

عنها ... سأبش الأرض سعياً وراءها حتى أعتدي إليهما

تلبعت الأيام بل الأعوام وهي لا تجد وسيلة تتمكن بها من

الفرار

سبعة أعوام وهي في ذلك السجن عدا النعمة الأعوام التي

أمضتها في مشفى المجنون !

عذاب متصل وأحزان يتعطر بها الفؤاد قلب أم تعرف أن

لها ولدين بصريان في الأرض ولا تعرف لهما مصيراً أو شيئاً

أتراهما ماتا؟ أتراهما يشغوران جوعاً؟ أهما من أهل الاستقامة

والشرف؟ أم تردّي في الهاوية فمسرق الولد أو فنل ورج في

السجن؟ ووجدت الآلة المكيه ذنباً يشرّط بطور عيبها؟

كانت هذه الخواطر لا تفتأ تدور في رأسها عاماً بعد عام

حتى انتظمت سبعة أعوام بالتنام

كانت جند في خلال هذه الأعوام مثلاً لحسن السموك بأمر مدير

السجن بنقلها إلى المستشفى رحمة بها وأمر بتعيينها ممرضة فكان لها راتب شهري تقاضاه وكان لها من الحرية حفظ حرمت من طينة الأعراس السابعة

وما انقضى عليها عام في المستشفى حتى عيب ربيبه للممرضات

وقد أمضت في المستشفى ثلاث سنوات وكانت بحكم مهنتها تحمل الأدوية إلى الأطباء في أثناء عيادتهم المرضى .

وفي يوم من الأيام اختتمت الممرضة ومرت رجاحة بها دواء موم أخذتها في صدرها حين الحاجة إليها

وأخيراً دقت ساعة القرار

كانت إحدى الراهبات تشاطر جان فورييه معدنها فلما أمسى المساء مرتحت جان بشراب الراهبة قليلاً من هذا السائل المخدر

جرت ذلك في مساء يوم السبت وقد اعتادت الراهبات أن يعادرن السجن في صباح كل أحد للذهاب إلى الكنيسة

وفي الصباح استيقظت جان مبكرة ونظرت إلى الراهبة ماكتفتها غارقه في نومها وعرفت أن المخدر هو الذي أبقاها نائمة

وأسرعت جان إلى رئيسة الراهبات ثم قالت لها

« إن الأخب مهمكة في تضديد جرح أحد المرضى وهي مرجوك أن تسمح لي بالمحاق كن في الكنيسة بعد فترة وجيزة

« حسناً . . وسأنبه على الباب

وكان هذا هو ما تبغيه جان .

ما كادت الراهبات يعادرن السجن فذهبن إلى الكنيسة حتى يادرن جان إلى ارتداء ثياب الراهبة التي تشاطرها معدنها وانطلق

من السجن وقد أرخت قبعتها على وجهها فلم يعض حارس الباب إلى حقيقة أمرها إذ كان يعلم أن هناك راهبة صوف تدعى بريلاتها اللواتي شادن قبلها

وهكذا بعد عشرين عاماً عادت جان فورييه السجن للمرة الأولى . . وتسمت نسيم الحرية

وراحت تضرب في الأرض بحثاً عن ولديها

ولتعد الآن إلى الوراء

منذ أربعة شهور كان جاك جارود جالساً يتحدث إلى ابنته وإلى ديس حنة : لويد سوليفر .

وكانت ابنته مديرة قد أومت على الكاشة عشرة ولكنها كانت خبيلة الجسم واحة الصحة إذ لرو لأطباء أنها مصابة بالسل الرئوي في مرتبة الضعيفة

وصلة الضفت ملوي إلى أبيها وقالت :

« أبنته . . كم تبلغ ثروتك ؟

نظر إليها باستغراب ولبت صامتاً

فعدت ترعد مزلها فقال :

إن دخلي السنوي يبلغ مائة ألف دولار

« إذا فشروك بمكي لك تقدر بعشرة ملايين دولار هذا

المصح ؟

فاختى رأسه إيجاباً فقالت :

كم قبة هك المصع؟

- مبيون دولار

- إذا يجب أن تبعه بهذا التمس

مصاح متعجبا

أريد مني أن أبيع مصمي؟

معم

- ولكن

- لا تعرض إنك واسع الثراء وما حدث في حاجة إلى

الحمل فلم لا تبيع هذا المصع على أن سافر بعد ذلك إلى فرنسا

فلنم في مدي الحياة؟

وجعل جاك جارد وأوليد يتبادلان نظرات لاستعجاب

واسترسلت الفتاة تقول:

- إنني أحب فرنسا وأريد أن أعيش وأموت فيها

فصاح جاك بلهجة المتعجب

- دعي حديث الموت يا ابنتي؟

كان يعلم أن ابنته مصلبة بالسسل الرقوي . وأن حياتها تخلص

بالأعوام وكانت كل إشارة منها إلى الموت غللا قلبه رهبا ولمره

حرما

وقالت الفتاة صاحكة

طبعاً لك أبي من رحيلي إلى فرنسا أن أصوت هناك

ولكني نوافة إلى أن أرى وطني وبعد هذه الحياة في هذه البلاد

تبعث السامة في نفسي .

- ولم لا نقيم في فرنسا شهرين أو ثلاثة ثم نعود إلى هذه

البلاد؟

ولكنها أصرت على رأيها وحاورها أبوه وتيسد سوليير في حواره!

كما كان من العادة إلا أن انزعجت باكياً

وأمام عبراتها تخالط الأب وتراجع كان يعلم أن كل دسعة

لغرفها إنما هي بصفة من حياة هذه الفتاة المصدرة المسلوكة! كان

يعلم أنه إن أعصبتها فقد أودعها من الموت وقضى على صحتها

الدمعة المرحمة بالهلاك

قال

- حساً . سأحقق مشيئتك يا ابنتي سأبيع مصمي هذا

ونرحل إلى فرنسا وهناك أنشئ مصعاً جديداً إذ لا يروق لي كما

تسمى أن أعيش دون عمل

والتمت الفتاة إلى أوليد سوليير وقالت

- وأنت يا سوليير ألا تنوي أن ترافقني إلى فرنسا؟

مهر كتبه وقال

- لا أدري

فمرت بنظرة حادة وقال

- يبي أعلم أنك تحاول أن تنهي أبي عن الرحيل ولكن جهنك

سصبح حيناً إلى الإقامة في هذه البلاد فأريت على نهايتها

ثم غادرت القاعة مسرعة وعيرتها لا تزال تنهد على وجعها

حين خلا الرجلان أحدهما إلى الآخر قال سوليير

- أعزمت حقاً على بيع مصمك والرحيل إلى فرنسا؟

- هذا لا ريب في ألا ترى أن صحتها على غاية من الضعف

وأني إن علقنتها فخص عليها بالهلاك؟

فقال سوليبر يعانه

- هذا الخناك منك أشبه بالضعف !

فهر جاك كتبه وقال :

- ومع ذلك قأبة خاية لي من البقاء في هذه البلاد؟ لقد أصبحت
هنا ربحاً جريلاً . وفي وسمي أن أنشئ في فرنسا مصنعا يباعني
مصنعي هنا وبذلك لي أنصر شيئا

وساد الصمت برهة . . ثم قال سوليبر

- إن لي معك حديثا

- نكلم

- هيا بنا إلى مكتبي عني أنشئ أن يسمنا أحد هنا

بدت أمارات الاستعجاب على وجه جاك جارود وقال

- وهل هذا الحديث يحضر إلى هذا الحد . ؟

- ستري

وإذ طمحا للمكتب قال سوليبر

- ما الذي تنوي أن تصنع بي بعد رجولك؟

- يمكنك أن تراقب فأعهد إليك بعض من مصنعي الحديد

- ولكن الإقامة لا لطيب لي في فرنسا

- ولم ؟

- لأن البوليس الفرنسي يطلبني

- وما يضيرك وقد سقط الحكم لضي المدة . ؟

- إنني أريد أن أبقى في هذه البلاد

- فبيكن إذا . . سأسال من يشتري مصنعي أن يتقدمك بأجر طيب

فارتفعت لتسامة راحة على شفتي أوليد وقال

- ولكني لا أريد هذا . ! فإن أريد أن أشتري مصنعك !

صنعك جاك وقال ساخرا

- تريد أن تشتري مصنعي ! ! لقد كنت أحببت يا بني من الفقراء

إذا بك من أصحاب الملايين !

فايسم أوليد مرة أخرى وقال

- لست من أصحاب الملايين كما تتوهم ! إنني فقير معدوم

ومع ذلك سأشتري مصنعك . .

- هذا عجيب ! دع عنك حديث الأحاجي والألغاز والصنع !

فقال سوليبر يهلوه :

- سيممي الصنع . . ثم تهدي شيكاً بخمسين ألف دولار لا يمكن

من إدارته

فقطب جاك جبينه وقال

- ولم أنعل هذا ؟

- ثمناً لسكوني !

- ثمناً لسكونك ؟ أنصبي أنصبي أمراً أنشئ أن يتكشف ؟

- أموتن كنت أيتها الصديق المرمز ؟

- ماذا تعني ؟

- أعني أن جاك جارود لا يستطيع أن يرجع إلى فرنسا إلا إذا

اتحدان إلى أن البوليس أن يعرف اسمه .

معر جاك جارود واقفاً وانفض عن سوليبر وقبض على درعه

يعتد وصاح .

- ما هذا الاسم الذي ذكرته ؟

- إنه اسم رجل أحرق مصنعا في ألفورتييل وقتل صاحبه وسرق

أمواله . وهذا الرجل هو أنت ؟

استمرى الرعب على جاك وهتف بصوت مختق .

- هذا كذب .. من أتياك بهذا ؟!

- شهادة وفاة بول هرمان الذي انتحلت اسمه .. إن لدي صورة

رسميه منها

- كذب وبهتان !

قال أوليد بهدوء :

- دعك من المروعة يا ابن الشغال العرير .. إن لدي برهين لا

تدحض .. ومع ذلك منك أن يذهب إلى فرنسا وأنت أمر عظمش

ما دمت ستبقي مصعك ! سنظل دائماً ذلك الرجل الشريف

البري . أنت جاك نوديه متظل دائماً في المهزلة الأثيمة

وساد المصمت برهة . ثم قال جاك وقد ملك روجه .

- إني لا أباني بتهديدك ! لقد سقط عني القناب لمضي المدة !

فصعك أوليد سولير وقال :

- مضي المدة .. إن أنطبق هذا على جرائم القتل والسرقة

والإحراق التي ترتكبتها منذ أكثر من خمسة عشر عاماً .. مهل يطبق

على جريمة اختلاس اسم بول هرمان وهي جريمة لا تزال قائمة ولا

تزال متبساً بها ؟!

فامتدح وجه جاك وقال :

- أتعني أنك تنوي أن تشي بي ؟

- هذا أمر متروك إليك ! إنك رجل واسع الثراء ولست في حاجة

إلى ما من جديد .. فلم لا تمحي مصعك ؟ إنك بذلك تشري

سمعتك وهناك بيتك المسكنة .

وزمجر جاك وقال بوحشية

- والله إن نفسي غلطني بأن أقتلك .

- وعلى بجديك هذا ! لقد كنت رسالة أردعها عند مجل

المنقود وأوصيت أن لا تفتح إلا بعد موتي .. وفي هذه الرسالة

أعطت اللثام عن شرك .. فإذا قتلني فلي تمضي أربع وعشرون ساعة

حتى تجد الشرطة تنقص عنيك وتسوقك إلى السجن

وساد المصمت مرة أخرى

وأحيراً قال جاك جارود

- حساً .. قلت شروعتك

- أحسب ! .. بذلك تنقذ سمعتك .

- فداً منذهب إلى المحامي لتحرير عقد البيع .

وفي صباح اليوم التالي أصبح أوليد سولير مالكاً للمصنع دون

أن يدفع دولاراً واحداً .. بل بعد أصاب أيضاً من ابن خاله شيكاً

بمئتين ألف دولار .

بعد المسرع كان جاك جارود في طريقه إلى فرنسا .. وحين هبطها

ابتاع أرضاً ليقيم عليها مصنفاً في ضواحي باريس

على أنه ما كان يشرع في البناء حتى تاضته الحكومة إلى التكم

وهالته بأن يشق طريقاً للحرود وسط هذه الأرض

ومضى جاك إلى صديق له من أصحاب المصارف يسأله أن يده

على معلم يرفع بكل إليه أمر هذه القضية

وقال المالي صاحبه

- أنا أعرف محامياً شاباً أصاب على حدة عهده شهرة عظيمة

- وما اسمه ؟

- جورج داريه .. رقم ١٩ شارع بولبير

ومضى جاك إلى مقابله المحامي الشاب

ولو أنكشفت حجب الماضي لعرف جاك أن هذا الشاب ما هو إلا

جورج فورتيه ابن تلك المرأة التي قضى عليها بالسجن للزنى
بتهمة ما لفتها لها إلا جاك جارود نفسه!

كان جورج فورتيه على دعم من الخمس والعشرين معلوماً من
كبار الضاميين

وقد اتحد له مكتباً في شارع بونابرت كان الداخلى إليه لا يملك إلا
أن يعجب بتلك المكتبة الضخمة التي أهداها إليه ولله الألب لوجيه .

وهي ركن من المكتب كنت ترى عموداً من الأبوس أقيم فوق
رأسه حصان من الخشب والكرتون .

كان هذا الحصان أثراً من آثار الطفولة يحتفظ به الخادم الشاب
ويحرص عليه حرصاً شديداً . وقد جلله بشرط أسود إجلاًلاً
لذكرى أمه كلاريس (أخت الكاهن) إذ لم يكن يعرف بعد أن أمه
هي جاك فورتيه .

وهكذا . . بعد إحدى وعشرين سنة قضى جاك جارود بين
صحة . . وكان كلاهما يجهل شخصية صاحبه .

روى جاك جارود للمصاحفي الشاب ما كان من أمر الخلاف الذي
شجر بينه وبين الحكومة في شأن حق المرور في أرضه

ولفت فرغ جورج دارييه من الاطلاع على الأوراق والمستندات
قال .

- إنك على حق يا سيدي في مناهضة الحكومة . إن حجبت
قوة وسريع القضية حتماً .

- إذا أرجوكم أن تتولأها هي ! .

بكل ارتياح . .

وبعد شهر اضحرت الحكومة أن تتراجع عن دعواها وأعلنت لحلا

جارود بالبناء بعد أن أيفت من الاطلاع على مذكرات مصاحبه أنها
خاسرة لو قاضته إلى المحاكم .

كان جاك جارود مضطراً في أذهب الأحياء إلى قضاء سبعة
بهاره خارج الدار ليتولى بنفسه مراقبة البناء .

ولكن ابنته لم تكن تلومه على تخلفه إذ كانت كرمات أصدقاء
ليها يوليها بالزيارة من حين إلى آخر . فكانت تجهد في بقائهم ما
يسري عنها

وبعد كان من الطبيعي أن جو باريس لا يلائم صحتها . إذ لم
تكد تخفي في تلك المدينة بضعة أسابيع حتى بدت عليها آثار العلة
الصدرية وازدادت بروراً . . ولكنها كانت تجهل أنها مصابة بالسل
الفرنزي . وكانت إذا ما رأب في وجه أبيها الحبوب والإشفاق
صحتت وحجبت لأمره .

وكانت ماري شديدة التأثر في ارتداء ثيابها فاخبرت لحباتها
السيدة أوجستين أربع غيباطات باريس وأحدنهن فتاً واثقناً .

وكان بين عاملات هذه الغيباطة فتاة تدعى لوسي أبت أن تزول
عملها في مشغل الغيباطة . وإنما أثرت أن تخرج في دارها ما تعهد
به إليها السيدة أوجستين

وكانت مدام لوفغنيش لشدة إعجابها بلوسي توفدها في بعض
الأحياء إلى بيوت صبياناتها لتقيس لهم الثياب وتصنع منها ما
يحتاج إلى تصليح

وكانت لوسي جميلة رضية الخلق . لم يعرف الناس عنها التبدل
والاستهتار شأن مشلاتها . كان لها خطيب يدعى بوسان يحترف
الرسم الميكانيكي علق بها وتم الاتفاق بينهما على الزواج

لم يكن الرسام لوسيان إلا ابن السيد لايرود صاحب المصنع الذي
قده جاك جارود

حين أتى الحريق على المصنع لم يبق للطفل المسكين دخل يبيع
بتمغاته فتكلمت به عمته - وإذ ماتت وهو في الحادية والعشرين من
العمر اضطر أن يحترف الرسم التماساً لأسباب الرزق
وانحله لوسيان مكاناً له عرفة في البيت الذي تشغل لوسي
الحياطة عرفة فيه

انتقياً يوماً على السلم - فلم يكن يذو من التعارف
وما لبثت الصداقة أن استعالت غراماً - وكان لوسيان يتمنى أن
يتحد لوسي زوجة له وما كان يرقه عن تحقيق أميته إلا مضروب
المال

والفصل خام كامل وما زال المسكين عاجزاً عن أن يدير شؤره
وكان ما يربحه لا يكاد يند حاجته .

وتم يكن لوسيان أهل يمدون إليها يد المصونة - لقد شئت في
أحد ملاحى الأطلال . فهي ذات يوم طرقت مريض باب المنجى
وأودعته طعنة صغيرة اسمها لوسي - هي لوسي هذه
قالت عنها مريض إن أم الطعنة أودعها لديها لترضعها وكانت
توالها يداها كل شهر - ثم انقطعت عنها فجأة فلم يكن في وسعها
لا أن تودعها المنجى

ولا ريب أن القارئ قد أدرك أن هذه الحياطة لوسي ما هي إلا ابنة
جاك لورتييه وشقيقة جورج طرنيه الخائى
وهكذا بدأت الحلقة نصيق - وأحلف لأتدار تلعب دورها

تعرف لوسيان لايرود بلوسي ابنة جاك وأحبها - واتصل جاك جارود
بليس ضحكت جاك أي الخفي جورج دبريه
ولم يبق إلا أن يتم الاتصال بين جاك وإليس القليل أي الرسام
لوسيان

في ذات يوم دخلت لوسي على لوسيان وهو في هولته فراه
شاحب الوجه هائر العينين فأخذت بيده وهاتت ترممه بصوت
عذب

- ما هنا يا لوسيان؟ ألم أحذرك من إرهاق صحتك بالعمل؟
إنك تكاد تقبل نفسك

- إنها رسومات يبيع أصحابها في سرعة بمجازها
- ولكن يبيع أي تفرق بصحتك؟
- وما عياني أفعل؟ إلي الخفي سحابة بهاري الجهول من مكان
إلى مكان باحثاً عن عمل - فلا يمر بي من أن أمضي ليل في
مجازها

وساد الصمت برهة ثم قالت لوسي
- إن زملائك في المدرسة من الأحياء لهم لا تلجأ إلى بعضهم
تسألهم أن يهتروا لك عملاً
فارتفعت على ثمة لسانه حرية وقال

- لجأت إليهم جميعاً فما وجدت منهم إلا القصد والإهراء
قالت لوسي

- حتى ذلك الضى الذي كنت لا تغنى فمدهه لمالي؟
- أتصير جورج طرنيه وميلي في مدرسه هنري الرابع؟
- نعم - عمل خيلته؟

- كلاً فاتي لا أعرف موته وقد كان يدرس الحقوق
- إذا فهو الآن من المحامين . ومن السهل الاعتناء إلى معرفه
فهو كتيبه وقال .

- إنه على أية حال لن يكون خيراً من سواء . .
- وما يدريك ؟! يحسن بك أن تمضي إلى لقاته .
- عدلاً أسمى إليه

وحيت لوسي خطيبها وتصرعت ذاعبة إلى السيدة أوجستين تحمل
إليها ثوباً جديداً .

حين دخلت لوسي إلى السيدة أوجستين ألفتها منهكة في تجرئة
ثوب على فتاة حسنة ذات شعر أشقر جميل
وأدركت لوسي على الفور أن هذه الفتاة لا بد أن تكون واسعة
الكسرة إذ لم يكن من عادة السيدة أوجستين أن تمهرب الشباب
بنفسها إلا للمنربات من عيالاتها .

والتمت السيدة أوجستين إلى لوسي وقالت

- لقد كنت متوشكة بأن أبعث في استدعائك ! هذا ثوب
للرقص يبني إنجازاه على عجل لأن الآلة ماري هرمك في حاجة
سريعة إليه

فالت ماري هرمك ابنة جاك جارود .

- أهذه هي الآلة التي ستولي غياطة ثوبي ؟ .

- نعم . . وهي من ألحج الماملات عندي
فالت ماري .

- سأكون في انتظارك في دار أبي في الصباح عادة . . فعسى أن
تجبره عاجلاً

وحين تصرعت ماري هرمك ذكرت السيدة أوجستين للوسي شيئاً
من الفتاة وقالت مشرقة :

- وأرجو أن تضاعمي الجهد فيها شديدة التألق في هدامها

ثم أباتها إلى الفتاة مصدرة وإن كانت لمجمل حقيقة دائها .

بر لوسيان بوعده لخطيبته فذهب إلى دار الحكمة واستمر من
حوال القاضي جورج داربييه فعمل له إنه مقيم في رقم ١٩ في شارع
بومبارب

فمضى إليه مسرعاً بشد لقاءه

في حضور ذلك كان جورج داربييه في مكتبه مهمكاً في مراجعة
إحدى القضايا حين دخل عليه ولته المصور إتين كاستل
ورحب جورج بالمصور الشهير وقال له :

- ينبغي أن أعتبك . لقد مضى أسبوعان لم أرك في خلالهما

فقال المصور متحناً بصدرة

- لقد كنت منهكاً في إنجاز بعض الصور ولكن كان في
وسمك لفت أن تزورني

- أرجو أن تلتصق لي حلاً من كثرة قضايائي

فقال المصور باسم :

- وقد التصت لك عذراً . والدليل أنني قادم اليوم لأستطرك

طعام المدا ولا تحدث إليك في شأن لوحة أريد أن أرسها

- وما موضوعها ؟

- لقد وقع الحادث الذي أثري أن أردد على اللوحة منذ إحدى

وعشرين سنة في منزل خالك الأب لوجييه كاهن قرية شبري

ولديك حواد مصوع من الكرمون كنت تلاحه عد وفزع الحادث

وأحب أن أستعيره منك

أتحني هذا الجواد؟ إنه تذكّار من أمي ومن أجل هذا أحرص عليه

وأشار إلى جواده الكرتوني القائم على رأس العمود الأبرسي وقال المصور مسترسلاً .

- نعم . . هذا هو الجواد الذي أحب أن أستعيره

- ولكن علام يدور موضوع الفوحة؟

- إنها قصة مؤثرة يتمم لها القلب رجال الشرطة بالتحقيق الدار ويسرقون امرأة مسكينة إلى السجن وسيظهر في هذه الصورة كثيرون منهم رجال الشرطة والعمدة وأمك وخالك الكاهن ولنا ولنت

فقال جورج باستغراب

- أنا؟

- نعم . فقد كنت تيكبي بكاء مرّاً كأنك عبراتك توملات إلى رجال الشرطة أن يضيقوا سرح هذه امرأة

- عجباً إني لا أذكر شيئاً من هذا الحادث

- هذا لأنك كنت في الثالثة من العمر ولكن حاول أن تتشبه

تذكرت وقع الحادث في حديقة وكان جوادك الكرتوني

هذا الجواد معك وكنت تفضيه إلى صفرك .

- وهل تنوي أن تبيع هذا الرسم؟

- ولم تسأل؟

لأنني أحب أن أقتنيه من عام سبقم صوره أمي وخالي وصورتك

فابتسم المصور وقال

- الطمن عيني أنوي أن أحميه إليك . وقد أردت أن أفاخث

به عندما أفرج منه ولكنك لتزعجت سريري .

وضحك الرجلان وشكره المحامي الشاب وقال يسأله

ولكن أخبرني ماذا جث هذه المرأة؟

- لقد اتهمت بالسرقة والقتل والإحراق

- وما كان مصير هذه المنكودة؟

- قُضي عليها بالسجن المؤبد

- إلّا فقد ثبتت التهمة ضدها؟

- طبعاً فقد كانت الأدلة قوية واضحة .

- وما اسمها؟

- لقد سميت لطول العهد به

في هذه اللحظة دخلت الخادمة تبيع سيدها بأن شاباً يدهي

لوسيان لايرد يطلب مقابلة .

عقب جورج دارويه بانتهاج

- إنه صديق لي من عهد الدراسة ولم يبق منذ خمسة أعوام

فقال المصور إتيين كاستل :

- لايرد؟ يحيل إليّ أمي سمعت بهذا الاسم من قبل

ويعد لحظات دخل الراتر فمصباح الشبان سحرارة وقدمه المحامي

إلى رليه المصور إتيين ثم راحا يتذاكران عهد الدراسة

وقال جورج دارويه

- مهدي بك مؤلفاً بالميكانيكيات فكيف حالك الآن؟ أرجو أن

تكون مديراً لأحد المصانع!

فهو لوسيان رأسه وقال .

- الوقع أن لحظ لم يتها لي

- كيف ذلك - وقد كنت أعلم أنك بلوح في ذلك؟

- ولكن براعتي لم تمنعني شيئا فاضطرت أن أحترف رسم الآلات السمايا للورق

فهذه جورج غاريه .

- كان ينبغي أن تحضر لزيارتي قبل ذلك حتى أبادر إلى السعي

لك هند من أحرف من أصحاب الصانع .

ثم قال معقبا

- أترعى بأن تتولى إدارة مصنع لصنع آلات المسكك الحديثة؟

- هذا جل ما أتمنى .

- حسا جدا - إن من عملاي فرسيا حاش في لسبري رما

طويلا - ثم ضبط فرسا في العهد الأخير وأنتا فيها مصما

وأحب أنه لن يرفض لي رجاء - إنه يدهي بول هرمان .

- بول هرمان شريك فيومي مورتيير؟

- هو بعينه . . أتعرفه؟

- كلا - ولكن له اسما داري الشهرة - إنه مخترع آلة الحياطة

الصائمة - ومخترع آلة الصقل الحديثة وهي شبيهة بالآلة التي كان

أبي مهكما في اخترعها قبل مصرعه كما أنبأني عمتي بذلك

فالبري المصور إيبس يقول .

- أكان أبوك من المخترعين؟ هل أنت ابن جون لا برو الذي اخترع

مصنعه مثل أكثر من عشرين هاما؟

- تماما يا سيدي - وقد مات أبي قتيلا في أثناء الحريق .

فقال جورج باستعراب

- عجبا - إنك لم تخشني مطعما عن هذه النكبة؟

- هذا لأنني لم أعلم بشئ إلا بعد وفاة عمتي - ولكن حبروني يا

سيدي أكنت صديقا لأبي؟

- لا لم أعرفه - ولكني سمعت الناس يرددون اسمه بعد هذا

الحادث فأنطج في ذاكرتي

ثم قال في نفسه

- يا للمصادفة! ها هوذا ابن القاتله يصبح صديقا لابن القتل؟

وقال جورج متسائلا

- وهل تضر على القاتل؟

فقال لوسيان محيا

- لقد ارتكبت امرأة هذه الجرائم وهوقبت بالسجن امؤيد

- امرأة؟

- نعم . - ولقد فرط حاربه قلب الحادث ولادت بيت كاهن قرية

شكري ولكن الجنحة لحقوا بها وقبضوا عليها

فلرسل جورج بصره إلى المصور بنظره استعسار فقال عدا

- نعم - إنها المرأة مصمها التي حلفتك عنها والتي أنوي أن

أرسمها في اللوحة

فقال لوسيان

- إنذا فقد رأيت هذه المرأة يا سيدي؟

- رأيتها وتحدثت إليها

- هل اعترفت بجرمها يا ترى؟

- بل فتكرتها بلأتم وأصرار - ولكن إنكرها لم يجدها معاً إذ

حكيم عليها .

فقال لوسيان :

- ليس الحكم دليلاً على صحة التهمة فلو أننا أخطأ القضاء

- ولكن الأدلة كانت دامغة حاسمة !

- ربما كانت الظروف هي القاهرة ولكن ما هو دليلك للشخصي

في هذه التهمة ما دمت قد تابعت أضوار القضية ؟

سكنت المصور هبة ثم قال

- ربما كانت مدبرة

فهمت لوسيان

- ربما ! إذا فأنت لست موقناً كما أيقن القضاة إنما أنا على موقف

من براءتها ! لقد قرأت يا سيدي تفاصيل الحادث في الصحف التي

كانت همتي تحتفظ بها وقد ألفت بعد قراءتها أن جان فورتييه

برئ من هذه التهم الثلاث ولقد كان هذا هو اعتقاد همتي

أيضاً

وقال جورج مستائلاً

- وبم دافع عن نفسها ؟

فقال لوسيان

- لقد اتهمت مراقب المصنع بارتكاب هذه الجرائم وهو يدعى

جياك جارود وأخبرت أنه كتب إليها رسالة حرام بدعواها فيها إلى

مرافقة عبد مرارة من فرنسا ولكنها لم تستطع أن تقدم هذه

الرسالة إلى المحكمة

فقال المصور إيتين

- وهل غاب عنك أن جاك جارود مات شهيداً لإحلامه وشهامته ؟

فقال لوسيان بإصرار

- إيتي موسى من أنه هو الجاني وب موته إلا خدعة جازت على

الناس جميعاً - وسوف لا يهدأ بي مال حتى أبيض الثام عن هذه

الخبرة وأسمى إلى إلقاء هذه المسكينة من سجنها المؤبد !

- وما جدوى إشغال الجريمة الآن على جاك جارود ومحاكمته فقد

أصبحت غير جائزة لمضي المدة ؟ !

فقال لوسيان بالتمهل :

- سأعرف كيف أنضم لمضي

- ترى ألا تزال جان فورتييه على قيد الحياة ؟

- هذا ما لا أهرقه .. ولكني سأستصر ..

فتبرى المحامي جورج دارييه يقول

- يمكنني أن أتولى منك هذا الأمر فهو خير عليّ بحكم مهنتي

ونطرق بينهما الحديث إلى ذكر الزواج فقال لوسيان

- إن لي خطيبة تدعى لوسي ولولا أسباب الفقر لا اقترنت بها في

غير سهال

- ومن تكون هذه الفتاة ؟

- إنها فتاة يتيمه نشأت في أحد ملاجئ الأيتام ولا نعرف اسم

اسرتها ولكنها من أكرم الفتيات

بلوح لي أنك تحبها ؟

- حياً جوتاً

- إذا أرجو أن أعتك عاجلاً بالرفاق

كتب لوسي تنظر عذبة خطيبها وقد ألحت عليها الدعوة فلما

رجع ابتدرته يقولها

- ماذا فعلت؟

- لقد أحس استغالي وألقى إليّ وعداً بمساعدتي

وروى لها ما جرى بينه وبين صديقه القديم

فنهضت لوسي باغباط

- آه .. لقد صدقت الأحلام .. آه .. لو صدقت !

في صباح اليوم التالي انطلق جورج ذريه إلى منزل جاك جارود

ليحدث إليه في شأن صديقه لوسيان لأبوي

ونكر^١ رب الفلر كذا غائباً قبل له أنه مسافر ولن يعود إلا بعد

أسبوعين أو ثلاثة

وساءت هذه الحيلة لجورج إذ كان متنبهاً إلى إساءة تلك الخدمة

إلى صديقه .

ولكنه كان يعرف أن لاري هرامن كلمة مسموعة عند أبيها فقال

في نفسه

- ولم لا أحدث إبيها في الأمر وأسلها العون

وطلب مقابلتها من فوراً

استقبلته الفتاة باسمته فقال يسألها

- كيف حالت يا آنسي الآن؟

- إن صحتي على ما يرام . -

ولكن أعمالها عاجها فتقطع عنها الحديث فقالت -

- ولولا هذا السعال البغيض لكت على لومر عاتية^٢

وكان جورج يعلم أنها مصابة بالس الزنوي^٣ وأنها تجهل حصة

فاتها - فتصمّع وقال :

- والأطباء .. ماذا يقولون؟

فضحكت باستخفافه وقالت

- الأطباء؟ ألا تبا لهم! لقد برئت بأدويتهم! إن هذا السعال ناشئ

عن التهاب بسيط في الحلق ومع ذلك يصعقون لي عشرات من

لأدوية

ثم عبرت مجرى الحديث وقالت

- أحسك جيت ترور لي؟ إنه غائب عن باريس لن يعود إلا بعد

ثلاثة أسابيع .. في أوائل الشهر المقبل .

- إننا نهل لي أن نشتد عورك يا آنسي في تعيين شات بارع من

أصدقاء المدرسة ملهراً لمصنع أبك الجديد؟ إنه يخرج مدرسة العون

والصانع

- أهو صديق حميم لك؟

- نعم يا آنسي . تعرفت به حين جمعتا المدرسة وهي طفولته

فإنل لونه وسرعت أسواقه فكلمته عنه فلا يسعه أن يعيش دون

عمل يعتمد عليه

فالت الفتاة ببراعة

- إني أكون سعيدة يا سيدي بأن أمد إليك يد العونة في هذا

الشأن قل لصديقك أن يوق من النجاح إن أبي لا يمكن أن

يرد لي طلباً فليحضر صديقك إلى ريناتي في اليوم الثالث من

الشهر القادم .. لأن لي سيمود في اليوم الثاني

وشكرها جورج وانصرف معبطاً وكتب إلى صديقه لوسيان

يرف إليه الشرى

- ١٧ -

وهكذا شامت الأقدار أن تجمع بين الأشخاص الذين اشتركوا في

- ١٣٧ -

بعد أو قرب في مأساة مصنع لا يروى وبدأت الصلوات تنعقد بينهم
لشدة وتقوى

ولم يبق غالباً منهم إلا جيل قوتي

هرمت حاك من السجن وهي بملابس الرعايات ولسروعت إلى
حانوت لبيع الشيب فابتاعت ثوباً عادياً وفي ركض مرو من الغناه
القرية اريدت ثيابها الجديدة ثم سارت إلى محطة السكة الحديدية
واستقلت القطار إلى باريس

ولم تكن جاد بالغية البلهاء كنت تعلم أن اكتشاف فرارها
لن يهول والد اليوليس سيكتشف حتماً أنها سافرت إلى باريس
فتربق وصولها والقيدها مهياً لها ينتظرها

لدى بلخ القطار إحدى المحطات القريبة من باريس هبطت به
واستقلت إحدى سيارات الأجرة إلى المدينة

بهذه الخدعة استطاعت أن تهرب من مطاردتها وفي رحمة المدينه
الخائفة كان من المستحيل الإهداء إليها إلا بعد جهود شاقة خارقة

لم تلبث جاد في باريس إلا فترة وجيزة تناولت فيها الطعام .
ثم سافرت من دورها إلى قرية شيمري ومصب إلى بيت الكاهن
وفي الطريق إليه استعادت في ذاكرتها تلك الصورة التي انطبعت
منذ أكثر من عشرين عاماً

رجال الشرطة يسوقونها إلى السجن وولدها جورج محتضر
جواده الكرتوني . - وكلاريس - أخت الأب لوجييه - تحاول أن
تسري عن الطفل المسكين أسرته وهمومه

وعرفت جاد باب الكاهن وطبعت معابكه قلماً مثلت في
حضرته قالت له

- سيدي الأب إن امرأة في باريس عهدت إلي بأن أستعسر
منك عن مسألة تمهيتها .

- سلمي ما بقا لك يا لبيسي .

- ألم يكن للكاهن السيد أخب ندعى كلاريس ؟

- نعم يا ابنتي ولكنها ماتت قبل وفاة الأب لوجييه بالسبع
ليلة ؟

- وكنت هذه الأخت تتولى قرية عمل صغير ؟

- هو ذاك . . إنه ابنها كما قيل لي

راجعت جاد

بها ؟ راء ؟ ألكون هي الأم ولا تخرج أن تقول ؟

واسترسلت قائلة

- أتعرف أين هذا القلعة الآن ؟

فهرز رأسه وقال

- كلا كل ما يلحقني أنه مقيم في باريس وأنه رار شيمري عند

وفاة جاد ثم ما لبث أن سافر مسرعاً مع أحد أصدقاء الأب لوجييه

- أتعرف اسم هذا الصديق ؟

- كلا

- ربما كان عمدة القرية على علم به ؟

- محال . . فقد مات العمدة السابق وحل مكانه ثان

- وأين خادمة الكاهن ؟ ألا تعرف عنها شيئاً ؟

- لقد ماتت هي أيضاً .

- أملت أخت الكاهن في هذه القرية ؟

- مع

- إذا فلا ريب أن اسمها مذكور في سجلات الكنيسة .
اطلعت عليها أمكن أن تعرف منها اسم الأخت ولعلها فتني لا أعرف
إلا أنها تدعى كلاريس . وبهذه الطريقة يمكن أن تهتدي إلى اسم
ابنها ولقبه ؟

- والحرب يا سيدي؟ أنيت أن الحرب خدمت ثلاثة أرباع منازل
القرية وأن سجلات الكنيسة احترقت فلم يعد بانياً منها شيء .
بيت أميرات إليس على وجه جان وقالت بمروءة
- ربه ! ألا يسعني إذا أن أهدم شيئاً ؟

استعرب الكاهن م تبدي هذه المرأة عن اهتمام وحرور فقال
- وما الذي يدعوك أنت شخصياً إلى هذا الاهتمام بهذه المسألة ؟
وأثار سؤاله غورها . فقد خفيث أن تكون بالخاصة قد أثارت
رغبته فقالت مستركة على عجل

- إني قادمة إليك يا سيدي بالبيبة عن صديقة لي في باريس
عهدت إليّ بالاستفسار ووعدتني بأجر جليل إن حسنها بما تريد من
بيانات . فهي تحب أن تعرف الاسم الذي كان يدعى به ابن السيدة
كلاريس أخت الكاهن

خرجت جان من عند الكاهن دون أن تحصل شيئاً من المعلومات
التي تريدها

ركعت عند باب الكنيسة وراحت تغطي بحرارة والعبوات تنهمر
من عينيها وتقول

- ربه ؟ م يكون الآن وما العمل ؟ إن ولدي يقيم في باريس كما
ذهب من الكاهن مع صديق لئلا يوجيبه . ولكن ترى أي

اسم قد اتخذ ما دامت كلاريس قد سبت إليها واتخذته ابناً لها ؟
لو أنني سألت أهل القرية لرأيهم أمرى . وري تكون الصحف قد
ذكرت الآن ما قراري . فلا أزال من هنا إلا إبرة الشبهات
ولسريع اعتقالي من جديد !
ثم نهدت وقالت

- بلوح لي أنني بدأت أصدق الرجاء في العثور على ولدي ؟
بلاحت بدأ عن ابنتي لوسي

وانطلقت من فورها إلى القرية التي كانت تقيم فيها الموضع التي
أرضعت ابنها قبلتها عند ظهر اليوم التالي

كانت تعلم أن الموضع غير موحدة في القرية ما دامت مصلحة
البريد قد أوجعت إليها الرسالة التي كتبتها إليها وهي في السجن .
ولكنها كانت ترجو أن تستمر معها من أهل القرية .

سارت إلى بيت الموضع . . . وحين أشرقت عليه جمعت مكانها
حائره مذهولة !

لعد ألقى المنزل ولم يجد ناقباً منه أي أثر . وفي مكانه قدم
مزل رطب كبير

دواحت جان تتحدث إلى اليسوية . . أبنائها المرأة أنها من أهل
قرية وأنها كانت تعرف مريضاً تدعى السيدة فرمي وأنها مانت في
مسي الحرب وكذلك مات ابنها

فقالت جان

- إنها كانت تتولى تربية طفله يدعى لوسي منذ عشرين عاماً فمن
تعرف من مغير هذه الطفلة الآن ؟

- م ذلك العهد لم أكن حفيضة في حواتي ولكن لا ريب أن

السيدة فرني سلب هذه الطفلة إلى الشرطة حين تحلف أهلها من
الحضور لاستلامها فأودعت أحد الملاجئ . . فليك يا إدارة الشرطة .

وللمرة الثانية طفت موجة جديدة من اليأس على جان قورتيه
عندها بإدارة الشرطة اعمم إنها تعلم أن تلك هي الوسيلة الوحيدة
للاعتداء إلى ابنتها ولكنها في الوقت ذاته الوسيلة الوحيدة لتفقد
إلى الأبد ما هو أن شرطياً وأما لبعض عبيد رافعا إلى السجن نوأ ؟

وفي اليوم نفسه غادرت قرية جواني واليأس يحضر مؤامرا
استأجرت جان لنفسها غرفة صغيرة تقيم فيها . وقد كانت مقفلة
على بابها خشية أن يبعد ما معها من مال قليل قبضته أجراً لها
حين كانت تعمل ممرضة في مستشفى السجن .

وعلى رغم اليأس الذي انتابها كانت تحاول على أن تواصل
البحث عن ولدها علماً تهدي إليها . . ولكنها في الوقت ذاته
كانت ترهب عملاً تقف من أجره إذ أوشك ما لديها من مال أن
ينفذ

غادرت مسكنها وسارت تبحث عن حانة متواضعة تناول فيها
طعاماً وعلى عشرات من الأمتار أحدثت فيها حانة عد لها
لوحة تحمل هذه الكلمات : « ملهى الحيازين »

- ١٨ -

حصلت لوسي ثوب الرقص إلى بيت امه جاك جوارود دون أن
يحظر لها ببال أن التهامي جورج داريه وعد عطيتها لوسيان بال بعد
به عملاً في مصنع والد هذه الفتاة فقد كتم لوسيان اسم صاحب
المصنع عن لوسي عملاً بوصية جورج إذ سألها أن يتكتم الأمر عن
الناس جميعاً . . وإن كان قد كاشفها بما وعده جورج

وحين طرقت لوسي الباب كانت ماري هومان تقول في نفسها
- إنني شديدة الغيرة فلم لا أحاول أن أستخدم هذه الثروة في
إعانة الفقراء من الناس وتبديد أحرارهم .

كانت عليها المزمة ببعث في نفسها الإثمان والرحمة فتسمى لو
استقلت المؤسسات من وحدة الغافة . . ولكن في بعض الأحيان حين
تشهد بها ذنوب السعال كانت تنقلب على الدنيا بأسرها
تتبنى لو أنها خلقت بالعالم كله إلى ثوب متقد

وقطع عليها دخول لوسي نصورتها فاستقبلتها مربية . وراحت
وهي تحرب الثوب تتحدث إليها . جعلت منها أنها يتيمة لأبوين
وأنها نشأت في أحد الملاجئ فقالت ماري باستنكار

- كيف هذا . . أتودعك ملجأ وتطاردها لئلا على أن لا تراك ؟ !
فقالت لوسي بأسى :

- ما من لم ترعى بال تشعلني عن ابنتي بله إرادتها وما
يؤمرني أي شيء حال يبي وبين أبي فيحرمني عطيتها وجوها ؟

- ولكن ألم تحاولي أن تستعري من الملاجئ عن حبيبه ميت ؟
- حاولت يا سيدتي ولكن أنظمة الملاجئ تحرم إعطاء هذه

بيانات . . فشاب أجهل اسم لسرتي
ومع برهة قصيرة قالت ماري

- لقد قبلتني السيدة أومستين أنك أبرع عاملاتها . فلم لا نشين
نفسك محلاً للمخاطبة ؟

فاستبعت لوسي وقالت
- لا بد لهذا من رأس مال كبير

- إنك وافرة الحاصل فلم لا تسروجين رجلاً يملكك من المال ما

تعبير؟

مضرج وجه بوسي حين سمعت هذه الكلمات فابسمت ماوي
وقالت

يلوح لي أنك تفكرين فعلاً في الزواج وإلا لما تحسب وجهك
احمراراً .

- هو ذاك يا سيدتي . . ولكن عطشي فليس لا يمكن أن أرجو منه
معونة مالية . . هذا إلى أنه يابى علي أن أشتغل بعد الزواج
فقلت ماوي هرامان

- يسرني عندما تزوجين أن أدمع عنك كلعه الجهاز (الباننة) على
شريطة أن يأذن لك روحك بأن تحيطي لي ثيابي !

- إلي موقفة يا سيدتي من أنه لن يرفض رجائي بقا ما سأله
- أيمكنك أن تسجري هذا الشرب يوم الخميس القادم؟ عاتي ذاهبة
إلى إحدى المحلات الرافعة

- سأعجزه يا سيدتي .
- وما هو عنوانك فقد يطلب لي قد لا أجدك بوسي
- ٩ شارع بوربون يا سيدتي

- حسناً إلى اللقاء إذاً وسأكون في انتظارك يوم الخميس .
حين خلت ماوي هرامان بعصاها عنقها موجهة من الاكتشاف
وراحت تقول لنفسها

- مسكينة هذه الفتاة ! إنها لقطعة لا تعرف لها لئاً أو أمماً ! إنها
كانت خليقة أن تكون أمس الفتيات إذ حرمت حظ الأم وحنانها !
ومع ذلك فهي سعيدة هاتك لماذا؟ لأنها تحب . . ولأنها وجدت
من يحبها . أم أنا الفتاة الغنية فما رلت حين اليوم لا أجد من

بوسي ! رياه ! حقاً إن الحياة بلا حب عذاب وجعيم ؟

وما جاعها السعال في هذه اللحظة . وكانت وطأته شديدة
فوضعت منديلها على فمها وقد امتنع وجهها
وحين رفعت منديلها راعها أن رأت فيه بقعاً دموية صغيرة
هتت مذعورة

- رياه ! من أين هذا الدم ؟ ! إنني أحس كأنما في صدري ثوب
مناجيج !

وهضت بأصابعه وتناولت جرعة من الدواء . ثم هادت إلى
مكانها أمام المدفأة . وأسلمت نفسها إلى التصورات والأحلام
تصورات فتاة تبحث عن الحب وتتشاءم . ولا تعلم أنها على
حافة القبر !

كانت حانة امتلأ الخبازين مجتمع الخبازين حقاً . إذ كانوا
يعدون عليها بعد فراقهم من أعمالهم يشربون فيها طعاماً وشرباً
وجلسات هناك فورتيه تتناول طعامها . وأحاديث القوم تنتهي إلى
أدب إذ كانوا يتكلمون بصوت مرتفع .
وهجت من حديثهم أن إدلرات الخباز تشمر بحاجة ماسة إلى
مورعات للحبر على الدور فلا تجد من لارتفاع أجر الصاء
وقلب حاد

- ولم لا أعمل بثلثه للحبر ؟ ! إنني يدرك أنال ثلاثة درمكات
وبصفاً في اليوم . وأعمل الشطر الأول من النهار ثم أمضي بقية
اليوم في البحث عن ولدي

وتقدمت مسرعة إلى الخباز الذي كان يتحدث عن أزمة المصناعات
وأثنائه بأنها تبحث عن عمل . . فقال لها :

- إنني مؤمن من أن صاحبة الخبر مشرحة باستحسانك ولكن
أفترضين يا ربي جيداً؟

حق المعرفة - ولي يعبر عليّ أن أعرف المنزل الذي أودع عليها
الخبر في خلال أيام قليلة

وكتب الخبر اسمها في معكرته - ودعاها إلى الحضور إلى الخبر
في اليوم التالي في موعد عيّنه لها . ولكنها لم تذكر بطبيعة الحال
أنها تدعى جان دوريه - وإن أنباته بأن اسمها ليرا بيرس

في صباح اليوم التالي ذهبت جان إلى الخبر . وبعد حديث
قصير مع صاحبة عينتها مورعة للخبر على أن تتفاحض في اليوم
ثلاثة فريكات وبصفاً

وقالت لها صاحبة الخبر

- وسرافقت خادمتي في خلال اليومين الأولين ريثما نطبخ أرطام
لنازل في ذاكرتك

في صباح اليوم الثالث صعدت جان دوريه الخبر وراحت تورمه
على الدور

وكانت الخياطة لوسي إحدى حبيباتها

حين رأت بالعة الخبر لوسي شعرت على الفور بميل شديد إليها
لم تكن تعرف أن تلك العتاة إنما هي ابنتها التي مشتها وبحث
عنها - ولكنها كانت تعرف أن هذه العتاة وجدت نفسها مكثاً في
سبها .

وكذلك بادلتها لوسي الشعور نفسه .

وفاتت العتاة وقد لاحظت أن جان تنكس بصعوبة :

- يروح لي أن صعود السدم أروعك ! إذا كان الأمر كذلك فلك

أن تركي خبري عند الباب - قولي له إنه للآنسة لوسي

تجملت جان عند سماعها هذا الاسم لوسي ! يا للمصادفة ! إنه
هو اسم ابنتها ! ولو كانت انتبهت الآن على قيد الحياة لكانت في مثل
س هذه العتاة - ولكان لها جمالها !

وقالت بالعة الخبر

- كلاً يا ابنتي - إنني لست متعبة - سأحمل إليك خبر بعسي
كل صباح ولي أتركه عند الباب ! لقد بدأت أحبك

ولكن لم تقل لها إنها أحببتها وبها تنمى أن يراها كل يوم
لأنها تذكرها بابتها تلك التي حرمت من لقائها منذ أكثر من عشرين
عاماً !

وفي كل يوم كانت جان تتردد على لوسي - تحمل إليها الخبر
وهي سميدة راضية من هذا العمل

لقد شعرت بميل شديد إلى هذه العتاة - وكانت لرغبتها وهي
مهمكة في خياطة الثياب بعينين محبتين متوقفتين - وما جرت يوماً
على أن تسألها عن ماضيها

وفي بعض الأحيان كانت تجد لوسيان لا يرو يتحدث إليها
ولكن ما خطر ببالها يوماً أن هذا العنق هو ابن ذلك الرجل الذي
أنهت مقتله والذي زجرت بسية في السجن عشرين عاماً !

في اليوم الثاني من الشهر التالي بعث أهامي جورج دوريه إلى
صديقه الرسام لوسيان يدعوه إلى مقابلة

وحيث دخل حله ابتدره بقوله

لقد كتب إليّ الآنسة هرمان لأطلب إليك أن تلعب إلى ريلري
غداً في الساعة العاشرة صباحاً حتى تقدمك إلى أبيها

شكراً لك أيها الصديق

وقد كتبت رسالة إلى السيد هرمان أمركت فيها وأنته بما أعرف
من أمرك ومن سجلاتك

- أي هاجر عن أن أقدم إليك الشكر

وفي صباح اليوم التالي دخل لوسيان على خطيبته وهو يقول

- إني ذاهب الآن إلى مقابلة صاحب المصنع - لقد سألتني جورج
أن أكتب اسمه إلى أن أقال المنصب ولكن ليس ياسر يكتم
إنه يدعى بول هرمان .

فكانت لوسي على حجل :

- الخبث في شارع موريل .

- هو بعينه . . أتعرفينه ؟

- بل أعرف ابنته الأيسة ماري وهذا الثوب الذي بين يدي لها ؟
ولرجو أن نال يا عزيزي ما تصبو إليه .

في الساعة العشرة كان لوسيان لا يرو جالاً في قاعة الاستقبال
يتحدث إلى ماري هرمان

حين رآته أدهشها منه ما يبدو عليه من سن الوجه وألوانه الثياب
وقالت له بأسمه :

- نقد أوصاني بك صديقتنا فحاصي جورج ديرييه وأطراك
كثيراً وبها يسري أن أتحدث إلى أبي في شأنك

- إني شاكر لك يا أنسي اهتمامك بمسئلي وهذا المنصب
الذي أطمح إليه سيتقدمي من مناصبي المالية التي أعلمها

فكانت ماري

- لا أكنم عندك أن هناك كثيرين يتراحمون على هذا المنصب .

ولكن أبي لم يقطع في الأمر برأي بعد . واعتقد أنه لن يحب
رحلتي . إن من علمتي أن لا ألتدخل في أعمال أبي ولكني أنوي
هذه المرة أن ألتدخل إكراماً للسيد ديرييه

وعاد لوسيان بيدي لها الشكر

ثم تطرق بينهما الحديث إلى مواضيع أخرى

وكانت ماري تصغي إلى حديثه بقلب خائف . وقد اضطرم في
هيبها لهيب حرب

وقالت

- لقد دعوتك اليوم يا سيدي لأقمتك إلى أبي . . ولكن جاءني
من بركة مند ساعة يحطري بأنه تحلف يوماً في بلجيكا . . فليكن
موعدنا الغد إذا

ثم غصمت وقالت

- من العجيب يا سيدي أنني لا أعرف اسمك حتى الآن ؟

- لوسيان . . لوسيان لا يرو

فأبسمت وقالت

- لن أتسى هذا الاسم وعكثك أن تطمش يا سيد لا يرو

تصرف لوسيان وخطت ماري بنفسها . قالت

- لوسيان اسم جميل ولكن ما عدا الشمور العجيب الذي

هرمني ؟ كتب في حضرته أصعب إلى كل كلمة ينطق بها بإعجاب

وتقدير وكان يخيل إلي أن حقاقت علي قد اشتدت

بهم لا بد أن أحمل أبي على أن يمهّد إليه بإدارة مصنعه ؟

في ذلك المساء وصل جاك جديرو إلى داره كما أنبا ابنته برقاً

وحين دخل عليها فطر قلبه حشرات لقد رآها شديدة السحور

شاحبة الوجه فأيقن أن العفة الدعية أحدثت تمكك بها
وتحرك قلب هذا السفاك الذي لم يبق له عرق يوم ارتكب
جريمته الثلاثية !

كان دائماً يخادع نفسه ويقول كلا إنها ستعيش !
أما اليوم فقد تحولت له الحقيقة وعرف أن الموت بسط ذراعيه
ليحتضن فتاته الوحيدة

صنمها إلى صدره وقال يائس
- كيف حالك يا ابنتي ؟

- إني بحير وقد لحست صحتي !

وعاودتها نوبة من السعال كانت مكذبة فقولها !
وأحس الأب المسكين أنه يوشك أن يجرى وكان عذابه ممصاً لا
يطاق ولا يحتمل ؟

- ١٩ -

في صباح اليوم التالي دخل جاك جارود إلى مكتبه وراح يقرأ
الملاحظات الواردة إليه

وكانت بينها رسالة تحمل الطابع الأمريكي
ففتها على حجل وأعد يملؤها إذ عرف أنها من أوليفد سوليمر
في هذه الرسالة أنباء أوليفد أن ديون القمار أثقلت كاهله وأنه
أساء إدارة المصنع فاضطر إلى بيعه أخيراً
واحتسب أوليفد رسالته بقوة

«وقد بت أشعر يا بين الخال للحرير أنه لا طاقة لي على مرافقتك
فعولت على القدوم إلى فرنسا لأقيم قريباً عنك»
حين قرأ جاك هذه الرسالة تولاه العصب وقال مغمماً

- بيتاً له ! لقد أوحى هذا الشقي أبواب مصنع كان حليفاً أن يدر
عليه مثاق الأكراف ! وما حرذا بنوي المصور إلى قرب لقد حسبت
أن يهدلته المصنع قد تحلصت من وعيده ! ولكن يلوح لي أنني لن
أرتاح منه وأنه سيمود ليروفي بطلبه

وفيل الساعة العشرة يقبل رجل الخادم على ماري هرمان ينشده
يأن السيد الذي كان في ريارتها بالأمس حضر مرة أخرى
حق قلب ماري حين سمعت هذا وتصرع وجهها احمراراً
وقالت في نفسها

- ما هذا ؟ هل بدأ الحب يمد إلى قلبي ؟

ولمرت الخادم بأن يدعوها إليها

وقالت تعاطب لوسيان حين دخل عليها

- إني لم أتحدث إلى أبي في شأنك بعد يا سيدي ولكنني
عرفت أنه لم يمتن أحداً في هذا المنصب حتى الآن لأرجوك أن
تتظري هبة حتى أذهبوك

ولم يطل انتظاره فما كانت في حاجة إلى إقناع أبيها إنه من
برص لها رجاء ولا سيما أن صديقته الهامي داريه قد أطرى هذا
الشبه إطرأً شديداً

وبعد لحظات كان لوسيان في حضرة جاك جارود يدفع إليه
الكتاب الذي بحث به إلى جورج داريه
وقال جاك رساله

- كم تبلغ سنك ؟

- إني في السابعة والعشرين يا سيدي

- وأين ولدك ؟

- في القورنيل

وشعر جاك أن الدماء جمدت في عروقه حين سمع اسم هذه
البلدة ... المررتين ... ؟ إنها البلدة التي فيها مصنع السيد لابروا
البلدة التي ارتكب فيها جرائمه الرهيبة !

وحاد يقول وقد غادره روعه .

- وهل أبوك على قيد الحياة ؟

- بل مانا يا سيدي

- وما كانت مهنة أبوك ؟

- كان مهندساً ميكانيكياً . وكفى له مصنع في القورنيل

امتنع وجه جاك وحرته الرعدة وقال :

- ما اسم أبوك ؟

- جون لابروا

فقال جاك مردداً على غير وعي من

- لا برو 1. لابروا

فقال لوسيان وقد رأى اضطراب جاك جارود

- أكنت تعرف أبي يا سيدي ؟

- لقد كان من أعمر أصدقائي . وعلمت له حاج اضطراني حين

سمعت اسمه على غير انتظار . ولقد قرأت وأن في أميركا يا العاجزة
الأبنة التي حدثت به

- فأنت تعرف كيف مات يا سيدي إذا ؟

- نعم . فنته براءة المصنع في أثناء الحربين

فقال لوسيان

- هل ما نقله القصة أم أنا وأعتقد أن البوابة مبرئة من هذه

التهمة

فلترعد جاك وقال -

- ولكن ما تقول في الأدلة التي قامت على إحرامها ؟

- إنها من تدبير الظروف القاهرة . لقد أدانني عني أن انقاس لا
بد أن يكون رجلاً له غلبة معينة من قتل أبي .

- ومن يكون هذا الرجل ؟

- مراقب المصنع . فقد كاشفه أبي بسر اختراع جدهد بوي

وإحرامه ققتله غيلة وحق المصنع ليسرى رسومات الاختراع إنه

يدعي جاك جارود . .

وما إن سمع جاك هذه الكلمات حتى خيل إليه أن قلبه قد كف

عن الحلقان ولكنه فالت روعه بجهد مدموس وقال

- ولكي أذكر مما قرأت أن هذا الرجل مات شهيداً شهامة حين

أراد أن يتشل أقوال أبوك من النيران !

- تلك خدعة يا سيدي ! لا ريب أنه اقتحم النيران ثم هادر

لكتب دون أن يراه أحداً

- أليكن يرحان على ما تقول ؟

- كلا بكل أسف

- إذا فهذه كلها ظنون ولومام لا تستند إلى أساس . وب دام

حكم القضاء قد صدر فقد دمع الحقيقة .

- كلا يا سيدي ! إنني أعزم أن الحقيقة لم تنكشف بعد . وس

أبجل بجهد في سبل برة هذه التهمة البريئة

نصبت جيس جاك عرقاً وقال

- وما يجديك ذلك الآن وقد انقضت مدة طويته لا يمكن معها أن

يعدم القاتل الحقيقي إلى النعاص؟

سأنتقم نفسي لا شك أن هذا الرجل قد أترى بما أصاب من
أرباح ذلك الاحترام الذي مرقه من أبي فلو أني قصحته وشهوت
به نقضت على منصفه ولكن في ذلك انتقامي الأكبر!
وساد الصمت برهة كان جاك يادي الاضطراب والخوف
معاً . . وكان يقول في نفسه :

- ريتاه أأبعد هذه السموات الطوال أنسني بلس الرجل الذي
قتلته . . وأسمع منه أنه مرتاب مصر على الثأر لأبيه .

ثم تحول إلى الشاب فجاء وقال

- حساً لقد اخترتك مديراً لمصنعي إكراماً لأبيك الذي كان من
خبرة أصدقائي ولما كان إنشاء المصنع لم يتم بعد فأحب أن
تعمل في ماري هذه إلى أن يتم تشييد المصنع وقد جعلت راتبك
ألف فرنك في الشهر

فراح لوسيان بشكره ويقول

- إني ذاهب الآن لأتناول طعام العشاء على أن أعود فوراً لأشرح

في مراجعة الرسوم

- بل تناول العشاء معاً فأرحوك أن تذهب إلى ماري في قاعة
الاستقبال وتنته بذلك حتى تهين لك مقعداً على المائدة

ولما خلا جاك جداره إلى نفسه قال

- ولله إنه إن كشف أمري من بهك السر هي قعصه وإني
سيفتن ابني المحبوبة أيضاً ومحال أن أدعه يعمل هذا! سأجعله يقيم
إلى جودري وبذلك يسهل علي أن أرقب حركته وسكناته فين
يدرت منه بادرة تطوي على الشك فتتد على الأمور كما قتلت أمه

من قبل! محال أن أتذكره بشهر في فيقتل ابني!

مضى لوسيان إلى قاعة الاستقبال وقال لماري

- ينبغي أن لشكرك يا أنسي فقد عيني أبوك مديراً لمصنعه

وحين سمعت ماري هذه الكلمات عرلها اضطراب شديد

استندت إلى الكرسي فقال لها لوسيان وقد أدركه الجرع عليه

- ما الذي أصابك يا أنستي؟

- لا شيء لقد أترمي المرح تأثيراً شديداً إنه عارض بسيد

يا سيدي وقد زال

فعاد لوسيان يشكرها وتناول يدها فقبلها وهو يقول

- محال أن أنسي فضلك يا أنستي

وأصابتها من قبلته رجفة شامة

وقالت في نفسها

- ريتاه إني أحبه حباً شديداً

ولماها لوسيان بأنه سيتناول معها العشاء فاستحييت لكي تأمر

بإعداد المائدة

مضت ماري إلى أبيها وراحت تشكره على أن حقق رجاءها

وفي عيها ولوى حبرات فلتنع . .

وفجأة . . ملا الرعب قلبه . . قال في نفسه :

- ترى هل أحيت عيني لوسيان؟ ريتاه! لو وقع هد نكاته هذه

هي النكة الكبرى أينة القاتل تحب من القليل

ريتاه . . أليكون هذا ؟ اللهم رحمة بي

كنت جاد مودتيه تمنى أن يحبل جلسها مع لوسي إذ أحست

بحورها بذلك الحب التشديد الذي يحث شعور لأمره الخفي

فدوسلت إلى ذلك بأن حملت إليها قطعة من القماش وسكنها أن
تحوطها بها ثوباً .

وبعد كانت جالسة معها راحت تستعرض عنها عن ماضيها فقال
لها

- أنتظرين الخياطة منذ زمن طويل ؟

- منذ سبعة أعوام .

- ولبن تعلمها ؟

- في الملجأ الذي نشأت فيه .

ارتعدت جان وقد ذكرت أن بيتها هي أيضاً ريت في ملجأ
وأن هذه العتاة تشترك معها في الاسم وقالت لها

- إذا فقد نشأت في ملجأ ؟

- نعم . وقد تركته صغيرة وما عرفت أبي أو أمي .

- ومتى كان ذلك ؟

- منذ إحدى وعشرين سنة .

- وكيم كانت سنك إذ ذاك ؟

- عام وبضعة شهور .

- ومن الذي أودعك الملجأ ؟ أهلك ؟

- لا أدري ؟

- وهذا الاسم الذي لخصته . من أطلقه عليك ؟

- لا أدري أيضاً . فإن إدارة الملجأ حرسية على أن تكتم

أسرارهم

وفي هذه اللحظة فرغ الباب فنهت لوسي

- ها هو ذا خطيبي لوسان قد رجع . لقد ذهب في هذا الصباح

ليقتدر رجلاً من رجال الأعمال وقد وعده بأن يجد له عملاً
مناسباً . فإن فعل استطاعنا أن نتزوج بعد عام .

وقص لوسيان على خطيبته ما كان بينه وبين جاك جارود أي
اليد بول هومان . فنهت الفتاة

أقول حقاً ألك حرمك مروتاً شهيراً ؟ هذه ثروة !

فبسم لوسيان وقال

- أو على الأقل بداية للثروة . لأنني أنوي أن أجد مصنع أبي في
ألغورتفيل

سرت الرجعة في أوصال جان حين سمعت هذه الكلمات وقالت
بصوت المأخوذة

- أكان لأبيك مصنع في ألغورتفيل ؟

- ولد أحسن رأساً إيجاباً قالت

- وما اسمه ؟

- جول لا برو . وقد مات فشجلاً في أثناء حربين شب في
الصبح . وكان ذلك عند واحد وعشرين عاماً

أحسّت جان فجأة أنها نوحك بأن تنهاوى على الأرض متحاذلة
القوى . إنها هاربة من السجن . وفجأة تجد نفسها إزاء ابن الرجل

الذي أنهكت ظلماً يقتله

ولمّا رأى لوسيان ما يبدي جان من اهتمام بلير أبيه قال

- لا ريب أنك سمعت عن هذا الحادث يا سيدتي إذ لم يكن
للصباح من حديث سواء في ذلك العهد ؟ وقد اتهمت بربوة

الصبح . ولكني أعتقد أنها بريئة وأن القاتل هو ذلك الرجل الذي
قبل أن النر اتهمته عذوب شهيد مروت !

وروى لها ما سمع من عمته وكيف أنه يشاظرها اعتماداً في أن
جارك جارود هو القتل وأن قصة موته ليست إلا خدعه

وكان لهذا الحديث في نفس جان فورتبييه أثر شديد
أعمالها هزات صيفة وهزت باد تصبح به

« سيدي! هلئذا تلك التهمة البرية!

ولكنها أمسكت وقد شاع في قلبها الإشهاد إذ عرفت أن ليس
القتل لا يشاظر القضاء حكمه الخاصي ضدها
وقالت نساله

- ولكن ما الذي نرى أن تصع بالقاتل حين تكشف امره

- أسمى إلى الإقراج من تلك المسكينة جان فورتبييه وقد

عهدت إلى صديق لي من كبار المحامين بأن يتحرى عنها وهي لا
تزال على قمة الحياة وأسست صدر امرأة بمقابقتها وأخذت إليها . وقد
أبقت من برائتها بدلت جهدي لي إمالة النام عن الحقيقة

وللمرة الثانية هنت أن تصبح بأنها هي التهمة البرية!

ولكنها أمسكت وأرغمت نفسها على الكتمان

وبعد برهة قالت

- لقد فزات أنه كان لهذا المسكينه ولدان هما الذي حل بهما يا

نري؟

- لا أدري

وشعب لونها ارياء أهنكأ نفسي حلها كلما سألت من ولديها
الأ تعدم إلا جواباً واحداً لا أدري لا أعلم؟

وتحوك لوميان إلى خطيبته وقال

إن هذا العمل الجديد مسحرمي من لعائنك يا عزيزي إلا في

يوم الأحد

- ولماذا؟

- لأن السيد بول هرمين يصر علي أن يخصني بجناح في قصره
حتى يسهل عليه الاتصال بي حين يشاء .

- لا يأس . . ما دام همك يقضي بذلك فلن أنكره

- وسأخطر صاحب المنزل برغبتي في إخلاء غرفتي مد المد

فانبر جان عوربيه تقول

- وكم ليحارها يا سيدي؟

- ماله وحسنون فركاً في الشهر؟

- إذا ساحل مكانك فيها

- فهنت لوسي

- أكون سعيدة بذلك إذ أجد في فركك ما يسري عني ما أحسه

من اعتماد لوميان

وفي اليوم التالي شعلت جان عوربيه الضرفة الفجورة بحرفة لوسي

دون أن يحظر لها يبال أن هذه الفتاة هي ابنتها التي تبحث عنها في

باريس حبراً حبراً

- ٢٠ -

في ذلك اليوم أقام لوميان لا برو في صون حاك جارود يدرس

برسمات ويضع التصحيحات وكانت ماري لا تنك تدخن حية

مكنه من حين إلى آخر متوسلة إلى ذلك بجميع الخبيج والمعادير

ولم يكن هناك خفاء في أن صحنه ماري عشتت تحسناً محضوماً

في حلال تلك الأيام القليلة ولم يكن جاك من العباوه بحيث

يعوته إدراك السبب في هذا التطور الملموس .

لقد أيقن أن ابنه أحب لوسيان وأك الأعداء تلعب لعبتها
الحرية الزمنية فتجمع بين قلبي ابنة القاتل وابن القاتل !

وعرض لوسيان بدوره إلى الأمر !

وبعد شهر أيقن أن ماري تحبه فساء الأمر وحرر حرراً شديداً
كان يحب لوسي حياً لا يملك معه أن ينعض عهدها وهي الوقت
ذاته كان يشعر بحو ماري بعاطفة من الاعتراف بالجميل لا يملك
معها أن يسحق قلبها

على أنه كان لا يفتأ يمي النفس بفرب الفراخ من تشييد المصنع
لهذا تم ذلك أقام في ضراحي باريس قريباً من مكان عمله وهدوت
فرص اللقاء بينه وبين ماري
ولكن خدب ظنه !

ما كان لوسيان يتنقل إلى المصنع حتى راحت ماري تتردد على
المصنع مرات غير قليلة في الأسبوع متحله لذلك مختلف
الأسباب على حين كان لوسيان يتعاشى لقائها قدر الطاقة ويدور
أن يذهب إلى منزل أبيه

وفي يوم جماعته رسالة من صديقه جورج داريه المهامي يدعوها
إلى تناول الغداء معه

فلما التفتها قال المهامي

- لقد دهونك لأبتك بما كان من امر جان فوربيه المتهمة يقتل
أبيك وإحراق مصنعه !

ماذا جرى لها هل ماتت؟

- كلا ولكنها لوت هاربة من السجن

- فرت هاربة !

وروى له جورج ما كان من أمر جنونها عقب صدور الحكم
عليها وكيف شفت ولدت إليها ذاكرتها حين رأى السراى قتلهم
المتنهي .. وكيف أنها استطاعت أن تهرب بعد أن أمضت نحو
عشرين سنة في سجنها

فقال لوسيان :

- ألم يتصوروا عليها بعد؟

- كلا ولكن الأمر لن يطول فقد أتبعته مشرة بأوصالها على
جميع رجال الشرطة

- مكينة هذه المرة منذ ليام سمعت حديثاً عنها وليل لي إنها
كانت من أنبل النساء !

- ومن سمعت هذا الحديث؟

- من بائعة الخبز التي تتردد على لوسي إنها امرأة تدهى ليرا
بجس وقد ذكرت لي أن جان فوربيه لها بيتاً .

بعد أن فرغ لوسيان من تناول الطعام مضى إلى مقابلة خطيبته
لوسي وإذا دخل عليها ألقى بائعة الخبز برقفتها فلما تدهضت
للتصراف استبقاها لوسيان إذ كان قد بدأ يحس نحره ميلاً
وعطماً وقال

- بل تخفي معنا وإني أرجو إذا ما توجس أن أفر ذلك حفلة في
داري .

فالت لوسي

- وأنا ألقى هذا من كل قلبي وحسبي أجد فيها عرضاً من
تلك الأم التي فقدتها وأنا لا أزال رصعة أحمل على الأكتاف

وقال لوسان

- أتذكرين هذه المتهمة البريئة جان غوربيه التي تحملتها عنها منذ أيام؟

رروي لها ما قصته عليه اهلي جورج فاربيه عن جنوبها وشمالها وفوارها من السجن . . وقال مستظرفاً

- ولكن لا مفر من أن تظهر بها الشرطة مرة أخرى فلماذا ترصدنا في كل مكان ولا سيما أنها تتوقع أن تقضي للبحث عن ولديها ولهذا أرصدت بعض رجالها في قريتها لمراقبتها عند قدومها واستمع رجه جان حين سمعت هذه الكلمات وأتاحت بوجهها إصمها لاضطرابها .

في صباح ذلك اليوم معه كانت ماري هرامن جالسة في فراشها شاردة الذهن بأدبة الاكتاب

كانت تقول لنفسها

- يسي حسنة ثرية رأي من كبار الأعياء ومع ذلك فوسيان لا يعمل بي ولا يكاد يئالي يرمي أفعال السر في هذا وجعل اليأس والكبرياء يتنازعان قلبها وقالت في نفسها

- ترى أصدده هي ما يبا من مروق اجتماعية شامخة؟ لعد لا يجسر على مكاشفتي بهواه لعلمه بقره وثراني؟

لا لا لا رب أنه يحسني ولا يصرفه عن مبادلتني الهوى إلا لشوره بأنه دومي مكانة ومركزاً

ثم لا نليت أن مروده الشكوك فتقول

- كلاً إنه لا يحسني ويلاه إنه إن لم يكن معروفاً بي فقد قضى حبي بالثروت

وقيما هي في هذه الخواطر جاءها أبوها إلى محدها يقول .

- ما بالك لمعت غرفتك اليوم من أنت متوعدة يا ابنتي؟

فابتسم وقال

كلأ يا أبتاه ولكنني أفكر

وفيهم تفكرين؟

فصكت هيبة ثم قالت :

- أبت دعني أطرح عليك سؤالاً .

سلي ما بنا لك يا ابنتي ؟

- لقد أوفيت اليوم على التاسعة عشرة فهلاً خطر بك أن تروحي؟

طبع على جيبها قلعة أبوية رحيمة وقال

- أتكرهين أن تغلبي بقربي يا ابنتي ؟ ألا تعلمين أن وجودك إلى

حائتي هو الذي يبعث في نفسي الشجاعة والخلد هي العمل ؟

- وهل من المستحيل أن تجمع بين الزواج وبين بقائي بقريتي؟

أن أحداً سمحك تقول هذا لوقع في روعه أنك تكره أن تتراني

متزوجة ؟

فابتسم وقال

- لا أكنحك يا ابنتي أن هذا الخاطر طاف بذهني مراراً . . وفي

كل مرة كنت أحس أنني أنقذ الناس

- وأن يا أبتاه ألا ترى أنني أنا أيضاً شقية مكودة الخطأ ؟ أم

لعلك تحسب أن المال هو أساس السعادة ؟ إنني أريد أن أسعد يا أبتاه

يا أبتاه

- ولي تبيل يمكن أن يراك ولا يهيم بك غراماً ؟

فعالت ياردوا .

- في الحب يا أبتاه يس من الضروري أن يكون الحب نبلاً
أني أحببت عملاً صغيراً لكنني أيضاً سميدة .

وعشق قلب الأب إذ أدرك ما ترمي إليه ابنته بهذا الحديث

لم يعد غدياً عليه أنها إنما تعني لوسيان لا يروا

رسد السكون طويلاً

ثم قال الأب .

- إني ذاهب اليوم إلى مكتب المحامي جورج داريه فقد اتفقت

ومن لم أراه

أشرق وجه العتاة وقالت

- وسأصحبك يا أبتاه

ولا عجب فقد كانت تعلم أن الحديث بين الرجلين لا يد أن يدور

حول لوسيان . وشدة ما كان يصرها أن تسبح الناس يتحدثون عنه

بعد نصف ساعة كان جاك جارود وابنته في زيارة جورج داريه

المحامي وكما توقعت ماري داريه تحدث حول لوسيان واشترك فيه

المصور إتيون كاستل الذي كان حاضراً .

فالت ماري .

- أليس لوسيان أسرة ؟

- كلاً . . فقد حدثت جريمة ذهب أبوه ضحيتها .

فالت العتاة

- جريمة ! إنه لم يحدث شيء من ذلك . ثروا لي القصة رجاءً

وأنا أريد يلجأ بما كان من مصرع والد لوسيان وكيف أنه لم يم

موتاً طبعياً في أثناء الحريق وإنما قتل قتلًا . وكيف اتهمت جدي

بقتله . مع أن لوسيان ابنه يترتب في إجرامها

وقالت ماري

- ولكن كيف يترتب في إجرام هذه المرأة جاني مورتييه ما دام

التقاء قد أدانها ؟

- إنه يعتقد أن القضاء قد أخطأ . وكان صمم على مقابقتها في

سجنها للاستفسار منها عن الحقيقة . ولكن لأمر بات مستحلاً

فالت ماري مستعرة

- ولم بات مستحلاً ؟ ألمأت هذه المرأة ؟

- كلاً . ولكنها مرت هاربة ؟

استمع وجه جاك جارود وقال بصوت المضطرب

- أخرجت ؟

- نعم . . ولكن لا بد من القبض عليها عاجلاً فإن رجال الشرطة

يترصدونها في كل مكان

فالت ماري

- ولكن ما لمجدي لوسيان معرفة الفاتل والاقتصاص منه مع أن

ذلك مستحيل لمضي المدة ؟

- حبه أن يشهر به ويضعه بين أصدقائه . لا شك أنه أصبح

الأقرب من الأغنياء بما أصاب من وراء الاختراع المصروع

فالت ماري

- الحق إنه انتقام رحيم ولا سيما إذا كان بهذا الجاني الأثيم أسرة

يحبها . ولكنه انتقام عادل . وإني لأتمنى أن يظفر لوسيان بقاتل

أبيه !

وكان جاك يمس من هذه الكلمات مثلما يمس المقتول وسكون

خصمه تجري على هذه !

لا أسمع على قلب الأب الذي يحب ابنته أن يسمع من بين
شفتيها مثل هذا الحكم القاسي يصدر منه
وبعد صمت قصير قال جورج

إن لوسيان يحاول أن يقصده الآن ما يستطيع من مرتبه حتى
يجدد مصنع أبيه الذي احترق في العوزقيل . وذلك هي الأمية
التي يجيش بها صدره .
فألت ماري

- إنها أمية صعبة جداً ولا بد أن ينتظر طويلاً إلا إذا
أراد أبي أن لا يطول انتظاره
فتحول إليها أبوها يقول :

- كيف يكون الأمر منوطاً بإرادتي ؟
- فألت الفتاة

- لقد أبأنتي منذ ليام أنك تروي أن نشي مصنعاً جديداً فهذا
يستطيع لوسيان إدارته ؟
- طبعاً - وسوف أعهد إليه بالأمر
فألت ماري ببساطة .

- إذا أجمعه شريكاً لك !

أدملت هذه الكلمات جورج ونصوور إيتين . وأراد أبوها أن
يعترض ولكنها بادرت مقاطعة بقولها

- ولم الاعتراض يا أبي ؟ إنها شركة على قدم المساواة أنت
تقدم المال ولوسيان يقدم عمله وإدارته وبعد ذلك بحاجة إلى
شيء من الراحة ولوسيان فيما سمعت منك جدير بالثقة

- إنه جدير بكل ثقة يا ابنتي ولكن المشروع خطير لا يقدم
عليه امرء إلا بعد التروي وإنعام الفكر على أبي أوافق مبدئياً على
ما أشرب به
وحين نهض الأب وابته مرمحين على الانصراف قالت الفتاة
لخاطب المصور :

- إني سعيدة بلفاتك يا سيدي وسري أن أزين قصور أبي ببعض
لوحات الخالدة فهل ترسل إليّ بمصفا مع لوحات أخرى
لصورين آخرين على أن تحتارها بنفسك ؟
- بكل إرياح يا أختي - وإني شاكر لك ما أوليتني من ثقة
وشرف !

حين خلا الحامي والمصور أحدهما إلى الآخر قال جورج

- ما الذي قطت إليه في أثناء هذه الزيارة ؟

- قطت إلى أن ماري حرمان معتونة بلوسيان

- أصبت - ولا شك عندي أنها متزوجة

فقال المصور

- إني لا أشاطرك رأيك هذا ألم تعطى إلى أن أباها كان بريئاً
بهذا الحديث ؟؟

- ولكنه يحبها ويكره أن يرفض لها طلباً

- يحور ولكنني أعتقد أنه يثبت فكرة راحها من لوسيان مقناً
قد يعطى حتى على حبه لانت - ومع ذلك سوف يرى

في خلال ذلك كانت المركبة بشق الطرقات حاملة جاك جارود
وابته وكل منهما غارق في غواطره لا ينقي إلى صاحبه كلمة

كانت ماري تفكر في ذلك الانسراح الجريء الذي ألقت به إلى

أيها وكيف سأله هي غير تردد أن يحدد لوسيان شريكاً حوث أن
تتالي بما قد يشره هذا الاقتراح في ذهن انصامي والمصور من طنون
وكان جاك يعكر فيه سمح عن قول جاك غورنيه من سجنها
وكيف أنها جاءت باريس تبحث عن ولديها
وجعل يقول لـ

- ليت شعري ما يكون من شئني إذا كشفت جاك شخصيتي هل
أن يهين عليها؟ ولكن لا يعني أن تقبض عليها الشرطة . قل
أن تفصحني وتقتل اهتي
ودكر في هذه اللحظة الرسالة التي جاءته من أوليفر سوليفر بدوه
فيها بدومه وقال في نفسه
- رباه! ما هذه التكتيات التي ترشك أن تتوالى أهيكون في
باريس شخصاً يهرب من سرّي؟ ولكني لا أعشى أوليفر أن في
وصفي أن ألقم لسانه بلال . أنا جان غورنيه . .
ولصيت جيبه هرقاً . .

القسم الثاني الذكفير

- ١ -

في ذلك صباح وصل أوليفر سوليفر باريس قادماً من أميركا
فذهب من عوره إلى دار أبي خاله جاك جارود فقبل له إنه ذهب
إلى مصنعه فمضى إليه من عوره
فرح أوليفر باب المكتب ودخل . . . وقال عليه أنظر جاك
حتى بهت وشحب لونه . . وقال في اضطراب
- أعدا أنت؟
- نعم ولكن لم تستبلي بهذا البرود؟ أسمعك قدومي يا ابن
بحال العرير؟
وغائك جاك روجه وسط يده يصالح أوليفر ودهاه إلى الجحوس .
ثم قال يسأله :
- ولكن لم جئت غورني؟
- لأسألك أن تجد لي عملاً في مصنعت
صباح غضب
- سآ لك . . أتعكنا نصيب ذلك المصنع العظيم الذي تازلت لك
عنه في نيويورك؟
إنه القمار . هو الذي أفد حياتي وجعل إمارتي سيئة .
فقد أحت المائدة الخضراء على كل أسوالي فلم يعد باوياً بديلاً
بضمة دولارات لا تعني من الأمر شيئاً ولهذا أرجوك أن تعيني

مديراً لمصنعك

- مهال

- وما السبب ؟

- إن مدير مصفي اخالي هو ابن الرجل الذي قتله - ابن جول لا برو ! وإذا اجتمعتم بعد يجري لسانك مكلمة تكون فيها فضيحتي والثقاء علي
فقال أوليد :

- ولكنني سأكون حذراً

- علي أية حال لا أستطيع أن أجد لك عملاً في مصفي - لقد منحتك مصعاً هائلاً وحسب ألف دولار - فهذا كنت ضيقت كل هذه بحماقتك وسوء تصرفك فلا يمكن أن تحسبي مسزولاً ومطالباً بأن أهرق عبك ما خسرت
فقال أوليد بصوت هادي :

- إننا فقد هولت علي أن تتخلي عني ؟

- بلا ريب ! أنت الذي جيت علي نفسك !

- وأنت الذي ستجني علي نفسك !

فقال جاك بوحشة :

- اتحسبي ابنتي بتهديدك ؟! إلي أعلم ما يجوز في خاطرك
إنك تقصون لعسك - إننا أسي أن يعطيني من المال ما أشاء توعدته
بالفضيحة فيضطر أن يحشو فمي بالمال حتى لا أتكلم !

- كلا يا صاح ! لو أنك فضحتني لـ أصبحت في مركاً واحداً !

- وكيف ذلك ؟

- إننا عرفت أنك مهر علي هتك سرتي أطلقت النار علي نفسي

وسترحت من ضرورك فقولوا ثروتي إلي ابنتي ولا نزال معها شيئاً !
فمن الخير لك أن تكتم سري - لأنك قد مال في قبي حياتي ما لا
تأله بعد مماتي !

وساد الصمت برهة .

وعرف أوليد أن جاك صادق في قوله - وأن اليأس قد يدلعه إلي
الانتحار - ولن ينجذ شيئاً من موته .
وقال :

- ولكن كيف يطاوعك قلبك عني أن تتخلي عني ؟!

- ولكني لن أتخلي عك - سأمدك بالمال علي أن لا تحارب
مدينتي - سأقتلك كل شهر ألف فرنك
- ألف فرنك ؟! هذا قليل !

- إننا أقلعت عن القنطرة كان فوق الكهاية وبعد فليس في
وسعي أن أعطيك أكثر من هذا ! سأعطيك لأن مرتب الشهر الأول
مع خمسة آلاف فرنك تؤت بها دارك

وفتح خزانته وودع إليه مئة آلاف فرنك

وفيما هما في الحديث فرح الباب ودخل الخادم يسير سيده بأن
السيد لوسيان لا برو يطلب مقابلة

وبعض أوليد لينصرف ولكنه قبل أن يمدد العدة ألقى علي
لوسيان نظرة فاحصة وقال في نفسه

- إننا فقد تصادق القاتل وابن القيس ؟! ألا ما أعجب تصاريف
القدر !

حين خلا جاك جالود يتعصه راح يقول :

- يا لحظي ! هل تحلت عني الأمدار ؟! ومن مداب العاصفة تنذر

بالبهوب؟

جان هوربيه هربت من السجن وأوليد سوليفر يسوعدي
ولوسيان لا يرو يبحث صبي لبعضهم؟

رباه! ما أشد حرج موهب! لا يتقدمي من هذا المأزق إلا أن أقتل
هؤلاء الثلاثة... ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟

رح جاك بتروى لي لأمر ويحاول أن يقع على وسيلة يقضي بها
على خصومه الثلاثة.

وإذ أدركه اليأس المزعجت أسلحه فجأة وقال في نفسه وهو يهر
كتبه بغير اكتراث:

- ولم الخوف؟ وأي شر أخشى وقد لحمت سنان أوليد
بأسواني ولوسيان مقيد بما أقصره به من فضل ومساعدات لما
جان فلا ريب أن السجن مصيرها! كلا! ليس نعمة ما أخشى من
الثلاث.

في غضون ذلك كانت حالة ماري الصعبة نوره يوماً بعد يوم
كان الحب في أول الأمر بليساً بعلتها المرة أن الآن صعد
انقلب شراً مضاعفاً منها!

وسم يكن هناك شعاع في أن الحب الذي أنادى بها في عهد الأول
قد بدا الآن يقتلها ويقضي عليها ثأراً من أن تصرف لوسيان
وأمراته عنها

وكأن أبوها أنشد إدر كلاً لعملة ابنته من سائر الأطباء ولكن ما
حينته؟ وأي دراهم يمكنه أن يقدم إليها فيشفيها؟

وفي ذات يوم لم تجد ماري بداً من مكاشفته بما في قلبها
دخل عليها يوماً فراها شاحبة فأخذ يدها وقال يرمي

- ما بك يا ابنتي؟ أمرضه أنت؟

وعرتها موية من السعال فقال:

- أتألمين يا ماري؟

فأجابت:

- كل الأم يا ابنته!

ومن عين «السعال الدموي» انحدرت دموعاً و«شعاعاً» وقال:

- ولين تحسن الأم؟

- هنا... فوق موضع القلب!

تلكم جاك وعصر الحزن لواءه فوق موضع القلب! - ترى هل

أمنت الساعة فريضة؟

وقال

- ولكني ما سمعت منك هذا إلا اليوم!

- لأن عيني لم تشد إلا منذ عهد قريب منذ غشي الحب لؤادي

نظر إليها برهة ثم قال:

- أحو لوسيان لا يرو الذي تحبته؟

فصت من بصرها وأحنت رأسها ليجأ... وقالت

لقد سرى حبه في دمائي يا ابتاه! وسعال أن أنساه

استمع وجه الأب وقال يقضي مكنوم:

- ولكن هذا الحب جوف!

فانمجرت ماري تبكي وقالت وشيخ الكاهن يقطع كلماتها

- ليس في العالم مرة بمكر أن سرع هذا العرام من فسي يا ابتاه

ثم ما لبثت أن أودعت تقول:

- ولكن لم نكره أن نزوج نوسيان ٣١ إن كان فقيراً فقد كنا نحن
فقراء في مسهل حينئذ! وما حاجته إلى المال ولدينا من المال ما
يكفي! وهو بعد ليس بالغنى الخامل إن له مستقبلاً ياهراً!
ومع ذلك فالحب يا أنته ليس سلعة تُعرض! لو أنه كان صميم
الصناعات لما مذكت إلا أن أحبه!

أخذته بث شريكاً وروّجني لياه ولعننى نحن الثلاثة معاً
بذلك نصبح كلنا سعداء!

لبث جاك جارود صامتاً لا يجيب وقد استغرقته المخاوف.
وقالت الفتاة

- إني أعرف لثقتي بحبي يا أبشاه هذا كنت لا تريد أن أموت
لروّجني نوسيان

لهنت الأب بجمع .
- ثنتين!

- نعم . ألا ترى أن المعنة تحرق في يدي؟! مد أحبيته لزدات
العلة وطأ عليّ! ولا يشعبي إلا أن أتحفه روجاً
فكان لأب بصوت المذموم

- سليبي ما شئت يا استي أحقق رجاءك ولكن لا تطلبي مني
أن أزوجك نوسيان إن من المستحيل أن يصبح لك روجاً
لنالت بإصرار

- ولكنني لن أتحفه منه بدهلاً!

وجاءه شحوب لونها وارتفعت أوصالها . . وعظمت :

- ظلي . . أحس أني أحتق!

وتهاوى رأسها على مسند القعد وأغمي عليها

وهي جرد وثوب أبوها واقفاً وقد طر أنها ماتت
أخذ بيدها بصوت يقطع سباط القلوب راح يقول
- ماري حبيبي ماري تكلمي إني راض بكن ما تريد!
سأزوجك من نوسيان! أقسم على ذلك ولكن تكلمي حبيبي!

ولكنها لم تتكلم ولم تجب!

ووثب يندق الجرس بعنف وهو يصيح :

- ريتاه! لقد قتلها! وحى!

وأسرعت إحدى الخادمات تلبى النداء وأدركت أن سيدتها
معمى عليها فبادرت تنهض وجهها بالمعطر

وتحركت ماري واختلج جعبها

وانصرفت أسارير الأب وهمم

- إناً فقد كان معمى عليها!

وبرفق حملها إلى فراشها وأرقدها على سرير

وحانت منه لفتة ويبس شعبيها رأى نقطة من الدم

وعنا أمام هذا المشهد . مشهد ابنة الوحيدة نبض دماً لم
يمك ذلك الوحش إلا أن يكي!

اتهمرت العبوات من حبيبها وبما كالأطفال ينشع رهبر بدنه
بانفعال

وقشعت ماري عيبيها يطة . جالت بهصرها في العرفة ثم
جمعت بصوت لا يكاد يسمع

- لوميان! لوميان!

هت أبوها بصوت مختق

- اطمئني يا استي ستعيش لكي تحية ونسعدني إلى جانب!

وديت الحياة في أوصال الفتاة وقالت

- أنرعى أن أتوجه ؟

- نعم يا ابنتي - وأقسم لك على ذلك لكن عيني لأجلي
ولأجده !

فانتمست وقالت بصوت يخالطه الإعياء .

- سأعيش وسأكون سعيدة !

كان جاك يحب ابته وكان مروتها لا شك حليفاً أن يقضي
عليه ولم تكن لديه ربه في أن هذا الزواج يعني أن يتم بينها وبين
لوسيان

وقال في نفسه

- وما يدري أن هذا الزواج سيكون دعاً تقبي من انتقام لوسيان
إذ انكشف به أمري إذ ليس معقولا أن يشهر بولاد زوجته .

وصح هزله على أن يماخ لوسيان في أمر الزواج

دها إليه لوسيان وقال له :

- إني أريد يا بني أن أحدثك في أمر خطير !

وكان يدي الاضطراب لا يدري كيف يستهل الحديث

وبعد سكتة قصيرة استطرد

- لقد أخبرني جورج داريه أنك تنوي أن تجتهد مصع أبك في
الموردفيل

- هذا صحيح يا سيدي وهذه الأمانة تجيش في صدري منذ
أعوام

- اعلم إذا أن أميتك وشيكة أن تتحقق وسأكون لك عوناً على
تحقيقها !

- حقا ؟

- نعم - إني أنوي أن أشر مصعاً جديداً - وقد خربت لباله
مدينة الموردفيل - وسأبيع على الأرض التي نام عليها مصع
أبيك

قال لوسيان

- إني أسمع يا سيدي - علنا لا نتوي أن أبيع هذه الأرض !

- وهل سلكك أن تبقي لها ؟

فبدت لمبارك الدعش على وجه لوسيان وقال :

- عافا تعني يا سيدي ؟

- أهي أني سأتحمدك شريكاً لي - أقدم إليك المال وأنت تتولى
الإدارة - إني في حاجة إلى شرك أمون شريف - فقد تقدمت بي
الأعوام وأصبحت في حاجة إلى الراحة .

ساد السكون هيبه - وكان لوسيان لا يكاد يصدق أذنيه

كيف هذا ؟ أتخله بول هرماس شريكاً ؟ وما الذي يحمله
على هذا ؟

وقال لوسيان

- سيدي ؟ فما لم أعمل بعد ما أستحق عليه هذه المكافأة !

قال جاك جازود بصوت عادي -

- لنعلم يا سيد لابرود كيف انتفعت أمانتي أبواب الشراء ! وكيف

شركت سومي مورديمر وقد كنت عملاً بسيطاً ؟

- طبعاً - بجندك وسؤفك !

- هذا أمر طبيعي - ولكن الخطوة الكبرى كانت حين روجي

مورديمر ابته واتحدني له شريكاً - فلم لا أجعل من مورديمر قدوة

هي ؟! أتحدثك شريكاً وأقدم إليك نصف ثروتي الباقية بآنية لايتي عند رواجث بها !

وارتعد لوسيان وقال بصوت المتلعثم

- أتعني أن أتزوج الأثمة ملوي ؟

- هو ذاك ! وأي حائل يقوم دون هذا الزواج ؟ إذ ابتي تحبك وقد اختارتك زوجاً لها

ساده الصمت هيبة وبصوت محتجج قال لوسيان :

- سيدي إن هذا العطف الذي يبديه محوي بجهلي عاجزاً عن شكرك ولكنك لا تسعني أن أراني مضطراً إلى الاعتذار عن قبول هذا الاقتراح

بدت لمسات الدهش على وجه جاك وقال

- ماذا نقول ؟ أرفض أن تزوج ابتي ؟ وما السب ؟

- لأنني يا سيدي رجل ذو كرامة يليق أن يمرعها في التراب

فقال جاك جردود عن عجل

- ما هذا الذي تقول ؟! بلوح لي أنك أسأت فهم حديثي

أنقصي أحاول أن أعيد بك ذلك ؟! ألم أقل إن ماري هامت بك حيناً

وختارتك زوجاً ؟

فقال لوسيان :

- فهمت هذا يا سيدي ولكني لا ريب مصرّاً على الرفض .

- وما السب ؟

- ابني أحب فتاة أقسمت أن أتزوجها ومحال أن أحت

بمعدي

- وهذه الفتاة التي أحببت . . أتراها فقيرة ؟!

- إنها لا تملك مالاً

- وهل تحب أن الحب يدوم مدى الحياة ؟! تزوج ابتي يوا لك

لأن حين يرضي الحب

- إن حين لا يرضي يا سيدي !

- وما لي . ألا تعلم أن رفضك هذا يمكن أن يهلكها ؟!

- إنها لا تلبث أن تنساني يا سيدي .

- وهذه الثروة التي أعرضها عليك ! إنك بهذا الرفض تضاعف

مستقبلك بقدمك !

- ابني أسف يا سيدي إن قبي بس بالسلعة المعروضة ببيع !

ثم تمنى أمام جاك وغادر المعرفة

حين خلا جاك بعينه صائح كالمهلين :

- إنه لا يحب ابتي ! يؤثر عليها فتاة فقيرة !

ولكن هذا لن يكون إذ ليس أن يتزوجها قتلها !

ومحال أن أسمح لخلوتي بأن يذل ابتي ! محال !

- ٢ -

بعد ظهر ذلك اليوم ذهبت ماري إلى زيارة خياطتها السيدة

لونغتين فلما وجدت عند لوسي أقبلت عليها تقول ببهجة عاتبة

- أين أنت يا لوسي ؟! يتم النقطة من زيارتي بعد أن أخرجت

عنان الرقص ؟! إذ حديثك يروقني !

فشكرتها لوسي على تعلقها واستطردت ماري تقول

- ومي بيتي أن تزورك يوماً ما أنت تقيمين في شارع بوربون

ومم ؟! ليس كذلك ؟!

- هو ذاك يا سيدي ومي ريلوتك شرف لي ؟

وأصمت ماري أكثر من ساعتين عند الحياطة وأوصت على الكثير من الشيا

وأخيراً رجعت إلى دارها

رجعت نكي تتوقب ما يحمل إليها لبوها من الألبسة

وحين رجع في المساء أقبل عليها يقول وهو يعانقها

- أراك الآن خيراً عما كنت في الصباح يا ابنتي؟

- لقد أمادي اليوم كثيراً ولكن خبرني أي ما لديك؟ هل

تحدثت إلى لوسيان؟

- تحدثت إليه يا ابنتي ويمكنني أن أقول إن الحياة ليست قائمة

مظلمة كما كنت تتوهمين

- إنك طبعاً لم تبهت بأني أحبه!

- وهل تفوسني يا ابنتي مراعاة التقاليد؟ لقد قلت له إنه إن خطبك

لمن أترده في القبول

- وما كان جوابه؟

- إنه لم يكذب بصدق قال إن ما يبتا من تبهت الثروة والمركز

الاجتماعي يجعل الأمر يلو شيء مستحيل

- وإلى أي شيء انتهى الحديث بينكما؟

- لقد رفضي لمخيراً ولكنه اشترط شرطاً!

- أي شرط؟

- إنه رجل مبين الصعوبات يكره أن تكون لي يد عذبة - ولهذا

سألكي أن أمهله حتى يهيب ثروة يوجوها من اختراع بوشك أن

يهرده

فعالب العاة

- إن هذه الصعوبات البيلة تحملني على تقديره ولكن أترام

يحبني كما أحبه؟

فقال لبوها مجباً

- ومن ذا الذي يملك أن لا يهملك؟!

نظرت ماري إلى أبيها وقالت

- أبي! أترادعني؟ ليس في قولك هذا ما يمكن أن يمد جواباً على

سؤالي!

فقال لبوها بشيء من الارتباك

- إنه لم يهمني بصراحة ولكنني كنت أقرأ في عييه من الحب

آهات صاخبة!

خفت قلب الفتاة وقالت

- أكنت وأصماً؟

- محال! فأنهين امرأة الحب

وسكنت الفتاة هنيهة ثم عادت تقول:

- ولكن هل يطول الانتظار؟

- لا أعرفي... بضعة شهور في العالب،

- وفي خلال هذه الفترة أنكون ما يبني ريبين لوسيان مثمما

يكون بين خطيين؟

- وهل غاب عنك أنه شديد الحياة؟

- ولكن أيرده الحياء عن مكاشفتي به؟

- إنه سيتردد على دارها كثيراً على أي الأحوال

وقالت الفتاة وقد تمت ببرات صوتها عن الانتهاج

- أبي أرجو أن تبادر بإعلان خطبنا

- سافعل يا ابنتي !

وحط يتاولان العشاء معاً

كانت ماري طيلة السهرة مشرفة الوجه بالسة للشفر وكان أبوها
كلما نظر إليها يقول في نفسه :
- لا بد أن أحتال على تزويجها بلوسيان لو أنه لم يتزوجها
لماتت حزنًا وهماً ؟

في صباح اليوم التالي دعا جاك جارود مدير مصنع لوسيان لأبوه
إلى مكتبه وكاشفه بأن في مدينة بلعراء صفقة عظيمة يعني أن يأنف
أحدهما لإبرامها وقال :
- ولدي من الأسباب ما يحول دون سعري فهل تحب أن تنوب
عني ؟

فقال لوسيان :

- بكل ارتياح يا سيدي فعني تريد من أن أسافر ؟
- هذا . وسأصحبك خمسة آلاف فرنك مكافأة إحصائية لتفقد
هذه الرحلة ولأرجوك أن سمح لي في كل يوم برسالة تنبني فيها
بما عقدت من صفقات وأبرمت من عقود .
رأى جاك جارود بنفسه قال .

- ستمشرق هذه الرحلة أسبوعين على الأقل وهي خلال هذه
الفترة أكون قد انتهيت إلى هذه العتاء التي يحبها لوسيان فأنتظر
لأمر معها . . فإن أبيت الابتعاد عت فلتتها بغير تردد
والأمر لا يحتمل إسهالاً فواف حياء ابنتي وأما حياء هذه
العتاء . رأي أب يرضى بأن يضحى ببيت ؟

أما أوليد سولمر سيكون أداني في ارتكاب هذه الجريمة وهو

في سبيل المال لا يمكن أن يحجم عن شيء !

وبعد . فإن إقدامه على قتل العتاء خبيث أن يجمعه في قبضة
يدي كما لنا الآن في قبضة يده
ومرك كفيه ابتهاجاً

في ذلك مساء بحث جاك جارود إلى أوليد سولمر يدهوه إلى
معدته

وفي صراحة كاشفه بما في نفسه

حدثه عن غرام ابنته بلوسيان لأبوه وأهراضه عنها لغرامه بفتاة
فقيرة وكيف عرض عليه نصف ثروته عاين أن يحنث بمهده
للعناء

وقال

- وأنا وجل لا أحب لي هذه الدنيا غير ابنتي ومن أجلها لا
أحجم عن أن أفصح بكل شيء . ولا يمكن أن أظل مكتوف
اليدين وأنا أراها تفبل وتندوي لعلي !
- وماذا تبني ؟

- أريد أن أتزوج ابنتي بلوسيان لأبوه

- ولكنه منصرف عنها إلى فتاته !

فقال جارود بوحشية

- إنني ينبغي أن تقتل فتاته !

- وهل انتبختي لأداء هذه المهمة ؟

- بلا شك . . وستل الأجر الذي تبني !

- ولكن ما اسم هذه الفتاة ؟ وما هو هواها ؟

- هذا ما لا أدره ولكن عليك أن تتدبر الأمر لقد أفضيت

لوسيان بأن أوفدتته إلى بمراد في مهمة تستمدت أسبوعين على الأقل . وسيمتفر غداً أو بعد غد . . ولا بد أن يمضي الليلة أو غداً إلى مقابلة خطيبته وتوديعها قبل مسيره . فلما ترصدت خطواته أمكنت أن تهتدي إلى عنوان الفتاة .

وذكر له عنوان لايرو

وقال أوليد باسماء .

- يمكنك إذا أن تعتمد علي في القضاء على هذه الفتاة . ولكن لا تنس أنني سأسألك أجراً كبيراً !

- ولن أسأرك !

وانصرف أوليد سوليمر وهو يمتي يمينه بالأحر الضخم الذي يصبه عاجلاً

كانت ماري هرمان من أسعد الفتيات

بأنث ليلتها تحلم بقرب رواجها من لوسيان لايرو . وعلى رهم العلة الويلة التي تسحر في صدرها سرى في وجنتها نوراً بعثه الحب .

ولكنها حين عرفت أن لوسيان مسافر إلى بمراد وأن غيابه ستطول أسبوعين أو ثلاثة . امتنع لربها وأدركها الشحوب وبكى أبها استدرك الموقف بقوله .

- إنني ما أوفدتته إلى بمراد يا أسي إلا تمهيداً لإشراكه معي . يجب أن يتحمل مسؤولية تصرف الأمور وحده .

وسري عنها . ووجدت في هذه الحجة ما خفف عنها لوعة الفراق

وفي الساعة تعسب التي جرى فيها هذا الحديث بين الأب وابنة

كان أوليد سوليمر يرصد باب لوسيان لايرو وقد تنكر في زي كهل ليس من السهل اكتشاف حقيقة أمره

وبعد ساعة غادر لوسيان داره فاعطى أوليد في أثره وهو يقول في نفسه

- توى من تكون هذه الفتاة التي يحبها لوسيان . . ؟

ومضى لوسيان إلى الدار التي تشغل لوسي غرفة منها وصعد إليها على حور اقزوى أوليد على قربة يرقب ما يجري .

استقبلت لوسي خطيبها بالتهيج وقالت تعال به :

- لقد لطلب يا لوسيان . وقد كدد الجرع بنفسني !

ضحك وقال

- إننا عيانا فقد كاد يقتلني أنا أيضاً !

ثم ما ليث أن لردف

- على أنه ينبغي أولاً أن أكاشفت ببياهم وإن كنت أعلم أنه يسوزك

فصالت وقد سرى الفتن إلى نفسها

- أي بيا يا ثري ؟

- إنني مسافر إلى بمراد

وحذنها بالأمر

فابتسمت وقالت :

- هذا الشا يسوزي وسعدي في آن واحد . يسوزي منه فرائدك

وسعدي أنك أصبحت أهلاً لشقة السيد هرمان . ومن أجل هذا سأصبر على هذه الأسابيع الثلاثة لا أتدمر ولا أشكو

فليسبم وقال

- أما أنا فاشكروا!

- سي؟

بل من عممي وهي بيبي أن لا أكتب طويلاً في حديثه السيد

هرمان .

ذهبت لوسي وقالت :

- ولكن ما السبب؟

- إنه سبب خطير . - وصانئك به فيما بعد

- ولم لا يكون الآن؟

- لأنني أريد أن أتحدث إليك الآن في شؤون أخرى

ثم قال على الفور مختبراً الحديث

- كنت أتمنى أن تلامك السيدة ليرا بيبي في أثناء عيني

- هنا منمدر الآن - فإذ صاحبة الخبر لا يزال طريقها الفرائش

وهي مضطربة لهذا أن تسهر على تحريضها . .

فيما كان هذا الحديث يدور بين الخطيبين طرق الباب ودخلت

بوابة امرئ نسي لوسي بأن سيدة تنتظرها في مركبتها عند الباب

وهبطت لوسي مسرعة تشرى هذه الزائرة مألقتها الآنسة ماري

هرمان

تبادلت العتاتان التحية وقالت ماري

- إلي دعيه يا لوسي لأشركه في غايه بولوبيا فهل لك أن ترافقني

لتزمني وحدي .

بدا لارتياح على وجه لوسي وقالت

- ما كان أحب إلي من هذا - ولكن في زيارتي ضعفاً لا أستطيع

أن أذهب وأنصرف

فقلت ماري داسة

- وهل هذا الضيف عزيز عندك إلى هذا الحد ؟

فتركت ابتسامه على شفهي لوسي وقالت .

- ذلك سري . . قد أردت أن تنبيهه بأصعدي ممي . وأنني مرفة

من أن الأمر سيكون عندك مفاجأة مذهلة

ولتأربه هذه الكلمة فصور ماري هرمان

برلت من مركبتها وأعدت ترتقي السلم وكانت هرة لوسي

واقعة في الطابق الأخير - والسلام حال مرتفع - وأنهكه الصعود

وبكها تبهرت وتحدثت على نفسها إذ لم تكن تعرب أنها

مصدورة !

وأخيراً بلغت العرفة

دعوت لوسي الباب وقالت :

- تفضل يا سيدني بالدخول

ووقع صر ماري على ثوبان . . ورأها كما رآته . . وصاح الاثنان

صبيحة دهن - وألقت ماري بيدها فوق قلبها وفقد سري لإعجاب

إليها فجأة

وقالت لوسي دون أن تخطئ إلى ما مرا صاحبها من اضطراب

- إنك تعرفه طبعاً يا سيدتي ؟

لم تجب ماري على هذا السؤال - كانت كس لا يسمع أو

يهم . - وإنما التفتت إلى ثوبان وقالت

- لم تكن أتوقع أن أراك هنا يا سيدتي !

جهد لوسياناً صامتاً لا يجيب - ولكن لوسي انبره تقول عن

- إننا صديقان يا سيدتي - وعد اعتاد أن يزورني كل يوم أحد

فقلت نومي وهي تعذب مواطنيها .

- أتعرفينه منذ عهد طويل ؟

- منذ عامين . فمذ كان يقيم في هذا المنزل . وقد استحال صداقتنا حياً وهو الآن خطيب . . . وعاجلاً لأذه إلى

وكان يوسيان واقعاً كالمصروع . كان يعلم أن كل كلمة تنطق بها نوسي إنما هي حيلة مسعدة إلى قلب هذه الفتاة للسلولة ولكن ما حيلته في الأمر . وما الذي يسهل أن يفعل لينتاني هذا الموقف ؟

إنه يحب نوسي لا ماري . وليس في وسعه أن يخادع الفتاة لو أن تقدم إليها قلبه كأنه سلعة باع ونشترى .
وعجبت نوسي حين رأت ما عرا ماري من شحوب واضطراب وأقبلت عليها تقول ببحان
- ما بهت يا سيدتي ؟ هل أزعجتك صمود السلم ؟ تمضلي باجلوس

غابت ماري ما بصها وقالت

- ليس بي شيء ؟ إني منصرف ما دام ليس في وسعك مرافقتي

ثم تحوكت إلى لوسيان وقالت

- لقد سألت نوسي أن أصعد إلى غرفتها وقالت إنني سألقى فيها مفاجأة مذهشة . وقد صنعت يا سيدي ولكني موثقة من أن الأمر عند أبي سيكون مفاجأة أجل وأعظم .
ثم أولته ظهرها ومشت إلى الباب

كانت لوسي في عجب مما رأيت . سألت نفسها عن سر هذا الاضطراب العجائبي الذي انتاب ماري . وما شغل الموقف بعته من

برود غير طبيعي .

وكان لوسيان حزيناً مكتئباً يعلم أن هذا الموقف قد دفع بالفتاة الفسكية إلى الفبر

وقالت نوسي نساك

- ما الذي أصاب ماري حتى طرأ عليها هذه الحالة هذا التعبير العجيب ؟

فقال مرلوغا

- ربما أزعجها صمود السلم

فعممت نوسي :

- مكينة أرى الل يكاد يقتلها ؟

فعمم لوسيان .

- مكينة أ

وفي سره قال

- إن الحب يوشك أن يقتلها

- ٣ -

كان أوليد سولمر وهو في مكته يرى من يدخل بيت نوسي أو يخرج منه . وقد رأى ماري وهي تصعد الدرج . ثم رآها وهي تعود بسرعة وقد عراها اضطراب شديد .

وقد عجب للأمر وراح يسأل نفسه عن سر هذه الزيادة وأنه حلاله بين ماري هرماني ومناعتها خطية لوسيان لا يرو ؟

وتقدم من البواب وقال يسأله :

من تكون هذه السيدة التي دعت صاحبة المركبة إلى الصعود ؟

- إنها خيالة ندعى لوسي - وهي فتاة شريرة - فلماذا كنت تطمح
في هواها فحير لك أن تقطع الرحا - إن لها حظياً بدمي السيد
لوسيان لا يبرو

والذي عليه أوفيد بقعة أمتة ثم انصرف وهو يقول في نفسه
- لا بد أن أحمل إلى جاك بأريادة ابنته الخطية لوسي
حين استقلت ساري مركبتها انطلقت مسرعة إلى دلوها
ودخلت على أبيها تسير في إحياء .

ربح رأسه إليها واد رأى شاحبة الوجه هب والها وهو يقول
- ابنتي ! - ابنتي ! - ما بك ابنتي العذرة ؟

نهالتك على أحد المقاعد وقالت بصوت ضعيف :

- لقد خدعني ! لقد كذبت علي ! إن لوسيان لا يحبني
إنه يحب فتاة أخرى ! وستزوج هذه الفتاة !
وصاح الأب المسكين

- وكيف عرفت هذا ؟ من كشف لك هذا السر ؟ إني ما كنت
عدك هذا الأمر إلا بهيبي من أنني سأقتل هذا الحب من قلب
لوسيان ! ولكن من أفضى إليك بهذا السر ؟

- من أفضى به إلي ؟ الفتاة نفسها ! - إنها سميت مرهونة بعبها !
- إذا فقد رأيتها ؟ من تكون هذه الفتاة ؟

حسبالة ندعى لوسي ! لقد رأيتها واقعة إلى جانب
خطيها ! وكنت أموت هماً ! ولا أدري كيف لم أمت !
فقال جاك جارود

- إنه لا يحب هذه الفتاة يا ابنتي ! ولن يتزوجها !

- ولكن لم كذبت علي يا أبتاه ؟ لم كنت عمي المبيعة ؟

وصاح الأب وقلبه يتحرك

- مؤذي - ابنتي العذرة اعلمي أنني أحببت وأنني ما كذبت
عليك إلا لأني لم أكن ألتحق أن أرى دموعك وعذابك !
- إذا فقد كنت تعرف أنه يحب فتاة أخرى ؟

- إنه هو عصبه الذي كشمي بذلك وقد رجوت أن يتروى في
الأمر وقد يفارق بين الزواج بأسرة فقيرة وامرأة ثمة الثلاثين وقد
كذبت عليك لأني موقن من العور - سأفهر ماسنك وأرغمها من
الخروج من حياة لوسيان بلمة وسيفة - لم كنت لأدعك حرية
بالسة وأنا واقف مكتوف اليدين ! هجلاً سترته يا ابنتي جالباً عد
فدعك بتوسل إليك أن تحبه وأن تسعديه وستكونين إذ ذاك أسعد
النساء

فهرت كعبها وسمعت بلهجة بالسة

- سأكون أسعد النساء ! كانت السعادة عندي حطماً وثبداً !

فصاح جاك جارود وهو يضحك

- أخم لك بذكرى أمك أنك ستزوجين لوسيان !

فقلت لوسي :

لبي أقبل هذا منقدي من الموت ! إنه يحبها ويؤثرها
علي فتاة لينة نشأت في اللجأ . لا أب لها ولا أم . يتشبهني
هذا الشقاء كله ؟

فقال لبرها

- اعلمي إنه لا يحبها ربما كانت صديقه وسببها
عنها إذا ما تزوجك !

وامتقع وجهه حزني وعصب بصوت مخس :

- لشد ما أبغض هذه الفتاة ! لقد نصت على هزلي ؟!

فقال أبوها متوسلاً

- لقد أقسمت لك بذكرى أمك أنك ستصبحين زوجة لوسيان

ومحال أن أحدث بهذا القسم . . . !

- وهذه الفتاة ؟

- سيهجرها

- وإن لم يهجرها ؟

- أبعدا هـ بوسيلة ما . . . فهربنا ادعني إلى عرفتك يا ابنتي

ودعني أتدبر الأمر

ما كادت ماري تغادر مكتب أبيها حتى جاء أوليد سوليفر بروره

وروى له أوليد ما كان من زيارة ابنته لخطيبة لوسيان وقال

مستالاً

- وقد جئت أسألك عن سر هذه الحرارة العجيبة .

فقال جاك جارود مجيباً

- لقد أنبأتني ابنتي بكل شيء . إن هذه الفتاة هي خياطتها 1

ودوى له ما عرف من أمر الفتاة وكيف أنها لقطعة لا تعرف لها لبا

لو أمّا

وقال ياله :

- وعلام هزمت الأك . ؟

- لا أدري . ولكنني سأراقب لوسي مرافقة دقيقة ثم أضع خطني

بعد ذلك . ولكنني لا بد لتحقق هذا الأمر من ثقات كثيرة .

- لا تبال بالأمر . أنفق كما تشاء . كل ما أبغي هو أن أزواج

ابنتي بلوسيان ولو أنعمت على شخص هذه العاية نصف ثروتي !

ودفع إليه أوراقاً تقديه قيمتها عشرون ألف فرنك وقال

- هذه لتقمتك . . أمّا مكافأتك فلها حساب آخر .

لمضت لوسي مسحاة بهلرها مع خطيبها لوسيان يتترهان في

إحدى الحدائق

وفي المساء رجعا إلى دارهما فقال لوسيان ولد رأى غرفة ليبرا

ببعض مطعنة الأشوار

- إن بائعة الخبز لم تعد بعد !

- هذا لأنها تتولى تريض صاحبة الخبز

وقبعا عما يتناولان العشاء قرع الباب ودخلت عليهما جان

مورتييه

أينها لوسيان بسرره إلى بلعراء وقال

- ترى هل شجيت صاحبة الخبز حتى أعهد إليك بملازمة لوسي

في أثناء هزني ؟

فطالت جان في أسف

- ما كان أحب إليّ أن أفعل هذا . ولكني لا أسمعني أن أتحسني

من صاحبة الخبز وهي في محسب . على أنني سأحاول دائماً أن

أزورها كلما تهيأت لي الفرصة

وشكرها لوسيان . وفي صباح اليوم التالي كان في طريقه إلى

بلعراء .

- 4 -

كان أوليد سوليفر رجلاً بلا قلب

في سبيل الحصول على المال لم يكن يحجم عن شيء . وبعد

بعد جاك جارود بأن يقتل لوسي . وانقسم أن يسر بوعده دون أن

بأخذه رحمة يشاها أو جمالها؟

ولكن ما كان في راسه أن يعقلها إلا إذا رآها، ودرس حركاتها وسكناتها وعرف متى تعاد دارها ومتى تعود إليها عند دعائها إلى مشعل السيدة أوجستين

وتكرّر في ربي الخماليين رمضى إلى المشعل وطلب مقابلة يومي - فليل نه إنها تعمل في منزلها ولا تحضر إلى المشعل إلا لتفهم ما تجر من ثياب - فقال

- وأين منزلها؟

- في شارع بوربون - أتركك تحمل رسالة إليها؟

- كلاً - ولكن أحد البلاء لوفدي إليها لأسرها كلاماً

وضحكك العامة التي كان أوفيد يتحدث إليها وقالت بتحكم

- ادع يدأ إليها في دارها - والله لقد كنت بحسبها فتاة طاهرة

فوقها بها على شاكنتا مستهرة بها علاقات غريبة بالبلاء - ولرجوك أن

يلفها هي أنه لا يجعل بها بعد هذا أن تعادنا وتطهر بالمعافاة

ولما انصرف أوفيد أقبل على بوابة المشعل وراح يستمر منها

عن اسم العامة التي كان يتحدث إليها .

ونظرت إليه البوابة بأدواء - فتقدتها خطمة دعبة أطلقت لسانها

فقلت :

- إنها تدعى أماتدا - وست يسفر عنها لحسابك الخاص

بطبيعة الحال - فنهها يا حفلة اللعقات

- كلاً - وأما لحساب أحد البلاء -

- إذا كان على استعداد لأن يترك شيطانها كل ما يريد

- إنه واسع الثراء لا يبقى بالإتفاق -

وفي مساء ذلك اليوم - حين همت أماتدا بمعدرة المشعل دعنها البوابة وأسرت إليها بحوى الحديث الذي جرى بينها وبين الخمالي وقالت

- فلك إذا أن تنتظري صديقاً جديداً

فقال أماتدا ضاحكة

- وهل أطرتني عنده؟

- كل الإطراء

- حسناً - إذا تحقق ما أصبو إليه حشوت جيوت بدال

وما كانت أماتدا تبتعد عن المشعل حتى شعرت بأن هناك من يتفحصها

ولم يداخلها شك في أن مطرده هو ذلك البيل الذي حدثها

عنه الوفية بأنه أوفد حتماً يستمر عنها في الصباح

وتفهمت أماتدا في سيرها حتى خلق بها الرجل - ألقته كهلاً في

الحصى من الممر - ولكنه كان أنيق الثياب تدل سمته على الثراء .

وما كان هذا الرجل إلا لوفيد متكرراً

حياتها برشاقة فردت عليه تحية - ثم أردفت تقول

- ولكنني لم أشرف بمعرفتك من قبل يا سيدي ؟

فقال صديقاً في لياقة

- هذا لأن المعجبين بك كثيرون فيستحيل أن يعرفهم جميعاً

وسرها منه هذا الجواب الطريف للثق فاست - فقال

- وهذه الابتسامة هي في ذاتها بظالة أقدمها إليك - والآن وقد

بنا صديقين أسمحون لي بأن أذهبك إلى تناول الطعام معي؟

وبعد ربع ساعة كنا في مطعم أنيق يتناولان المشاء

وحين قرع من العشاء استقلاً مركبة وأمر أوليد السائق بأن يمضي
بهما إلى دار أماندا

وعند الباب قال وهو يودعه

- عداً بلنعي

- أير؟

- عند الظهر وفي المطعم الذي اعتدت أن تتأولي فيه
ععامتك

- أتعرفه (دا)؟

- كما أعرف كل شيء صحت .

وعند ظهر اليوم التالي التقى في المطعم فقالت أماندا .

- ينبغي أن أعجل بتأويل طعامي فهني داعية إلى إحدى
العائلات يثوب للرقص لكي تنجزه .

- ومن منزلها بعيد؟

- في شارع بوربون

وعلم أنها دأبه إلى لوسي

وفي الطريق إلى شارع بوربون راح يستدرجها في الحديث فعلم
أن هذا الثوب لروجة عمدة كثيرين دي كولومب إذ أنها مدعوه إلى
استعلة السهرة التي تقبها زوجة مدير مقاطعة السين
وقال أوليد

- ومن لا تعهد البدة أوغتين بهذا الثوب إلى عاملة أخرى؟

- لأن لوسي سريعة في إنجاز عملها تصور أنها ستفرغ من هذا
الشرب بعد غد وتذهب إلى كاريس دي كولومب لتجربه روجة
العملة

- ولكن هذه البدة بعيدة!

- إنها برعة جميلة بالسكة الخفيف . . فإذا ما هبطت من القطار
قطعت العاية سيراً على الأقدام على أنني أبعص هذه الترهه لبلاد
إذ تتقدم أقدام المرأة في العتبة أما في النهار فهي من أمتع
الزخافات وهذه السيلة شديدة التائق وقد أبقتني مرة أنا ولوسي
حتى الساعة العاشرة مساء
فضحك أوليد وقال

- لا ريب أن الخوف استولى عليك!

- لو كنت مكاننا يا صديقي لمت رحيان فالطريق مظلمة مظفرة .

وعندما وقفت المركبة بباب لوسي صعدت إليها أماندا على حين
بني أوليد في المركبة يترقب عودتها

وبعد نصف ساعة رجعت أماندا إلى المنزل بعد أن اتفقت مع
أوليد على اللقاء في المساء

كان لوسيان وهو في طريقه إلى بيمرواد لا يكرر مرة في خطيبته
لوسي إلا تراست لعيه صورة ماري هرمان . معدبة مسرولة
نصق دماً!

لياسها معدودة على ظهر الأرض . وتتشدد قبل أن تموت أن
يسعدنا الحب ولو يوماً واحداً

وكان كلما ذكرها كلما أخذته الحزن وحصر مؤاده

وقال في نفسه :

- إن هذه الفتاة على حافة القصر فلم لا أجاملها في حياتها
القصيرة بأن أظاهر بالمعطف عليها بل بحبها حتى نقضي ما بقي لها
من أيام ؟! عندما أرجع إلى باريس سأحدث إلى لوسي في الأمر

وعندما بعث إلى بول هرمان برسالة الأولى ديلها بسترين تحدث
فيهما من ابنته ماري فقاسه أن يلتقيها لطيف عتيته وأنها على
ما بينهما من بعد المسافة مائة في دعه وأن من الحال أن يسي يوماً
واحداً أنه حدين لها بما أصاب في حياته من مصب ذي شأن
وما كان جاك يقرأ هذه الرسالة حتى اغتبط بها اعتباطاً شديداً
ورأى في كلمات لوسيان بشيراً بالحب المنتظر فطلو بها إلى شته
وأظلمها عليها وهو يقول
- أرايت؟ ها هو ذا قد بدأ يحبك

فكانت ماري في أسى
- انظري ذلك يا أبتاه؟ إنه في هذه الرسالة لا يتحدث عني إلا من
داحية اعترافه بمضلي عليه . ولكني أريد حديثاً غير هذا . أريد
حديث الحب لا حديث الاعتراف بالجميل .
- ولكن ألا تريين يا ابنتي من خلال سطورهِ أنه بدأ يكره بك؟ إن
هذا التفكير يوشك أن يطمس على تفكيره في لوسي .
فكانت ماري بمرارة :

- لا تخدع نفسك يا أبتاه .
ولم يرد أبوها على ذلك شيئاً وإنما قال في نفسه
- ما يدري أنها عني صواب فيما يقول . وأنه لم يدعه إلى
كتابة هذه الكلمات إلا شعوره بمضليها عليه لا شعوره بالحب لها .
ولكن لا بد من أن أجمع بينهما ؟ لا بد من زيارة لوسي من
الطريق !

وحسب إلى مكتبه فبعث برسالة إلى لوسيان احتشعها بقوله
«إن ماري مريضة جداً . والحب هو علاجها الوحيد ! . فالدواء

بيدك كما ترى . . حول تدعها غوت ؟؟

في صباح اليوم التالي سافر لوفيد سوليمو إلى كدري دي
كولومب وعلم الطريق من محطة السكة الحديد إلى بيت العمدة
فأعابها كما ذكرت له أنها مفرقة تقطع غداة لا يمر فيها من الناس
إلا القليلون في النهار فما بالك في الليل فقال في نفسه
- عندما تهم لوسي بالعمدة من بيت العمدة بعد أن تجرب الثوب
لزوجته أكون في انتظارها في هذه العاية المقفرة المظلمة فأصحبها
عمدة نكروى القاضية

ولمّا رجع من كدري دي كولومب انطلق من دوره إلى مقابلة
حك جازود وقال له -
- لقد آن الأوان ! .

وأدرك جاك ما يرمي إليه بهذه الكلمات فقال :

- أختاً حانت ساعة القصة القاضية ؟

- وستكون قاضية . . لا ريب في ذلك !

وروى له ما كان من أبحاثه وكيف تعرف بإحدى رميلات لوسي
بعد أن تقدم إليها باسم البارون أربولد دي ريس واستقى منها
المعلومات التي ستهون عليه مهمة
ثم قال مسترسلاً

- وعليك في القمد أن تبقى في مصحك حتى منتصف الليل
وسأعصر لريارتك مهواً فشرهم أن ييني وبينك هماً دائماً خطيراً . .
وحبس نفسك في مكتبك حتى منتصف الليل . ولكني في المساء
أنتقل سرّاً فأصرب صريرتي القاضية ثم أرتد إليك سرّاً دون أن يشعر
أحد . فإن ذلك سهل ميسور !

- ميسور جداً

- حسناً هذا تدبير أريد به إقصاء الشبهة من معي . حتى إذا وقع استحيل واتجهت إليّ الشبهات فكمسي أن ألبس نفسي كنت محك من بعد الظهور إلى متصف الليل نعمل معاً وسحال أن يتطرق الشك إلى شهادة رجل الأعمال العظيم السيد بول هرماس !

فضحك جاك وقال

- إذا غداً تموت لوسي؟

- وبعد ذلك لا يكون أمام لوسيان إلا أن يتحوك إلى ابتك

وفي الساعة الخامسة من مساء اليوم التالي التقى أوليف بصاحبه أماندا عند معادرتها المشغل إذ كان في انتظارها على ناحية الشارع قالت له

- إنني داهية يا بارون أرنولد إلى مقابلة لوسي في شارع بوربون فقال لها :

- سأوافقت إذا

ودعها إلى المركبة التي كانت في الانتظار .
والآن خطوة إلى الوراء .

حين كانت لوسي في طريقها إلى محطة كاريس دي كولوم راجعة من منزل العمدة التقت بجان فورنه

دهشت برأتان من هذا اللقاء غير المتوقع . وسألها جان عما أتت بها إلى هذه الضواحي البعيدة . فكتفتها بأمرها وقالت

- وأنت؟ ما الذي جاء بك إلى كاريس دي كولوم؟

- جئت أستعدي والدتي صاحبة الخبر .

- ماذا أصبها؟ هل تشدت عليها وطأة الداء؟

- نعم . لقد شعرت بأنها تعاني سكرات الموت فأرادت أن ترى نفسها . ومسد هام لم تلتق المرأتان إلا شجر خلاف بين الأم وروح ابنتها فأقسم أن لا مرور حملة بيده ولكني سأرجوها الآن أن تنصني عن هذا الخضم وأن تخبرني عن ابنتها الوداع لأخير

وقالت لوسي

- كنت أريد أن أرافقك يا سيدة بيرين ولكني مضطرة إلى أن أضي إلى دارتي من عوري فاصليح هذا الشرب ثم أعود به إلى صاحبة مرة أخرى في الساعة التاسعة

وتصافحت المرأتان واتحدت كل منهما طريقها

حين مضت جان فورتيه إلى منزل والدتها صاحبة الخبر لم تجد أن مهمتها سهلة ميسورة كما توقعت .

أبت الأم أن تضي إلى زيارة ابنتها المريضة الطريحة على فرش الموت وقالت بغضب

- بهي روجها وعطري من داره . ثم أعود إلى زيارته دون أن يحتذرا الموت عندي أن تموت ابنتي دون أن أراه من أن أذهب إليها قبل أن يموت إليّ روجها برسالة يحتذرونيها

وألحت عليها جان وحاولت وتوسلت بكل الوسائل ولكنها كانت محاولاتها غير مجدية

ومضت إلى المختصرة تقص عليها أسأ وتكاشفها بحيلة معها

نكبت المرأة للسكري وعصمت بصوت يخالفه هبات لموت

- رياء ! تقضي عليّ بأن أموت دون أن أترود من أمي بالنفخة

الآخيرة؟

وفي الساعة السادسة من مساء هذا اليوم مضى أوليف

سولييه إلى مصنع جاك جارود وجلسا يتباحثان في مكتبه فدعا
جاك الخادم وقال له :

- إن لديّ ما يشغلي الليلة وسأبقى حتى منتصف الليل
أباحث مع هذا السيد مهندس فإذا كان موعداً تصرافك المعاد
فلا تتأخرني

وحين أوصد باب المكتب عليه وعلى أوليفد أخرج هذا من طيات
ثيابه مديّة كبيرة وقال هو يتشم :

- ستعجب هذه مديّة في صدره وقد اشتريتها من دكان تقع تحت
بيت لوسي وأنا في انتظار أماندا حين صعدت إليها .
فارتعد جاك وقال :

- إنها مديّة وهيبة ؟

- ربك حياة ابتك معلفه بها إنها مديّة الخبيثة والموت في آن
واحد !

- وهل تذهب لوسي الليلة إلى بيت العمدة ؟

- نعم . . في الساعة التاسعة . . فكن مطمئناً

حين رجع روج صاحبة خبير من عمله في المساء وعلم بما كان
بين جان فورتيه وحماته تولاء المصيب وقال

- ربحها ! ابتها على سرير الموت وتلى أن تحضر لوداعها

فراحت جان تتوسل إليه أن يبحث إلى حماته بكتاب اعتماد
وقالت :

إنك تفعل هذا من أجل زوجتك التي تحبها لا من أجل
حماتك أتريد أن تحمل زوجتك في ساعاتها الأخيرة أشعر
الساء ؟ !

وما مردّد الرجل لحظة تناول القلم وكتب رسالة اعتماد إلى
حماته دعاهما فيها إلى زيارة بيتها

وظلّت جان فورتيه بالكتاب إلى كارين دي كولومب فبعتها في
الساعة العاشرة مساء

رأت الحماة رسالة الاعتماد فطابت نفسها وقالت
- أنتظري حتى أرتدي ثيابي فلأرافقك .

وفي غضون ذلك كانت لوسي في كارين دي كولومب أهباً
تجرب ثوب روجه العمدة فلما أعجبت مهمتها انصرفت عابدة إلى
الحطة تشق طريقها في هذا الطريق المظلم

وهناك في العادة كان أوليفد سولييه يتظرها ومدبته مشرعة في
يده .

وكانت طعنة أطلقت لوسي على أثرها صرخة دامية

ولكن أوليفد لم يرحم هذه المسكينة الصرخة بدنها بل رفع المديّة
وأمرى بها على صدرها للمرة الثانية

وأصاب نصل المديّة جسماً معدنياً فانكسر ولكنه لم يهضم
بذلك كان موقناً أن الطعنة الأولى قضت عليها

ومذّ يده يتحنّن هذا الجسم المعدني الذي انكسر عليه النصل
فألفه ساعة وسلسلتها فقال في نفسه

- فلاسرقتها حتى يقع في الأذهان أن السرقة هي الدافع إلى
الجريمة

وما كان يدرك الساعة في حبه حتى سمع وقع أقدام فانطلق
يمضو مسرعاً إلى العلية وتولّى في ظلماتها

وكان وقع الأقدام التي تقرب لامرأتين لقد سمعتا الصرخة

الدواية فأسرعنا إلى مصدر الصوت لتبين ما حدث .

وصاحت إحدى المرأتين

- انظري ها هوذا رجل يركض صعباً !

وغالت الأخرى .

- ترى ما الذي فعل !

وجالبا بصورها ها وهناك فرق لوسي محفة على الأرض والدعاء

تتربص من جرحها بفرولة

انبحث المرأتان فوق المصابة ثم ما لبثت إحداهما أن صاحت

بجرح

- ربه ! إنها لوسي !

لما كانت هاتان المرأتان إلا جان فورتيه ووالدة صاحبة الخمر وهما

في طريقهما إلى الدوة المحضرة

مالت جان فورتيه فوق لوسي وراحت تقول :

- ربه لقد قتلتها ذلك الشقي ! ولكن ها هوذا نبضها لا يزال

يدق ! أسرعي إلى مركز الشرطة ليبحث إلي بطبيب وسأبقى

بجوارها

- أنت تعريها إذا ؟

- نعم إنها جارة لي

بعد نصف ساعة كان رجال الشرطة قد حضروا ونقلوا المصابة

إلى مركز الشرطة وولى المفتش التحقيق

وإد فرغ الطبيب الذي حضر من فحصها قال :

- إن الجرح عميق ويبلغ الخطورة . ولكنني أرجو أن لا يكون

قاتلاً . . فإني نصل الشفة لم يبلغ القوة لحسن الخط .

فقال مفتش الشرطة

- وإلى أين نقل المصابة فليس في هذه القرية مستشفى ؟

فقال الطبيب .

- يمكن أن أفردها لها غرفة في حاري وأتولى العناية بها على أن

تلازمها هذه المرأة (وأشار إلى جان) ذاتها صديقة بها فيما أرى

صالت جان

- سألازمها ليل نهار يا سيدي الطبيب ولكنني أتوسل إليك أن

تضجها

- إنني أرجو أن يكون لها من شبليها ما يرد عنها غائلة الموت

أنا المفتش فوصح تقريراً عن الحادث أبدى فيه رأيه بأن السرقة هي

النافع إلى الجريمة .

وبعد كانت هذه الحوادث تجري في صاحبة كاريبي دي كولومب

كان سوليمر قد بلغ المصنع وتسلل إليه من باب الخلفي دون أن يراه

أحد ودخل المكتب حيث كان جاك في انتظاره متلهفاً

قال أوليفد بانتصاب

- قصي الأمر !

ودفع جاك حنيه إلى السماء شاكراً

وأسمع أوليفد صليح تياه القروية التي كان متكرراً فيها وأرتدى

تيابه العادية التي كان قد أودعها لدى جاك ثم قال

- والآن بعالر المكتب معاً وكأنا نضرب السهرة كلها في البحث

والشاورة

وبعد لحظات حذر المصنع وتولى البواب إغلاق الباب خلفهما

ودعا إحدى الركبات لهما ! .

في صباح اليوم التالي تولى رجال الشرطة تفتيش العاية على مقربة من مكان الحادث . ولكنهم لم يفتحوا إلى شيء . في ذلك
وعند الظهر أقبلت لوسي من إقامتها . وإذا رأيت جان مورييه
إلى جوارها ابتسمت وحركت عينيها شاكرة .

واغتنم مفتش الشرطة هذه الفرصة وطرح عليها عائلة من الأسئلة
لم تسفر عن شيء جديد . نعم . إنه كان على صواب حين اعتقد
أن السرقة هي اللدغ . لقد سرق منها كيس نقود به ثلاثون فرنكاً
وساعة ذهبية وسلسلة

كلا . إنها لم تر وجه الفاتل إذ فاجأها في الظلام . ولا ترتاب
في أحد وليس لها أعداء

رقم الساعة ؟ كلا . إنها لا تذكر هذا الرقم . وعطيتها لوسيفر
لابرو هو الذي أهداها هذه الساعة .

رجاء الطبيب بفحصها مرة أخرى فقال .

- جرحك بس خطراً يا ابنتي . وسأخبره لك الليلة مرة
أخرى . وبعد ذلك يمكنك أن تعودى إلى بيتك إذا شئت

وخدمت لوسي تقرب

- ليلا يمين . . إنك ستجدين معي . . أليس كذلك ؟

لهفت جان مورييه

- وهل يطاوعني فليسي أينها العريضة على أن ألتزقك ؟ ولكني
سأخيب ساعة واحدة أرى فيها صاحب الخبير لأطمئن عليها ثم أعود
إليها

وانصرفت جان إلى صاحبة الخبير فألقت روجها بيكي بكاء مراراً
معرفة أن الكارثة قد وقعت . وفي المساء أنشبه أطفالها في

المكينة

في غضون ذلك كانت السيدة أوغستين الخياطة مريضة انطلق
لقد ذهبت لوسي بشوب الرقص إلى روجيه العمدة ولكنها لم تعد
إليها لأنها بما تم هناك

وعهدت إلى العمدة أماندا بأن تتحرى الأمر . فلما عادت هذه
الأخيرة المشغل وحدث أوليد أي البارون أرنولد دي روس كما كانت
تظن في انتظارها وصحبها إلى دار لوسي

أقبلتهما البوابة فد لوسي لم تعد مد خرجت في الليلة تسابعة
فرجعت أماندا بالليل إلى رئيسها . وأطمأن أوليد إلى أن مدينته
نصت على الفتاة بلا ريب ولأ فلور أنها كانت على قيد الحياة
خضرت الشرطة إلى دارها . فلما وهو يجهل شخصيتها فلا سبيل له
إلى معرفة مسكنها

- * -

كان الطبيب قد قرر نقل لوسي إلى دارها في المساء . ولكنه
حين عادها للمرة الثانية وحدها قد أصيبت بالحصى على غير
انتظار . فلم ير بداً من إبقائها حتى تزول الحصى عنها .

وكانت جان مورييه قد رجعت من باريس فالتفتت إلى بجانب
لصاية تسهر عليها

وقالت لوسي بصوت خافت

- إني أترقب رسالة من لوسيان فلرجو أن تحضري إلي الرسائل
التي وردت باسمي إلى تيري . واتصلي بالسيدة أوغستين وأنشبه
بما حدث

فقال المفتش

- إنني أشير بضرورة التكتمان - فلا تقولي لها إنها أصبحت
بطيئة . . أذكري لها أية حادثة تشابه .

ومضت جان إلى باريس وأنبأت بوليه التي أن لوسي عثرت في
الطريق فأصيبت بالثواء القدم وأنها في منزل صديقه لها وستعود بعد
بضعة أيام .

وصالت السيب نصه إلى السيدة أوغستين .

وفي صباح اليوم التالي رجعت إلى كازين دي كولومب تحمل
إلى لوسي رسالتين وجدلتهما في دارها .

كانت الرسالتان من حبيبها لوسيان وقد ألقته أنها لم تحب
عسى رسالته الأولى فألقها بأخرى .

وقالت لوسي :

- لا بد أن أكتب إليه بنصي - وإلا أزعجه أن يرى الرسالة بعير

خطي

ولم تكتب على نصه وخطت إليه رسالة موحدة وهي مستلقية
على ظهرها . . وقد كاشفته بما أصابها وقالت :

والدليل على أن جرحي بسيط فني أكتب إليك هذه الرسالة
بنصي .

وفي الوقت الذي كانت فيه لوسي مسهجة أشد الانهاج برسالي
حبيبها كانت أماند، ثائرة هائجة حين فرحت من تلاوة رسالة جاراتها
من أوليف .

في هذه الرسالة كشفتها الدرو أوليف دي ريس بأن مهمة عاجلة
دعت إلى السفر . . وأن رسلته قد تطول

وأودع الرسالة ورقة نقدية بألف فرنك .

وعرفت أماند - من تجربتها السابقة - أن الرحلة المرحومة ما هي
إلا حجة تكتسب تسويقاً للمقاطعة .

وسامها الأمر كثيراً فقد كتب قتي نصها بأن تترك من الدارون
مالاً غير قليل لما رآته من بقعة وإسرافه .

أما أوليف فقد انصرف عنها إذ لم تعد له حاجة إليها - اتصل بها
ليجمع معلومات عن لوسي - أما وقد قننها بما حاجته بعد ذلك
إلى الاتصال بهذه الفتاة ؟

حين تلقى لوسيان رسالة لوسي كاد يهجن إشفاقاً عليها - وخطر
له أن يقطع رحلته فوراً وأن يعود إلى باريس

ولكن الحكمة لم تلبث أن تعلت عليه . فإن الأمر ليس خاصاً
به وحده ومن المحتمل أن يهبط هذه المفاوضات التجارية وأن يخون
الامانة التي عهد بها إليه جاك لأن حبيبته مريضة !

أما ماري هرمال فلم يكن هناك شئ في أنها كانت تتعذب لفراق
لوسيان - فقد ازدادت شعوراً وازدادت العلة ثقلًا من بدلها

على أن أباهما كان يمضي النفس بقرب رواجها من لوسيان ما دامت
العقبة القائمة في الطريق قد قرحت .

لما دامت لوسي قد ماتت فلم يكن أمام لوسيان إلا أن يتزوج
ماري

وفي يوم كان جاك حالاً يتحدث إلى ابنته حين دخل الخادم
يبيح سفته بأن الحظوة لوسي أنت تحمل الشاب الجديدة

وثب جاك واقفاً وقد انقطع وجهه وصاح

- لوسي ! أهي لوسي التي حضرت ؟

ولم تدرك ماري السر الحقيقي لانفعال أبيها . وطته احتاج نصياً

إذ حضرت لوسي إلى دارها بعد أن علمت أبته أنها صديقه
بوسيان . . وقالت :

- هون عليك يا أبته . . قلني لى استجبتها !

وقالت جاك روعه . . وغلب اضطرابه وقال في نفسه

- كيف هذا ؟! هل جدي أولاد واسر لوسالي ؟! ألم يخل لي أنه

قتل الفتاة ؟!

وأقبل على أبته يلهول

- إنني أبغض هذه الفتاة يا ابنتي . . وقد أعاج الغضب انفعالي
رعباً عني . . ولكن لا فامي لأن توصدي يايت في وجهها فاتها لم

يخس ديباً وبسى من اللاتق أن ننحدر إلى مستواها

- أصبت يا أبتي

وأمرت بتقدم يداخلها

ودخلت لوسي تسير بخطوات بطيئة . . بداية الإعياء . . شاحبة
الوجه . .

وقالت

- معذره يا سيدي إذا كنت قد تخطيت عنك أياماً . . فقد اعتدى

عني أحد النصوص وطعني بدينه . . علمت شعيت ما حدث إليك
بالثياب . .

فدانت ماري

- وسم طعنك بالمدينة ؟

- ابتداء السرقة . .

وروت لها ما وقع . . وجاهك جارود يصحي إليها باتباء شديد

وقال جاك يألها

- إننا قهر لوس ؟! هل عرفت ؟

- كلاً يا سيدي

وجاه حملاني حاك في العناء ! عجباً ! إنه يدكر هذا الوجه . .

وهذه اللامح . . بل هذا الصوت ليصاً !

إنها شبيهة بامرأة كان يعرفها في شبابه . .

وتجسست الصورة أمام عينيه . .

وقال في نفسه :

- آه . . إنها شبيهة بجان فورتيه ؟!

ودكر في هذه اللحظة ما عرف من أمر هذه الفتاة وكيف أنها

تمبطة نالت في أحد الملاهي فقال في نفسه . .

- رتدا ! أتكون هذه الفتاة هي ابنة جان فورتيه ؟!

وإذ فرغت لوسي من لعتها قالت لها ماري بخسوة

- حسناً . . التركي الشيب فلاني لى أجريها الآن . . وإذا أردت شيئاً

أعطرت السيدة أوجين بان ثيبت إليّ بأماندا أو سواها !

وانصرفت لوسي وهي تسأل نفسها عن السر في غضب ماري

هرمان عليها وخسوتها معها . . وهي سم تسمى إليها مطلقاً

في مساء اليوم نفسه أرسل جاك جارود يدعو أوليد سوبير إلى

مقابلاته . . فلما دخل عليه اشتره بقوله

- اليوم رأيت لوسي !

فهم أولاد وأصاً وصاح :

- ماذا تقول ؟! لوسي !

- نعم ! إنها على قيد الحياة . . لم تكن الطعنة فائتة !

وروي له ما حدث

واعتب أوليد :

- يا لسوء الحظ ! على أن من حسن حظي أنها لم تنبئ وجهي
وأن الشرطة تعتقد أن السرفه في دافع الجريمة .

وبعد صحت قصير قال أوليد :

- إلأ يسي لي أن أقوم باهولة مرة أخرى .

- لو أننا فعلنا لأشبهنا للأعظم وأثرنا الشهات فما تكون
فئة واحدة مبدأاً للصوص مرلين في حلال عشرة أيام

- إلأ هل رجعت عن هزمتك ؟

- وكيف أراجع وحيات ابنتي معلقة على ذواجمها بلوسيان ؟

- وهلام صرمت إنفا ؟

- لوسي بقبطة وأودعت المنجم في عام ١٨٦١ أو ١٨٦٢
وقيدت في السجل برقم ٩ وأريد أن أعرف جميع البيانات الخاصة
بها والمدونة في السجل حتى ولو دعا الأمر إلى سرقة هذا السجل
نفسه

- وأية عائلة نجحها من هذا العمل ؟

- اليوم فابست لوسي للمرة الأولى . فهل تعلم أنها تشبه جان
مورتييه شياً شديداً ؟

فقال أوليد باستعجاب

- أنصني أن

- نعم من المحتمل جداً أنها ابنة جان مورتييه الشبه واحد
والبس واحدة وقد أودعت للفجاءة كاتبة جان . . فلماذا ثبت ذلك

فمحال أن يتزوج لوسيان لابرو ابنة لفرقة التي خلت ليد

- ولكنه يعتقد كما ألبأتني أن جان مورتييه يرثه !

- ولكن هذا الاعتقاد لا يغير من حكم القضاء ولا من حكم

الناس وإذا تزوج ابنة جان فليس على سمعته قضاء مبرماً ! قد
كنت أعتقد في قتل لوسي سوف أكتشف بطريقة أخرى !

وذلك كقته ابتهاجاً وقال مستطرداً -

- يجب أن تسرع ابنتي من لوسيان ؟ هذا هو هدف في هذه

الحيلة وسأعلمه بكل وسيلة ممكنة مشروعة كانت أو غير
مشروعة !

بعد أن انصرفت لوسي أحست ماري هرمك بدقايق شديدة

فأمرت بإحضار مركبتها ودعت إلى زيارة صديقتها بصور إثري كلتن
على نجد في مشاهدة صورة ولوجاته ما يسري عنها هذا الخوف الذي

شاع في نفسها

ولراح يقين البتار عن لوحة كبيرة بالحجم الطبيعي ولال

- أثروك هذه اللوحة يا ثري ؟

- إنها لوحة رائعة . ولكن هذا عجيب ! بحبل إلي أنني رأيت من

قبل هذه اللوحة التي يحيط بها رجال الشرطة أو على الأقل رأيت
فئة تشبهها شياً صعباً

فقال المصور مستكلاً :

- ومن تكون هذه الفئة ؟

- عاملة عند الخياطة أو خستين تدهي لوسي أتعرفها ؟

- كلا يا سيدني . . وأين تقيم هذه الفئة ؟

- في رقم ٩ بشارع بوربون

- إن هذا يحدث كثيراً

تم انقل الحديث إلى ناحية أخرى إذ سأله أن يرسم بها

صورة بالحجم الطبيعي حتى نهديها إلى أبيها في يوم مولده
فوعدها المنصور بأن يحرق قبل انقضاء الشهرين الباقيين
وتطرق سهما اخلفت إلى بلصاع والاختراعنف فقال إني
- لقد كان جدك مورتيير من كبار المخترعين فيما عرفت
- هذا صحيح وكذلك لي ومن أعظم اختراعاتهما آلة
الخططة الصائنة وآلة الصلصال .

فقال إني باستغراب

- آلة الصقل ؟

- نعم - وهي تصقل حتى الأجسام المقعرة وغير المستوية .

- ومن أقدام أبوك في أميريكا كبرا ؟

- نحو اثنين وعشرين عاماً . - لقد استقر فيها سنة ١٨٦٩

ولما انصرفت مري وقف إني بنأمل اللوحة ويقول في نفسه

- عجبا - إذا لوسى تشبه جان مورتييه شهاً عجيباً - وقد

شباب لوسى في السجن - فهل تكون يا ترى ابنة جان ؟

- ٦ -

ثم يكذب بخفي يوم واحد على الحديث الذي دار بين أوليف وحاك
جارود حتى كان أوليف قد هبط قرية جيواني يتحصى عن لوسى
ويعود إلى صاحبه ينبؤ عن ما فيها

أمضى أوليف في الصدق ساعة تحدث فيها إلى صاحبه وسأله أن
يرشده إلى امرأة عجوز من أهل القرية - إذ أنه في حاجة إلى
لاستعصار عن حادث قديم للمهد

ودهب أوليف إلى زيارة هذه المرأة وقال لها

إنك تعرفين طبعاً اسماء جميع الممرضات اللاتي كن في هذه
القرية منذ عشرين سنة - ولقد كان هتد إحدى هذه الممرضات
عائلة لودعتها أم تدعى السيدة فورتييه - فهل تعرفين اسم هذه
المرضع ؟

فجالت المرأة

- هذا سؤال صعب

- سأعيبك على التذكير - إن الأم ألهمت منذ عشرين سنة

بالسرقة والقتل واحراق مصبح السيد لانيروا

جهنت العجوز

- أه - لقد تذكرت هذا الحادث - إنه كان حديث أهل القرية

نعم - لقد كان لهذه الشقية طفلة عند الممرضة السيدة لوسى .

- وابن السيدة لوسى ظني أحب أن ألتحدث إليها ؟

- لقد عالت

- وابنة جان مورتييه - ما كان مصيرها ؟

- أغلب الظن أنها أودعت ملجأ النقطاء كك جرت بذلك العادة

إذا ماتت الأم أو انقطع أحمر الموضع - فإذهب إلى دار العسدية

فليدهم محل واقف بنصر جميع اليبات التي تسأل عنها

مضى أوليف سوليير إلى دار العملية وهو يقول في نفسه

- والآن ما العمل ؟ لو أنني طلبت هذه البيانات لأثرت الشبهات

ولظن القوم لي مود من قبل جان فورتييه الهاربة - فأضغ نفسي

بذلك في مأزق حرج -

ولكن لم يكن في وسعه إلا أن يستعصر .

دخل دار العملية ولكنه لم يحصل مباشرة إلى قسم السجلات

وإذا دخل مكتباً رأى فيه موظفاً شاباً جالساً على الفراد .

حياء وقال

- أسمع يا سيدي بأن أوجه إليك سؤالاً؟

- بكل ارتياح

- أعلم اسم العمدة الذي كان يتولى الأمر في هذه الفترة في عام

١٨٦١؟

- بكل تأكيد يا سيدي إنه يدعى دشمان وهو عمي

- أهو في جواني؟

- كلا إنه مقيم في ديجون

- إن بي سؤالاً آخر عن حادث وقع في سنة ١٨٦١

- قد يكون في وسمي أن أدلي إليك بما تطلب من بيانات

وفي هذه اللحظة فتح الباب ودخل رجل مردي ما إن رآه الفتى

حتى شجب وجهه وبدا عليه الفزع وقال بارتباك .

- أنبي يا سيدي

فقاطعه الزائر يروحش .

- دعك من الألقاب واحد لي عني

- أرجوك أن تعطني مثلاً

- أمهلك ؟ إنك منذ سنة شهر لا تسكني إلا أن أمهلك غداً

أعمر موعد بيننا فإذا لم تقم لي لك مرنك قدّمت إلى الشرطة

السد الذي ردت عليه تويع منك . وهذا هو إنفاري الأخير

اعتم أوليد هذه العرصه وقال

يؤسسي أنبي حضرت هذا الحديث للرجع ولكن ما الذي

حدث؟

فقال الفتى مجباً

- إن هذا السيد شريك لمعي في تجارة الخمر وقد حملي

الطيش على أن أزوج تويع عمي على سفين دفعتهما إليه وأخذت

منه الألف مرنك وأنا أرجو أن أتأكد من إبعاده حقه في موعد

الساد قبل أن يقدم للسفين إلى عمي ويطابه بلبستهم وهو الآن

يتوعدني بأن يكشف أمرّي ويلقي بي في السجن

وقال تاجر الخمر

- هاندا للمرة الأخيرة أمهلك يوماً واحداً

وتصرف على الفور . فقال أوليد

- وما الذي دفعك إلى هذه القطة الشائنة؟

- عرسي بأمرأة لا تستحق إلا أن تجلد بالسياط حين نصبت

أموالي غصبت عليّ وبسدتني ولاك ليس بي إلا أن اختار بين

السجن أو الانتحار

فكبت أوليد هيبة ثم قال

- هل حان موعد انصرارك؟

- نعم

- إذا أحب نذهب إلى تاجر الخمر

- وما العائدة والألف مرنك ليست معي أنبي لا أحب أن

أستهدف مرة أخرى لإهانته .

فابتسم أوليد وقال

- إن الألف مرنك ليست معك ولكن معي

- ماذا تقول يا سيدي؟

- سلوني عنك القيس . .

- ولكن

- لا تعرض إني لقد ذلك سامعك أن تسدي إلي خدمة صغيرة

وبعد نصف ساعة أخرج أوليف من محفظته أوراقاً نقدية بألف فرنك ووضع مكانها السطرين المزورين .

قال أوليف سوبير يخاطب الفنى وهما جالسا يتناولان الطعام في أحد المطاعم :

- إذا فقد تركتك هذه المرأة بعد أن تورطت في الذبور !

- نعم يا سيدي . . فلا زلت مطالباً بالنهي فرتك

- سأرهبها عنك أيضاً

- لا داعٍ بذلك يا سيدي فقد وعدني الدانتون بامهالي !

- وادع حين موعد السداد وعجرت ما يكون من شرك

كلأ إني سأفني عنك دينك كله على أن تؤدى لي هذه الخدمة

- إني ومن إشارتك يا سيدي

- مد اثني وعشرين عاماً كانت لي عشيقة ورقت مني طيلة

فتمت عشت أن روجها برشك أن يعود من رحلته أودعت هذه

الطيلة عند إحدى المصحات في جواني وقد عادت مرراً

ذلك في رحلة طويلة وعندما رجعت من معري لم أجد أثراً لمثقتي

وسب أعلم بها مفرراً أما الموضع فتدعى فرمي ورحلتي إليك

أن تساعدي في البحث عن ابنتي

فقال الفنى

- هذه البيانات مدونة يا سيدي في سجل العمدية

- أيمكن أن تأتني بصورة منها؟

- إنك تسألني أمراً خطيراً يا سيدي ويكتفي من أتردد في إجابتك إني ما تنفي فقد أسديتني جعلاً لا يحدد

فقال أوليف باسماً

- ولكن ليالك أن تعود ثانية إلى حماقتك فترمي عند قدمي هذه

المرأة . . أكأنت جميلة؟

- إني لم أر يا سيدي من هي أجمل من أمائد أو أوشق منها؟

وهض أوليف :

- أمائد! هذا عجيب!

- أتعرفها يا سيدي؟

- صمها لي أولاً!

فلما وضعها الفنى قال أوليف

- هي يمينا . . ولكنها ليست لي جوتي الآن .

- لقد بارحستها إلى باريس مد شهرين بعد أن ارتكبت بعض

المجرائم

- أية مجرائم

وعرف أوليف من حديث الفنى أن أمائد كانت حامله في

أحد المحلات في هذه البلدة فارتكبت جريمة سرقة وهض صاحبة

الحل بأن تشكرها لولا أن توسلت إليها أمائد ناكبة نصمحت عنها

بعد أن استكثمتها اعترافاً بالسرقة ولهنسها عاماً لإيقاف ثمن

ما سرقة وقد وبرت السدين وقدمت إليها لألف فرنك لتدفعها

إلى صاحبة المحلات ولكنها بددتها ثم هجرتني ورجعت إلى

باريس

- وما هو عنوان هذا المحلات؟

- رقم ٧٤ بالشارع الكبير

بعد ساعة كان أوليد في الحانوت رقم ٧٤ بالشارع الكبير .

قال لصاحبه

كتاب عندك عمامة تدعى أمائد . وقد سرق منك بعض البضائع وقد أوفدني إليك لأستعيد منك الإقرار وأنفذك ثمن ما سرفت

وحدث هنا ما حدث في السنتين اللتين رورهما دشمان أخرج أوليد من محفظته ورقة بقدية بالكف فربك ومكانها وضع الإقرار الذي تعترف فيه أمائد بأنها سارقة

وهي مساء اليوم التالي التقى أوليد بالقاضي دشمان في الموعد المضروب فودع إليه ورقة وهو يقول

- إني لم أُنسخ لك صورة من السجل وإنني أتترعت الورقة بمسها وجنتك بها . فقد كان لدي عمل كثير لم يدع لي وقتاً للنسخ

ألقى أوليد نظرة عجلية على ورقة السجل فوجد فيها جميع البيانات المشدودة . ولم يعد يحالجه شك في أن لوسي هي ابنة جان غورييه .

دس أوليد السجل في حبيه وصالح الفتى وشكره بحرارة فقال هذا في ترده :

- ولكن أسمح لي قبل أنصرافك أن تعطيني السنتين الموردين

فقال أوليد باستعجاب

- السنتان الموردان آه آه . لقد مرقتهما لكن مطبعتاً

ولكنه كان كادياً في قوله . لقد احتفظ بالسنتين كما احتفظ

بقرار السرقة وهو يقول في نفسه :

- ما يدري أني قد أحتاج إلى هذه الأوراق يوماً ما ! إنها في يدي تصبح سلاحاً لأرغم به دشمان وأمندها على الرصوح لإرائتي وعدم الوشاية بي

- ٧ -

عثر رجال الشرطة في أثناء تعنيشهم العابه التي وقع فيها لاعتداء على لوسي على قطعتي المديّة التي طُعت به الفتاة المسكينة صُنعت القطعتان إحداهما إلى الأخرى بنطابقتا وكان اسم البائع وعمره مكتوبين عليهما . وهذا همه :

أروشار . بائع أسلحة - ٩ شارع بوريون .

ودعش مفتش الشرطة حين قرأ هذا العنوان وقال في نفسه - عجيباً . إنه عنوان لوسي أيضاً . إنها نقيم في هذا المنزل ذاته ! وكان من رأي قاضي التحقيق أن الجريمة لم ترتكب عمواً كما كان الرأي للوهلة الأولى . والدليل على ذلك شراء حديّة من المتروا منه الذي نقيم فيه لوسي . وقال القاضي

- فالمتدي إذاً يعرفها حق المعرفة . إلا إذا كانت المصادفة قد لعب دوراً عجيباً غير مألوف !

وانتقل التحقيق إلى حانوت بائع الأسلحة وراحت العاملة التي باعت المديّة نصفه الشاري للقاضي فقالت - إنه كهل في الخمسة والخمسين متألق الثوب له رشاقة الشبان ولا يبدو على وجهه سمة الفهرمين

وصعد القاضي إلى مسكن لوسي الفجعة في الطابق الأعلى من المنزل وأسلحها بما أسمر عنه التحقيق مع بائع الأسلحة لعجت للأمر

وقالت .

- ولكنني موقنة من أن المعتدي عليّ كان رت الثياب !

- من المحتمل أنه كان متكرراً

- هنا جازر

بعد أن انصرف القاضي ومفتش الشرطة مضى لوسي إلى مشغل السيدة أوجستين تحمل إليها ما أنجرت من ثياب جديدة

فالت الحياطة الشهيرة تسألها

- ألم يهتد رجال الشرطة بعد إلى المعتدي الأليم؟

- كلاً . ولكن الأمل قد فشت في اعتقال

وروت لها ما كان من عثور الشرطة على المديّة ومعرفة أوصاف الرجل الذي اباعها من بائع الأسلحة الذي يستاجر حائوناً في المنزل بمسه الذي تقيم فيه

وكانت أماندا تصمي إلى هذا الحديث باهتمام شديد

وقالت السيدة أوجستين

- إنني أشاطر القاضي رأيه . إن هذا المعتدي يهربك من قل على

ما أظن . وما من شك في أنه يحقد عليك حقاً شديداً

- ولكنني لم أفس إلى أحد ! ولم يحقد عليّ؟

وتذكرت أماندا عند ذلك الحصال الذي جاء يوماً يسألها عن

لوسي وعن عرونها فقالت

- أليس لك حديق بيلته فلم عليك بعد أن هجرته؟

فأسمت لوسي وقالت

- ما عشقي أحد حتى اليوم؟

فقالت السيدة أوجستين

- الحق أن هذا الحادث غامض معهم ولكنني أرحو أن تنجني

هذه الظلمات عاجلاً

- ٨ -

كان لوليد قد تقطع عن مقابلة أماندا حين ظن أنه هل لوسي فلم يعد في حاجة إلى المعلومات التي غده بها . ولكنه حين عرف أن لوسي لا تزال على قيد الحياة عاد يتصل بأماندا عقب عودته من جولاته مزوداً بإقرار السرقة التي اقترعتها

وفي ذلك المساء كانا على موعد لقاء

فالت له أماندا

- أعلمت بما أصاب لوسي؟

فهمت متجافلاً .

- ومن تكون لوسي هذه؟

- تلك الحياطة المقيمة في شارع بوربون والتي رافقتني إلى دارها

يوماً ما .

- ماذا أصابها؟

- أصيبت بضربة مديّة كادت تقضي على حياتها

ورب له تفاصيل الحادث . والتطور الجسد الذي طرأ على الصبي

القصة . وقالت

- وعد عثروا على المديّة وعرفوا من البائع أوصاف الشري

استمع وحه لوليد حين سمع هذه الكلمات وعمره اضطراب

ظاهر . فقالت أماندا :

- ما هذا الاضطراب؟ لمريض أنت؟

فضغط أعصابه بجهد كبير وقال

- كلاً ولكن هذه القصة المبررة هدأت أعصابي

ثم قال مسترسلاً

- ولكن أي دافع لهذا الكهل لتنتقل إلى قتل لوسي؟

- هذا ما سوف يكشفه التحقيق ولكن الشيء الغريب أن هذا الكهل اشترى الخنجر في الساعة نفسها التي كنت أنت فيها تخطري في المركبة عند باب لوسي فلا شك أنك رأيت .

فقال أوليفد بصوت هادئ

- كان ينبغي أن أراه . ولكنني لم أكن ملتصقاً بالأب إلى باب

الطمانوث

وكالت أماندا ترقبه بدقة وهو يقول ذلك ولم يحف عليه أن

هيبه كانتا ترسلان وميضاً من الخوف

وعاد أوليفد يقول

- وهل نرجو الشرطة أن تولد إلى اعتقال هذا الكهل؟

- طبعاً والتحقق يتقدم من يوم إلى آخر . ولكن لم أراك

شاهد الاهتمام بأمر هذا الكهل؟ أراك تعرف شخصاً تطبق عليه

هذه الأوصاف؟

كان هذا التلميح أوضح من أن يحتاج إلى تفسير . . لقد أدرك

أوليفد على الفور أن أماندا ترتاب في أمره . وأنها تعتقد أنه هو

الذي ابتلع البسطة حين كان في انتظارها على قسيده خطوات من

حالات بلغم الأسلحة .

وقال أوليفد

- فسمع هذا الحديث جانباً وأصبرني سمحك لأروي لك ما

شهدت من غرائب وحجائب في أثناء رحلتي .

- وملنا رأيت؟

- لقد جمعت غداج من خطوط بعض المشاهير من الأحياء

- حقاً؟ ومن أي الدول؟

- من فرنسا . ومن جواني بالذات

- ونظر إليها أوليفد مسترسلاً مراراً وترعد

وقالت تسأله متظاهرة بعدم الاكتراث :

- لمي بلدة جميلة؟

- نعم . وقد تمررت فيها بصاحبة حاسوب للشباب فوجدتني

بالمودج عظمي نقدتها ثعناً له ألف فرنك .

شعب وجه أماندا وأحلفتها رعدة شامة فقال أوليفد مسترسلاً

كمن يروي حكاية ظريفة

- وهذا المودج مدبل بتوقيع فتاة تدهي أماندا . وبجاني ليس

هذا هو اسمك؟

ولم يعد ثمة مجال للمراوغة أو الإنكار .

فالت أماندا وهي ترتعد

- ولم تسألني ما دعت تعلم كل شيء؟

- وما الذي يحبك من ذلك؟ لقد علمت بالأمر مصادفة . ول

كنت لك صديقاً مخلصاً فقد بادرت إلى دفع دينك واسترداد الإقرار

حتى أردت منك المار .

فالت الفتاة

- شكراً لقد اقتربت هذه المصلة في ساعة طيش وجنون

ولكن أين الإقرار؟

- في غرفتني . . إني أحفظ به

- ألا تنوي أن تعيده إلي؟

- كلاً ، إنني أحب كما قلبك أن أحفظ بسلاح الخطوط

فعالت بخصب :

- دح المراوغة جانباً يا بلرون . . إن لك غرضاً خفياً من وراء

لاحتفاظ بالإقرار الذي كتبت أعترف فيه على نفسي بالسرقة

لماذا هو هذا العرض الخفي؟ أتريد أن تشتهر بي وتزعمي في
السجن؟

فقال باسماً

- إنني أحبك ومحال أن يخطر ببالني أن أسوء إليك

- إذا؟

- كل ما في الأمر أن التجارب علمني أن أهدر النساء . . ولهذا
سأحتفظ بهذا الإقرار ليكون في يدي سلاحاً أستعمله حين تدعو
الحاجة

- إذا فقد أصبحت غامضة لإرادتك!

- وهل في هذا ما يصورك؟

فقالت تسأله بعد برهة

- كيف علمت بهذا الإقرار؟

- مصادفة وانفاقاً!

فقالت بهجة ذات معنى :

- وكذلك اتباع المعتدي على لوسي المذنب من الخانوق القائم تحت

يها مصادفة وانفاقاً!

وعند هذا التعريض لم يعد لدى أوليد شك في أنها تعرف أنه هو
المعتدي فقال :

- مهما يكن من الأمر فإن المعتدي على لوسي لم يساق إلى

السجن فإن لديه سلاحاً يود به عن نفسه كيد خصومه!

وحين هم بالانصراف قالت له :

- ما هو عوالتك قد يدعوني الأمر إلى الكتابة إليك؟

- حاذري أن تكتبي إلي . . فإن لي زوجة وأولاداً!

وحين غلب لهاثها بعصا قالت

- إن البلرون يعلم علم يقين أنني أرتاب في أمره ولكن كيف

لشي به وفي يده هذا الإقرار يتوعدني به لي كل لحظة!!

ولكن ما هو سره؟ ولم حاول أن يفتش لوسي؟

بسمي من الآن فصاعداً أن أترصد خطواته وأهرف عنوانه وعند

ذلك يهون علي اكتشاف سره

ذهب أوليد سوليمر إلى مقابلة جاك حارود وأطلعته على الورقة

التي انتزعها من السجل وقال :

- لم يعد هناك شك في أن لوسي الخطيئة هي ابنة جان فورتيه

فقال جاك

- ومع ذلك فبسمي الاستيثاق من الأمر إلى عاينته القصوى قبل أن

نقدم على أي عمل

- سأذهب إذاً إلى الملحق وأسأل عن الطغمة التي أودعت فيه يوم

٦ نيسان/ أبريل من عام ١٨٦٢ وما كان مصيرها بعد ذلك . ولكن

أعبرني متى يعود لومبيان من رحلته؟

- بعد أربعة أيام أو خمسة

وفي الساعة الخامسة مساء عاد أوليد إلى مقابلة جاك حارود وقال

له

- نلذ ذهبت إلى النجى وأطلعت على السجلات .

- ولماذا هزمت؟

- هزمت أن لوسى الخباجة هي ابنة جاك فورتيه

فقال جاك بابتهاج

- الآن يمكن أن تضرب الضربة المضاعفة - وسرى إذا كان

لوسيان لأبرو سيرضى بأن يتزوج به المرأة التي قتلت لبداء؟

- ٩ -

بعد أربعة أيام كانت في باريس فتاتان تنظران هودة رجل
واحد - ولكن واحدة منهما تعتقد أنه يحيا وأنه لن يتزوج سواها

أنت هاتان الفتاتان فهما لوسى ومترى هرمان - ولما الرجل
فلوسيان لأبرو العائد من رحلته إلى بلعراء

استقبلته لوسى وقد بدت عياها بالأميرات - فقال وهو يضمها
إلى صدره

- رباه! إنها كانت وشيكة بأن تكون زوجة ساحقة - لو أنني
تلقيت يوماً برفقة نيشي بموتك! لو أن هذا حدث لك، حراً!
نضحكت وقللت

- فلندع هذه الشغولات - وحسبك أن تترني لسانك على أتم
صحة!

- ولكن كيف وقع لك هذا الحادث؟

روايت تروي به تفاصيل الاحداث الذي كادت تذهب صحبه

وفي صباح اليوم التالي مضى لوسيان إلى القصر فاستلمه جاك
مرحباً وقال له

يتي سعيد بأن تشتمك لهذه المهمة فقد أحسنت أدائها
وجاءتني من أصدقائي من رجال الأعمال رسائل كثيرة يعبرونك
بها

ويعد أن روى له لوسيان نتائج رحلته قال :

- ولكن أخبرني أولاً يا سيدي كيف حال الأئمة ماري؟

- مسكينة .. لقد اشتدّت وطأة الداء عليها

- ولكني أرحو ألا يكون الأمر خطيراً!

- إنك سترها الليلة فأت مدعو لتناول العشاء عندنا - ومسكينة

متعبة إلى لفتاك ولا حديث لها إلا عنك

وفي الماء مضى لوسيان إلى منزل جاك جارود

كانت ماري جالسة في صدر الداعة - دماً وأنه مغبلاً هفت

واقفة - ولكنها ما لبثت أن توجهت ونهارت على مقعدها منهوكة
القوى وقد شحبت وجهها

أسرع إليها أبوها حراً فقالت

- إني أحس إعياء خصباً يا ابنة - ولكنه قد زال - ما كدنت

أرى لوسيان حسي شددت لرجاعي - فبان حسي له يطحن على
الأمي .

فقال لوسيان :

- ولما سعيد مررتك يا أنسي

- لنقول حقاً؟

- بكل تأكيد!

فتشرق وجهها وانفجرت لمسيرها .. وقالت

لم إن لا تروونا كل يوم؟ إنه ليسرني أن أذكوك تناول العشاء

- لقد ذهبت إلى المسجد وظلمت على السجلات .

- وماذا عرفت؟

- عرفت أن لوسي الخياطة هي ابنة جان فورتيه .

فقال جاك بأبهاج

- الآن يمكن أن نضرب القسرية القاضية - وسرى إذا كان

لوسيان لأبرو سيرمي بأن يروح إليه المرأة التي قلب أياه؟

- ٩ -

بعد أربعة أيام كانت في باريس فتاتان تنتظران عودة رجل

واحد . وكل واحدة منهما تعتقد أنه يحبها وأنه لن يتزوج سواها

أت هاتان العائدتان مهم لوسي وماري هرمان رأيتا الرجل

فلوسيان لأبرو المعاند من زوجته إلى بلعراء

استقبلته لوسي وقد تمدت عيها بالعميرات فقال وهو يضمها

إلى صدره :

- رباه ! إنها كانت وشيكة بأن تكون فجيعة ساحقة لو أنني

سئلت يوماً برؤية تبني بموتك أليس هذا حدث مت حراماً؟

فضحكت وقالت

- فسدع هذه التفولات وحسبك في ترائي أسماكك على أتم

صحة !

- ونكي كيف وقع لك هذا الحادث؟

وراحت تروي له تفاصيل الاعتداء الذي كاد يذهب بصحة

وفي صباح اليوم التالي مضى لوسيان إلى المصنع فاستسلمه جاك

مرحباً وقال له :

يبي سعيد بأن انتدنتك لهذه المهمة فقد أحسنت أداءها

وجاءتني من أصدقائي من رجال الأعمال رسائل كثيرة بطروث

فيها

وبعد أن روى له لوسيان نتائج رحلته قال

- ولكن أخبرني أولاً يا سيدي كيف حال الأكنة ماري؟

- مسكينة . . لقد اشتدت وطأة الداء عليها

- ولكنني أرجو ألا يكون الأمر خطيراً !

- إنك ستراها الليلة عانت مدهو لتناول العشاء صمناً والمسكرنة

متنبهة إلى لقاءك ولا حليت لها إلا عتق

وفي المساء مضى لوسيان إلى منزل جاك جدارود

كثت ماري جالس في صدر القاعة - بلت رأته مقبلاً هفت

رائمة - ولكنها ما لبثت أن توجعب ونهزت على مقعدها منهركة

القرى وقد شحب وجهها

أسرع إليها أبوها حراً فضالت

- يبي أحس إعياء خفيفاً يا أباه ولكنه قد زال ما كذبت

لزي لوسيان حتى تبددت أرجاعها هي - هوان حبيب له يطعن على

الأمي

فقال لوسيان

- ولما سعيد برؤيتك يا أبنيتي .

- نقول حقاً؟

- بكل تأكيد !

فأشرق وجهها وانفرجت أساريرها . . وقالت :

- ثم إننا لا نرودنا كل يوم؟ إنه ليسرني أن أعودك تدار العشاء

معنا كل ليلة

داشت ارتباك لوسيان وقال

- (تلك يا أنسي تصدقني معي بأفصالك)

فطلب هذا القول منه قبولاً ولكنه ما لبث أن أوقف

إن أعمالي مشغل كل وقتي يا أنسي فهلاً أعصي من

فقاطعته بقولها

- ستزورني في عطلة أيام الأحاد ولرجو أن تزورنا أيضاً في هذه

الأيام

وبطرت إليه نظرة ذات معنى فأدرك أنها تشير بذلك إلى رياره

لنوسي أيام الأحاد فقال .

- ولكنني أصدقك يا أنسي لا ينسني لي أن أزورهم إلا في أيام

الأحاد

علمت الليأس على قلبها واشتملت يراول حنقها على غريبتها

وقالت :

- فأنت تردني خالية إناً

فدخل أبوها في الأمر بقوله :

- إن من الاتصال يا ابنتي أن ندع له يوماً من أيام الأسبوع يكون

فيه مطلق الحرية بفعل ما يشاء

فكانت بيأس

- أصعب يا أبته! ولأن قد حرمت نفسي أسرفت في مطالبي . . وما

كان ينبغي أن أنسى النفس بتحقيق هذه الأحلام .

ولادت بالصمت . وسرت في وجهها سحابة من الاكتئاب .

وشعر لوسيان بالرتاء لها

وحين قادروا البيت عقب العشاء أحس كأن وقرأ شيئاً انزعاج عن

كتبه وراح يقول لنفسه .

- ممكنة هذه الفتاة إنها لم تعيش طويلاً ومن المقصود أن

أدعها تموت معدية ولكن كيف أخادعها فأزعم لها أنني أحبها

على حين لبي أحب سواها؟

أما ماري فالتفتت إلى أبيها عقب نصراول لوسيان وقالت بمروءة

وبأس

- أبت لو كنت قد لم يحبي بعد

- وكيف يا ابنتي؟ ألم يلمس بأن يشاوب العشاء هنا كل ليلة؟

- ولكنه قبل الدهور مكرهاً

ثم هضت يأس شديد :

- أبت لقد طال انتظارني . وحال عديدي . ولا بد أن أجد

وسيلة أنقطع بها الشك باليقين . نعم يجب أن أفعل شيئاً

ومرتاح جاك لما كان يبدو عليها من أعمال شديد وهي تنطق بهذه

الكلمات وقال

- ابنتي تونني . . إن لوسيان سيتزوجك حتماً . . وثقي بي أقول

ولكنها هضت فعلة وغادرت الغرفة ولادت بمخدعها

غير أن النوم لم يطرق جميعها لحظة واحداً

وكذلك بات جاك أرقاً لا ينام لقد خطر له أن ابنته تفكر في

الانحلال ولو هذا ما كانت تعيه حين قالت إنه ينبغي أن يفعل

شيئاً ما .

في صباح اليوم التالي دعا جاك جاورود مدير مصنع لوسيان لايرو

إلى مكتبه وقال له

- يسعي أن أقدم إليك الشكر على تعلقك مع ماري بالأس
ولكن خبرني ما عليك في صحتها؟

فقال لوسيان

- إسي أرى يا سيدي أنها بحاجة إلى عناية مطبوعة
فهر الأب المسكين وأمه يملس وقال

- إذا فقد صدق الأطباء إن ابنتي في خطر يا لوسيان إنها
مقضي عليها بالموت وبأسها من خرامك بضاعت عنتها ولا
سبيل إلى إنقاذها من الموت إلا بالزواج منك !
فقال لوسيان بدويك :

- بالزواج عني !

- نعم ، إن حياتها رهينة بكلمة تخرج من بين شفيعك
أهيك لوروني كلها لكي تنقذ حياة ابنتي !
فقال لوسيان بهجة التوجع .

- سيدي إلي ألتزم مرفعت الأليم ولكني أرجوك أن تدرك
أنني أتعذب منذ عرفت أن الأتمة ماري تحبي ! ولكن كيف يسمى
أن أتغلب على حبي بدموعي ؟ لو أنك في موقعي هذا يا سيدي
أكتب ترصني أن تحت بههد ؟

فقال جاك بمرارة

- لا شكلي رأيي يا لوسيان إنه ليس إلا رأي رجل يرى قشة
على شعاع الموت فلا يبالى بما يقول أو يفعل في سبيل إنقاذها من
الموت ! إسي أرفها كل يوم تبدل أسام عبيتي كالزهرة المسكية ولا
أستطيع أن أمد يداي لإنقاذها ولو كان في يدي حباتي أو دماي ما
يجتهد ليبلنها في غير تردد إني أحذرك يا لوسيان بلهفة الرجل

الذي يعلم أن موت ابنته إنما هو بمثابة موته هو نفسه

وليث لوسيان صلتاً لا يجيب فقال جاك

- فأتت مصر على الزواج بلوسي إذا ؟

- ولا يسعي أن أراجع يا سيدي

فقال جاك بهرامة

- إذا دعني أكشفك بأسر أعلم أنه سيال منك وكنك أنت
الذي دفعتني إلى هذا الموقف ! راجد من سوسي خديق أن يلوث
شرفك ويجعل اسمك مضخة في الأفواه
فقط لوسيان جيه وقال -

- ماذا تعني يا سيدي ؟ يُعين إلي أنك تهين الفتاة التي أحبها !

- بل هي التي تهينك حين تتقدم إليك بحبها !

- سيدي !

- أعلم من هي تلك الفتاة التي ترى أن تسبح صاحبها اسمك
أظهار الشرف ؟

- إنها فتاة طاهرة شريفة

- أخطأت يا لوسيان !

فاتبعث لفتني واقفاً وقد احمر وجهه غضباً وصاح

- سيدي ! أرجوك أن لا تهين زوجتي أكثر من ذلك

- إنها لفظة ريت في الملاهي لا تعرف لها أباً أو أم

- هذا الخبر ليس جديداً علي يا سيدي ومع ذلك فأعذر إلي

بمحق أوبه !

- هذا قول لا يأخذ به إلا الشمره وأصحاب الخيال . ومع ذلك

فهل علمت ابنه من هذه الفتاة ؟

- ابنة من؟

فقال جاك جارود بهتوه .

- ابنة المرأة التي قتلت أبائك . انه جاك مورييه ؟

حسبك لوسيان في جاك جارود كذلك هول . وإدعى مصرى
كدماته انطلقت من فمه صرخة يأس ثلوية . ثم هوى على الأرض
مغمياً عليه .

بيست كان هذا الحديث يدور بين مول هرمان ولوسيان لايرو
كانت ماري هرمان في دار لوسي لتحدث إليها .

فالت

- ألك ديس غير ما يأتيك من خطابة الثياب؟

كلا .

- هل تريدان أن أودع إليكِ بئرة كبيرة تعبك من العمل؟

فالت لوسي في ذهني

- ماذا تعين يا سيدتي؟

- أتحبين أن ألتحدث إليك بصراحة؟

- بلا زهبا .

- سأعطيك ربع مليون مرمت . بل أكثر من ذلك إذا شئت؟

فاشتد استعجاب لوسي وقالت في نفسها

- ماذا دعها ! أترها حب؟

ثم رفعت صوتها وقالت

- ولكن لم هذا المعطاء السخيف يا سيدتي؟

- لكي تفرحي فرسا فوراً على أن لا تعرجي إليها !

- عجباً ! إنني لا أترك ما تعين !

وساد الصمت برهة ثم قالت ماري :

- إنني أحب لوسيان لايرو . ولريد أن أتزوجها . فارحني من
هذه البلاد وخذي من المال ما شئت ! لقد سلبني الهدوء . ويكاد
المرض يقتلني ! أما إن تزوجت لوسيان فقد أصبح أسعد النساء !

جبت لوسي واقفة وقالت

- إذا فهذا سبب غضبك عليّ . وقد كنت أسألك بمسي من سره
فلا أثبتة ! سيدتي . المحبين التي خليفة أن أرضى بهذه المساومة ؟

- ولم لا ترصين ؟ أتريدان أن أهاضف المبلغ ؟ إنني على استعداد .

فالت لوسي بأناة وكبرياء

- إنني أرضى يا سيدتي حتى ولو منحني الملايين التي لا
تحمي . أتعرفين السبب ؟ إذا فاعلمي إنني أحب لوسيان . وأن
الحب ليس سلعة تقدر بالمال ! إنني أحبه وهو يحبني . فلندع له إذا
حق الاختيار ! وبعد . فافهم أن الحديث قد انتهى وأن في وسعت
أن نصرمي

ولكن ماري لم تنصرف ؟

تلك الفتاة المتكبرة المتصرفة سبت في هذه اللحظة كبرياءها
وهجرتها

جثت على ركبتيها أمام لوسي . وسطت بها ذراعيها وقالت
بصوت محقق وهزتها تحري على وجبتها :

- لوسي . ألا تريد أني أتعذب ؟! ألا تريد أني أدوي وأمرت ؟!
إن يأس الحب هو الذي يقتلني . تدعسي أضرع إليك جائية والتمس
منك أن تهيب الحياة . إنك إن رفضت فقد قضيت عليّ بالموت !

وأحدثت لوسي بعد الغتاء وفد أفرقتها الشحنة عليها وقالت

سدي انهضي إني علي يعطع حمرات لأجلك ولكن
لا يسعي أن أعمل شيئاً إن القلوب ليس سلعة يباع وتترى أ
فانقبت حين ماري عطياً وصاحت

- إذا فانت ترفضين؟

- أرفض وأنا حرة متوجة لأجلك أ

فصاحت ماري بوحشية

- إذا سألتكم ! سألتكم أ

وحدثت العرفة على عجل أ

لم تكذ ماري همران تنصرف حتى أقبلت جنان فورنييه تزور
لوسي .

راعها ما رائه في عيها من أسرار المرد فالت لها

- ع باللك يا ابنتي؟

وكان لهذه الكلمة العظيمة حرة حقيقة هي نفس لوسي فما إن
سمعتها حتى ترامت بين ذراعي جان وراحت بيكي كما تبكي
طفلة صغيرة محرومة تشمر بلفه صدر الأم الحنون

وحين سكر روعها قالت

- إني أتعذب أ

وزوت لها ما دلر بينها وبين ماري همران

- ١٠ -

أفاق نوميان لأبر من إغمائه والعت إلى جاك جبرود وقال

- سيدي أ إنها تهمة خطيرة تلك التي ألصقتها بلوسي جهل

لميك اليرحان؟

- بلا ريب

ردع إليه ورقة السجل المروعة التي تب أن لوسي هي ابنة جان
فورنييه

اطلع لوسيان على السجل ثم قال :

- صدقت . . انها ابنة جان فورنييه أ

- أي بنت المرأة التي قتلت أبك أ

- ولكني مقتع بيراتها أ

- وهل بعبك اقتناعك من حكم القضاء وحكم الناس؟

وما يقول حك الناس إذا عرفوا أنك تزوجت ابنة المرأة التي
قتلت أبك؟

صمت لوسيان بلهجة يئسة .

- أصبت . . إن زواجي بها بات مستحيلاً أ

- أرايت يا ابنتي أنني أسديتك النصح أ

وكان المسكين على حال من اليأس لا يمكن وصفها وكان
وجهه شاحباً كمن قضى من بها شهوراً طويلة .

وقال الأب مشربلاً

- لقد أعتقدت يا بني من العار الذي كان خليقاً أن يطلع اسمك

مدى الحياة رفقاء هذا أسألك أن تعد أسني من الموت

- ولكني لا أستطيع أ

إني أعلم أنك رجل بيل وقد أعتقدت فكيف لا أنتقد ابنتي؟

- سيدي . . إن الأمر ليس عياً إلى الدرجة التي تتصورها إن

هذه الصدمة قاتلة ساحقة ولا يد بي من الاعتكاف لياماً إداري

فيها جرح قلبي

- وابني؟! إن هذا الإعراض منك يقتلها!

- أظننها يا سيدي على السب حتى تعلم أن ليس في وسعي أن أتزوج لوسي.

- ولكن متى تتزوج بيتي؟

- أهلهي يا سيدي! أهلهي أيما أتزوج فيها ولتغير الأمر. ألا ترى أنني أتعذب؟

- حسناً.. منصبر إذا!

- أنادئ لي بأن أتعجب عن العمل يومين؟

- لك ما تشاء.

والنصرف لوسيان وهو يقول في نفسه

- نعم. يستحيل أن أتزوج ابنة المراء التي ظننت لي!

مسكينة لوسي! إن هذه الصدمة ستقتلها! ولكن ما حيلتي؟! إنني أتعذب! أتعذب أكثر من عذابها انتظر!

سار لوسيان هائماً على وجهه في طرقات باريس. كان كالمدهون للشدوه لا يدري ما يفعل!

ثم يكن هناك شك في أنه هدد من الزواج من لوسي. ولكن الصدمة - كما قال - سحقته قلبه وردته لكه يالهاين.

ومادته قدمه إلى الخمر الذي تعمل فيه جان فرورتيه. وإذ رآته وهي جالسة في القروعة أسرعت إليه تقول:

- سيد لوسيان! أنت في حاجة إلي؟ ولكن ما هذا الذي يبدو على وجهك من أصوارات الامتعك والاضطراب؟! ماذا؟! أنبكي؟

أخبرني بما جرى! إنك تريد أن تخبرني عن لوسي! ربه! كان علي

عند الصباح يحدثني بأن هناك بكبة توشك أن تحل ب مد رلرب
لأنه هرمك لوسي.

عالم يستعرب

.. فزارت الأئمة ملوي هرمك لوسي اليوم؟

نعم.

وما الب؟

قروك له ما حدث.. فقال في هدوء:

- إني أتمس للأئمة ملوي عذراً عن هرامها!

تنظرت إليه جان بفرنياب وقالت:

- ماذا؟! لما من كلمة مائة عن لوسي؟! ألا تعلم أن هذه المقابلة

كانت عذاباً لها؟

- إنها طبعاً جديرة بالعطف!

- حديرة بالعطف؟! ما هذه الكلمات؟ كأنني بدافتك بحرها قد

فرت؟ ألم تعد تحبها؟

- ربما.

امتدح وجه جان وصاحت بيلس:

- ماذا.. ألم تعد تحب لوسي؟ أنت تهدي؟

- هناك حائل يصدني عنها!

- ولم لم يصدك بالأمس؟

- لأنني لم أعلمه إلا اليوم.

فالت جان بمضيق.

- إني أعرف مصدر هذه الأكاذيب والخفريات. يرى لي أكلوبة

لصقوها بها!

- ليست هناك أكاديب أو معذبات يا سيدتي - وإنما حقائق
حقائق دامية

- ماذا تعني أفصح؟

- يستحيل أن أزوج لوسي!

- ولكن ماذا؟ لماذا؟

- لأنها ابنة المرأة التي قتلت أبي!

فصاحت جان فورتيه يائس وقالت:

- ابنة المرأة التي قتلت أبك! ابنة جان فورتيه!

- نعم!

- لوسي - ابنة جان الهاربة من السجن؟

- تماماً!

وكاد السر ينطلق من بين شفها - كادت تصبح

- إذا لوسي هي ابنتي التي أبحث عنها منذ شهرين! ابنتي إلى

جوازي! وعلى قيد خطوة مني وأنا لا أعلم!

ولكنها لماسكت وتجلدت... وقالت

- هذا با غريب - ولد أدهلي - ولكن أناخذ العتلة بجريه

أيتها؟

- وهل يسمى أن أفعل غير هذا؟ ما يقول الناس هي إذا حرروا

أنبي تزوجت ابنة تلك التي صعدت دماء أبي؟

- ولكنك تعتقد أنها بريئة -

- وهل ينبغي هذا الاعتقاد من اتهامات الناس؟

قبل أن أتزوج لوسي ينبغي أن أفر من من يرادها لها -

- سيدتي - إن لي رجاء عندك ادعني إلى لوسي وكاشعيا

بما عرفت مني! قلبي لها إن يسا حرة حبيبة بسحب احتيازها!

لقد تحطم قلبي لمراقها! ولكن الشرف يحضي عني يذبت!

قالت جان بمرارة

- إنك تعهد إلي يا سيدي بمهمة فوق الطاقه - أريد مني أن

أكتشف لوسي سر مولدها كأنما لا يكتمها بأمر حب حتى أصعب

إليه عار القضيحة؟

كلآ يا سيدي! لا تكل إلي هذه المهمة لرحوك!

ولكنه ظهرها وانصرفت مسرعة واخرن يتبع يباط قلبها

إذا فلوسي ليتها!

لقد حفتها قلبها بهذا - وهذا الحب الذي تحسه العتلة إنما يث

في قلبها نداء الأمومة الخفي -

ولكن ما أدهج النكة! هي لي طرف أليم تحدث إلى ابنتها!

إنها بدلاً من أن تفضنها إلى صدرها وتناقشها ستجد معها مكرهه

على أن تتأهد عنها وتخطي عنها شخصيتها!

بدل أن تقول لها أنا أمك - ستضطر أن تصبح كلآ كلآ

إنني لست أمك

وما له من عذاب محض يوم تنكر الأم أمومتها!

- ١١ -

كان لويد سوليمر في خوف دائم من عشيقته أماندا

عرف أنها ترناب في أسره ونكاد تؤمن بأنه هو المعتدي على

لوسي - ولكنه كان موعناً من أنها لم تهتد بعد إلى عروانه وأنها

تظن أنه يدعى البارون أربولد في روس - ولكنه كان يحشى أن

تتعبه سرّاً فتكشف أمره

وقال في نفسه

.. ينبغي أن أسرع منها سرّاً وأعرف ما بطن .. وإلى أي مدى
بلغت شكوكها بي .. هم لا استعصم إكسبير الحقيقة كما استعصمت
من قبل .. يوم انتزعت من جاك حارود سره

وإذ حرم على ذلك دعاها إلى قضاء أسبوع على ضفاف البحر
بالقرب من فورتيلو

لنت أمدد الدعوة صيفها إلى القرية وحجر لئمه غرفة في فندق
«معدة الصيادين» وسألها أن تلحق به

وبما كان يتراءى في غابة الملك رأى جماعة متلفين على العشب
يتبادلون الحديث

وكأن أحدهم يقول .

.. وشاء الأقدار أن يسافر إلى أميركا على باخرة واحدة في عام
١٨٦١ .. وقد تعرفت إذ ذاك بالختير الشهير بيومي موريمير وابنه
وبيرسي يدهي بول هرمان تزوج الفتاة فيما بعد
فضحك أحد الحاضرين وقال

.. لقد ذكرتني في حديث .. فقد سرق أحد اللصوص مالي ولكن
بول هرمان وأه فاعاد إلي المال المروق .

.. ولكني لم أسمع بهذا الحديث؟

.. هذا لأن بول هرمان رجائي أن أعمر عن لرجل إكراماً لأسرته

وعاد الرجل - وهو طيب - يقول

.. وعنى هذه الباهرة .. وكان اسمها لوردغير فيما أذكر .. نعت
كثيراً حدثني عن دواء معروف باسم «إكسبير الحقيقة» إذا شرب منه

لا تسان تطلق يتحدث بكل ما يظن .

.. وهل جرته؟

.. مرراً ونجحت التجربة

ونظر لويد في ساعته فأنقضى أن موعد القطار قد دنا .. فتصدق
إلى المحطة واستقبل أمسا عند قدومها ومضى بها إلى الفندق

وفي اليوم التالي لزم لويد غرفته بحجة الصداع فخرجت أمسا
وحدها تتراءى

على أنها ما كانت تصدر الصدق حتى ياتر إلى رجاجة الشراب
فسرح بها قدراً من هذا السائل الهندي العجيب المعروف باسم إكسبير
الحقيقة

وبما كانت أمسا راجعة إلى الفندق رأت حشداً من الناس
يرحمون الطريق . فافتريت من القوم فرأت شاباً عذفاً على الأرض
والدماء تتزف منه وقيل لها إن سيلولة صديقه

ما كادت أمسا تأمل وجه المصاب حتى عتب باستعجاب

.. عجباً! فشعل!

فقال أحد الحاضرين بألها

.. أميريه؟

فقلت مستدركة

.. كلاً .. إنه شيء برجل أمره!

وجاء الطبيب مرعاً صحص المصاب وأمر بنقله إلى الفندق

أمر لويد سوليمير أن يرسل بالطعام إلى غرفته في الفندق

وجلس إلى المكتبة ولأمسا قبالة

وراح يقدم إليها الشراب المروج بإكسبير الحقيقة .

وما كان يستمر في جوفها حتى بذلت الأعراس المبهجة مندو
عليها . ظمأ شديد وإعياء ثم ضحكات مرعقة

وما هي إلا لحظات حتى اتلفت لسانها وبدأت تعترف بكل ما
بطر

وعرف أوليد أنها عالة بسره وأنه هو للعندي على لوسي وان
في بينها أن تتعقبه وأن تفصح لسه

وكانت هي تسحدث تتكلم بصوت مرمع حاد التبرات فصاح بها
أوليد

- اصمتي .. تخفي من صوتك !

فصرخت :

- أنت كلاً محال أن اسكت يجب أن يعرف الناس
جميعاً أنك لست قاتل

ثم اشتد بها لاصعد فأصبحت بوية عيفة وأخذت تهذي
ثم فضحك ثم احتق صوبها ولم تعد الكلمات تخرج من
حنقها

وصحاة هوت إلى الأرض خائبة من الصواب

أسرع إليها أوليد فجلس يدها فوجدته بارده مثلج وبصعها ضعيفاً
فأدركه الحول وغشي أن يكون الأكبر قد قتلها

أفرغ في الحوض ما بقي من حاجة الشراب وفتح باب المرفقة
فألقى صاحبة الصدق على قيد خطوات تتحدث إلى رجل كهل
وقال أوليد يسألها .

- أريد طبيباً .. لقد أغصى على صديقتي

فخدم الكهل الذي كان يتحدث إلى صاحبة الصدق وقال

- إني طيب يا سيدي وقد جئت إلى الصدق لأعالج جرحاً
- أرجوك أن تعحصها إناً !

فحص الطيب لهاذلاً وسفاحاً ذرواً أخرجه من حقيته
ثم التفت إلى أوليد وقال :

- لو أنني تأخرت ربع ساعة لماقت هذه المرأة ! ولكن أخبرني
لم سقيتها من (كبير الحفيدة؟

فقال أوليد مرلوفاً

- (كبير الحفيدة؟

- دعك من الإنكار ! لا ريب أنك أردت أن تشرع أسرار هذه
المرأة .. ولكنك تجاوزت للقدلو فكذبت تقصها .

- إني فعلت هذا يا سيدي . لأسباب خطيرة .

- ليس من شأني أن أبحث لأسباب ١٢ بولاي لكن الآن مسوقاً
إلى السجن ! إني لم أبيع الشرطة على شرط أن تعدي بأن لا تعود
إلى هذه القمعة مرة أخرى
- أهدك بذلك يا سيدي .

وانصرف الطيب بعد أن وعد بالعودة مرة أخرى في المساء
أب جان مورتيه أن تكاشف ابتها لوسي بأن لوسيان هجرها

إذ لم يطاوعها فليها على تعظيم فؤاد ابتها

ولكن جاء يوم الأحد ولم يحضر لوسيان إلى رباتها كالمعتاد
فيت الشكوك إلى قلب لوسي وبدأ الحزن يلفظ عليها

وحاولت جان أن تسري عنها .. ولكن الفتاة كانت متوجعة
جعلت تقول

- لا ريب أنهم أغصوه بالمال على هجري مما يذريهم أنهم
عرضوا عليه ربح مليون أو نصف مليون كما عرصوا عني لقاء أن

يحطى صبي؟

وتسمع ساعب السهار وهي في الانتظار تلوه تب إلى النافذة
وتأخذ الطريق بعينها . حذرة ترثي على مراثيها وتسلم نفسها إلى
البكاء

وهبط الليل . . ولم تطلق المسكينة صيراً . قلت

- إني ذائبة إلى ذلوه لأرى ما صر به عني !
ولقيها الباب بقلوبه :

- إن السيد لوسيان لا يرو مسافر منذ يومين

- سافرا ألا تعلم وجهته؟

- كلا .

- ومتى يعود؟

- لا أدري !

عاد لوسي ولد أدهشها هذا السعر العجالي وأثار مخاوفها .

عسى أنه ما إن انتهت خطرات حتى لمت عيها نافذة

لوسيان رأيت الضوء يبحث بها (نه تم يسافر إذا؟

ورجعت إلى الباب غاضبة نكرة

وقال الرجل يدافع عن نفسه :

- إنه هو الذي أمرني بأن أبحث أنه مسافر إذا سألت عنه !

- هو الذي أمرك بذلك؟

- نعم . . وقد وصفت لي . . أليس أنت الأتية لوسي؟

وما كانت لوسي في حاجة إلى الزهد

رجعت إلى غرفتها وهي تكي بكاء مرأ . تراءت على صدر

جان رجعت تقول

- لقد هجرني . لقد تخلى عني !

ودوت لها ما كان من أمرها مع الباب

وهتعت بصوت مضطرب :

- والآن ما قيمة الحياة بعد أن هجرني ؟! إن الموت عندي أعذب

من الحياة

وراحت جلد تسري عنها بكلماتها . . وحناها . . والمسكينة تكي

بكاء مرأ ملحاً . . وصاحت

- لا بد لي من مقابلته . . يعني أن أعلم السر في هجره بي !

- لا داعي لذلك يا ابنتي . إن عنك باخفيقة قد يضاعف من

حذرك

- ما هذا الذي تقولين ؟ أتراك تعرفين شيئاً؟

- كلا يا ابنتي . . إني لا أعرف شيئاً

- ولكن لماذا هجرني ؟ لأني لقيقة ! لأني فقيرة ! ولكنه كان يعرف

ذلك من قبل ؟ لا بد أن أذهب إليه . إني ذائبة إليه دوراً

وسأخبره على أن يكاشفتي بكل شيء !

وحاولت جان أن تني لبتها من الذهاب . . ففادت

- إن لوسيان يحبك . وما حدث . ولكن رجلك مستحيل .

- مستحيل ؟! ولماذا؟ لا ريب أنك تعرفين شيئاً . تكلمي ! أكان

أي لصاً ! لو قتلاً؟

فصاحت جان

- لا غيبى أبلك يا ابني فقد كان من أشرف الرجال !

- أأكون لي إذا هي أصل البلاء؟

ولاذت جان بالصمت . . لم يكن في وسعها أن تقول :

- نعم إن أمك هي سبب اللبلاء وإن كانت يريته شريفة
وأنا هذه الأم التي صحت فؤادك .

- تكلمي ما بالك ساكته ؟ لماذا هجرني لوسيان ؟ إنني أكاد
أجن

وكانت بسببته أشبه بالهائجين

وصاحت

- إذا عرفت السبب هللت عليّ نكتي وانصب لوسيان عدواً

وأمام هذه الإلحاح لم تجد حاد بدا من الكلام قالت

- لوسيان لا يستطيع أن يتزوجك لأن

واستعصى عليها الكلام ولكنها ما لبثت أن قالت بصوت

مخفئ

- لأن أمك هي تلك المرأة المتهمة بقتل أبيه !

فصرخت لوسي صرخة دامية ، وجمدت كالصخرة

وبعد برهة قالت

- إذا فأني هي التي قتلت جول لايرو وأعرف مصيره ؟

- أمك يريته يا ابنتي فلا تدسي إيمانك بها !

- ولكنهم افنوها !

- ظلماً ! أتسيئت أن لوسيان نفسه يعتقد أنها يريته ؟

- ما دام هذا هو اعتقاده فلماذا هجرني ؟

- لأن حكم الناس وحكم القضاء أقوى من انتقاصه !

- أكنت تعرفين أمي يا سبتي ؟

- إنها من أشرف النساء يا ابنتي

- وهل هي يريته ؟

- إنها يريته فلا تلعبها !

- لسبب أنها ! إنني أطلب لها الرحمة ! ولكن كيف يسعي أن

أنسى أنها كانت مصدر عذابي !

وهي يا ابنتي ! ألم تتعذب هي أيضاً ؟ حرمت منك ومن أحبتي !

- أكاد لي أتح يا سبتي ؟

- نعم ولا يدري أحد مصيره الآن وقد هربت أمك من

الجن لا لتحم بالحربة وإنما لتبحث عنك وعنه .

وظلت جاد تتحدث إلى لوسي وتحاول أن تسري عنها حتى

سكن روحها فلاذت بسرورها واستغرقت في النوم

وفي تلك الليلة لم يغمض بلجان عرونيه حين

ظلت طول الليل تبكي وتتعذب كما لم تتعذب أم من قبل !

- ١٢ -

في ذات يوم ذهب المصور إتيون كاستل برور صديقه المهندس

لوسيان لايرو عالماء محبلاً بادي لحزن فقال له

- ما لي لراك يا صديقي حزناً مهماً وقد كان يسعي أن تكون

فرحاً ؟ لقد ولوني ماري هرمان وإنساني أن أباها يسي أن يسمعك

شريكاً

فقال لوسيان بلسي

إنك لم تعلم يا صديقي بالثقة التي حلت بي ولو أنك علمت

بها لما طرحت عليّ هذا السؤال !

- أية مكنة ؟

- لقد نضع ما يبي ويبي لوسي !

- كيف هذا؟ ما السبب؟ كنت أعرف أنك حاتم بها !

فروى له لوسيان نبأ ما عرف من ثها لته غئلة آيه .

فقال المصور إيتين كاستل

- ومن قدم إليك ورقة السجل؟

- السيد بون هرمان

فبدت الدهشة على وجه المصور وقال :

- وكيف أتى بها؟ أعني كيف توقع أن تكون لوسي هي فتة جان

موربيه فبحث عن السجل وأتاك به ٢١ أتره كان بحرف جان في

شبهه فرأى ما بين لوسي وجان من تشابه؟

- لا أدري فابحث في هذا ليس من شائي .

فقال إيتين

- ولكنه من شائي خبري ما هي الآلة التي كان أبوك

مشتغلاً في صنعها قبل أن يقتل؟

- آلة بصقل الأجسام المقمرة غير المستوية ..

- إنها إذا شبيهة بالآلة التي اخترعها بون هرمان وكنت سبأ في

تراثه !

- أظن ذلك !

وحين رجع المصور إلى داره أخرج من خزانته علماً كبيراً فضة

وراح يقرأ ما فيه من مذكرات .

وكانت كلها تدور حول مسألة المصنع المصرى

وإد فرغ من ثلاثها فلك وهو يهر رأسه :

- يحيل إليّ أنني عرفت من هو جاك جنود ولكن لا بد من

الدليل أولاً .. نعم .. لا بد من الدليل !

والآن خطوة إلى الوراء ..

حين أفقت أماندا من إغمائها عجبت لما كانت محسمة من الإعياء

والتراحي وتحوكت إلى البارون لرمولد دي روس (أي لوفيد) سألته عن

الأمر فقال لها -

إنك أصبت عقب المشاء بهيرة تشجيه حادة كادت تقضي

عليك لو لا أن يادرت إلى استدعاء الطبيب .

فالتفت أماندا

- هذا عجيب - ما لا أذكر شيئاً من هذا ولكن كيف أصابتي

هذه الثورة بفتة دون علة

وقبل أن يجيبها عن سؤالها ثرع الباب ودخل الطبيب

أقبل على أماندا بفحصها ثم قال

- إنك الآن أحسن حالاً يا سيدتي وقد زالت بوبه الخطر

- ولكن كيف يمكن أيها الطبيب أن أصاب فجأة بهذه البرية؟

فصكت الطبيب هبة ثم قال :

- سيلي البارون فهو أقدر مني على لإجابة عن هذا السؤال

وحين غلت أماندا إلى نفسها واستمعت كلمات الطبيب قالت

- كانني بهذه الخدمات نظري سراً غامضاً - لا شك أن البارون

دس لي سمّاً في الشراب !

واسرعت إلى رجاجة الشراب لكي تفحصها ولكنها وجدت أنها

طروقة ليست بها فطرة واحدة .. فالتفت في نفسها

- الآن قهحت ! أنا لم أشرّب من هذه الرجاجة إلا كأسين

ولكنه أفرغ ما فيها حتى لا يكشف أمره ! لا شك أنه مرج بها

سماً؟ فقم أراد أن يقتلني؟

في ذلك المساء غادر أوليفيد الفندق وسار على شاطئ النهر
يتردد على حين برمت أماندا غرفتها إذ كانت لم تتردد ثيابها بعد
وكان الهواء شديداً فأطارت قبعة عجوز من المتترهين فأسرع أوليفيد
في أثر القبعة وحملها إلى صاحبها .

ولما لال الشيخ العجوز يشكره :

- أشكرك كثيراً يا سيدي؟ إني

ولكنه أسلك بخته من الكلام . . .

حملك في وجه أوليفيد وصاح :

- أنت هنا؟ . . إني أعرفك

فقال أوليفيد باستغراب :

- يؤسفني يا سيدي أنني لا أذكر من أمر تعلمنا شيئاً!

- كيف هذا؟ أنسيت ربيبة بوسك الذي سرقت أسواله على مرمى

الباحرة لورد مير؟

فرح أوليفيد إذ سمع هذه الكلمات ولم يتظر لحظة واحدة وإنما
انطلق راجعاً إلى الفندق وقد أعده الخوف .

لزم أوليفيد غرفته في ذلك المساء وأخذ يسلي بقراءة الصحف إذ
كانت أماندا قد هبطت إلى الحديقة تشرب.

وفيما هي جالسة انتهت إلى أذنها أصوات قريبة

سمعت رجلاً يقول : «والله قد فرحت قبحتي وفدتها إلي» قلنا

فنبئت وجهه عرف أنه من أكبر المجرمين.

فقال صوت آخر تبئت فيه أماندا صوم الطبيب الذي بولي

علاجها

- إنه مقيم في فندق «محللة الصيادين» وهو يدعى البارون أرموند

دي ريس

- البارون أرموند دي ريس؟ هذا اسم متحلل! إنه مجرم يدعى

أوليفيد سوليفير وهو الذي ذكرت لكم بالأمس أنه سرق مالي وتولا

شعاعة بول هرمان فيه لكأن الآن في السجن

فقال الطبيب

- فقد كاد يصبح بالأمس قاتلاً فقد مرح بشراب صديقته فدرأ

من ذلك القاتل الهندي العجيب الذي يرغم المرء على لإباحة

بأسراره . ولكن القدر كان أكثر من يسمي فكاد يقضيها!

وعجبا كان هذا الحديث يدور بين الصديقين كان أماندا جالسة

على كتب وقد حجبتهما الأشجار تنصت إلى كل كلمة يأنها

وقالت لصحبا :

- الآن عرفت السر! إنه يدعى أوليفيد سوليفير وسيد بول

هرمان يرعاه ويوسط عليه حمايته؟

وقد حاول أن يقتل لوسي التي تحب ثياب ابنة بول هرمان

لا ريب إذاً أن هناك علاقة حميمة بين هذا القاتل وبين هرمان

فما هي هذه العلاقة؟

ذلك ما سوف أعتدي إليه قريباً!

حين رجعت أماندا إلى غرفتها في الفندق وجدت أوليفيد في

انتظارها . . فقال لها

- إني مسافر إلى باريس لأمر حطير وسأعود بعد يومين

- ومتى تسافر؟

- الآن قرراً .

ثم قبلها وقادر الغرفة بعد أن حمل معه حقيته

دقت أماندا الجرس وقالت للخادمة التي لبّت النداء :

- أحب أن أقابل المصاحب الذي صنعت له السيارة على أن تكون هذه
المناسبة سرّاً لا يعلم بها أحد .

ونصحتها بمبلغ من المال فقالت الخادمة

- سألتجبر الأمر فأطمئني .

لم يكن ذلك المصاحب الذي صنعت له السيارة إلا راولول دشمان
الموظف في دار العمدة في بلدة جواني . والذي برع في السجلات
الورقة الخاصة بابنه جان بورتيه وبهاها إلى أوليفر سوليير لقاء وفاء
ديونه

وقد برت الخادمة بوعدها فديرت أمر الفداء السري بين أماندا
ودشمان

وحين دخلت عليه أماندا تولاه الدعول وحظ :

- أماندا ! أنت هنا ؟

فأعادت بيده وراحت تتحدث إليه برسم وهو طرح الفراش لا
يقوى على الحركة . ثم قالت

- لقد جئت لأبحثك في أمر خطير يا راولول .

- أي أمر يا ترى ؟

- أعترف البارون أرموند دي ريس . أعني ذلك الرجل الذي كان
في جواني منذ شهر وأخذ من ياتمه الثياب الإقرار الذي أصدرت فيه
بمعلتي ؟

فقال راولول

- نيتاً له . أعمل هذا ؟ إنه أخذ أيضاً من تاجر الخمر السدين

اللذين زورتهما .

- إنه عدو لنا يا راولول وفي بيته أن يوقع بنا .

وراحت تروي له ما عرفته من أمر أوليفر وجرائمه واسمه
الحقيقي

وقالت .

- والآن يجب أن نكتف يا راولول بعمل على الانتقام منه

فهل تشاطري هذه الرغبة ؟

- من كل قلبي !

- إذا لا بد أن نتصبر . . ومتى شعيت من جرحك شرحتا في
مناضك . . إنه عدو رهيب ولكننا سننتصر

- ١٤ -

في ذات يوم وصلت إلى لوسيان لايرو رسالة من المصور إتيان
يدعوه فيها إلى تناول الشاي معه . فتمّما حفر جلس يتحدث إليه
ويخول :

- قلت لي مرة إن السيد بول هرميان هو الذي أعطاك ورقة
السجل الفزوعة الخاصة بملوسي ابنة جان بورتيه .

- هو ذلك

- ألا رالب لديك ؟

معم

- إذا أرجوك أن تأتي بيها عدداً فإني بحاجة إليها

- إنني لأراك شديد الاهتمام بهذه المسألة !

- هذا لأنني ظننت أعتقد أنني عرفت قاتل أبيك

وصاح لوسيان في دهش :

- حقاً ! لو أنك فعلت لكنت حلياً لك مدى الحياة !

- اصبر حتى يتحقق الأمر . وبهذه المناسبة سأفد أبنيتك بقلبي

دعوت بون هرمان وبعته إلى تناول الشاي معنا الآن أيضاً

فأجعل لوسيان وقال

- ولم جمعتم بيننا وأن الخدش لظاهما ؟

- إن لي غاية من ذلك .

ورفع الباب إذ ذاك ودخل بون هرمان وابنته ماري

وما إن رأيت ماري لوسيان حتى مضجعت ورجتها احمرلاً على

رغم العنة التي تنحدر في صدرها . ولما عليها أنها أبعد الساء

بعد أن فرغ القوم من تناول الشاي قال للصورة بتر .

- والآن تعالوا لفرجكم على لوحاتي الأخيرة .

وانتهى بهم المصاف إلى لوحة كبيرة تشغل من المرفة جداراً

كاملأ . ولأرجح المصور السندر عن اللوحة وهو يقول

- هذه اللوحة تمثل حادثة محرقة قديمة وقعت عقب مصرع أليك

يا لوسيان . ومن أشخاص هذه الصورة المرأة التي تهتمت بقتل

أليك

كان المصور يلقى هذه الكلمات وهو ينظر إلى بون هرمان بانتباه

شديد

واضطرب جاك اضطراباً ظاهراً . ولكنه ما لبث أن سيطر على

أعضابه ببراعة

وقال المصور مستطفاً

- أت هذا الطفل الصغير فهو ابن السيدة دلريه أخت كاهن

البلدة . وقد أصبح الآن من مشاهير المحامين وأعني به جورج

دلريه .

وقال لوسيان .

- عجباً . إن هذه التهمة بقتل أبي شبه امرأة أعرفها شهباً

غريباً

فقال المصور :

- أتعني الخياطة لوسي ؟

- كلا . بل أمي امرأة في الخمسين من العمر هي السيدة بيرا

بيرس بائعة الخبز . وهي من أهالي الموريليل وأنبأتني أنها كانت

تعرف أمي .

- ولبن تقيم هذه المرأة ؟

- هي البرل بعسة الذي تقيم فيه لوسي . أمي رقم ٩ شارع

بوربون .

وحين خلا للصورة إيتين كاستل بنفسه قال :

- لقد تشننت روحي بهذا الرجل ! حين ولعت عيناه على اللوحة

اضطرب اضطراباً عجباً . وكانت نظراته سبيء بحوله . . فهل يكون

هو جاك جارود ؟ لقد تولد الشك لي نفسي مذ عرفت أنه اخترع آلة

صقل . إذ كانت الرسوم التي سرق من لايرر خاصة بآلة صقل !

وقد أظهر هذه الآلة في أميركا وعقب مصرع لايرر بشهر واحد ! إنه

كأن يعرف أن لوسي هي ابنة جاك . . فكيف عرف هذا ؟

نعم . . يطلب على ظني أنه هو جاك جارود !

ولكن ليس للدليل ! هذا هو الشيء الذي ينقصني !

يسمى كانت هذه الحوادث تلاعن كات لوسي فورتييه طريفة

المرأى تعاني حمى شديده مرت بها إثر هذه النكبات التي دعت
صحتها

ومد برمت جان فورتييه لبيتها وسهرت على غريبتها حتى رآه
عنها الخطر واطمأنت عليها فقالت في نفسها :
.. والأآن ينبغي أن أعيد هذه الأوراق إلى صاحبها .

أما هذه الأوراق فحملت قضية خاص بالهامي جورج داريه عثرت
عليه ملقى على قارعة الطريق منذ أيام . ولكنها لم تستطع أن
تفسي به إلى صاحبه إذ اضطرت إلى ملازمة لبيتها
حملت جان الملف إلى بيت الهامي وقدمت إليه مهم بأن يمنحها
عنده ولكنها أبت .

وبدا التردد على وجهها ثم قالت :

- سيدي .. أريد أن تسدي إليّ خدمة لا نسي ؟

- إني رهن إشارت يا سيدي .

- إن لي صديقة مسكينة اضطهدت وطردت دون أن لمحي
ذنباً . كل جريرتها أنها ابنة امرأة حكّم عليها بالسجن !
.. وكيف اضطهدت ؟

- رشى بها أعددتها إلى صاحبة مشغل الخياطة الذي نعمل فيه
ودكروا لها أن أمها مجرمة . مما كان سها إلا أن طردتها من
المشغل .. أليس في القانون عقاب على هذا ؟
فقال جورج داريه :

- لا أنكر يا سيدي أن هذا الاضطهاد جريمة شائنة ولكن مما
يؤسف له أن القسود لا يرى أنها من الجرائم التي تستحق عقاباً .
.. إنه قانون أبر قاسد .

- هو فاك يا سيدي !

وأحسن جورج داريه بالمعطف على هذه المرأة الكريمة المزدانة التي
تنصر بحرارة لثأر نعرها . وبذلك جان ميه دون أن يحظر لها أنه
ليها .. ودون أن يخطر له أنها أمه !

وفيما هما في هذا الحديث دخل الخادم يقول :

- السيد بول هرمان يا سيدي .

ما إن سمعت جان فورتييه هذا الاسم حتى عثت .

- بول هرمان ! إنه يا سيدي سبب هذه النكبة التي حدثت عنها !
فقال جورج داريه :

- لعلك كنت تتحدثين عن لوسي خطيبة بوسيان لاير ؟

- نعم يا سيدي !

- إذا تعالي متحدث إلى السيد هرمان في الأمر ونزجوه إلى متوسط
لدى السيدة أوكستين لكي تبيحها إلى عملها
وأعط يدنها ودخل على بول هرمان وهو يقول

- إن هذه السيدة الطيبة القلب قد جاءتك تتحدث إليك في شأن
هنا مسكينة هي لوسي فورتييه إنها تدهى مدام ليرا بيرين وقد
هرغت لوسي لأنها تبيعها الخبز

كان جاك جارود قد سمع بأمر هذه المرأة وهو يشاور الشاي عند
النصير إتيي . وقيل له إنها شديدة الشبه بصورة جان فورتييه

أرسل إليها بصره فعرها على الفور . وحين سمع صوتها لم
يبد بخالجه في أنها جان فورتييه

لمضغ وجهه ولكنه تمالك أعصابه وقال :

- وماذا تريد مني يا سيدي ؟

- أنوسل إليك أن تغد لوسي إنها مشغوت جوعاً ! فكلما
بحث عن محل أنصر أصحابه باليد أو عتير للاطلاع عنها
فتقول لهم إن أمها محكوم عليها بالسجن فيوصلون اليها في
وجهها

فقال جاك جارود :

- وما شأني أنا إن كانت أمها فتاة سفاكة للدماء ؟!

فصاحت جان فورتيه

- أليس لديك ما تقوله يا سيدي عبر هذا ؟ أسألك القوم فلا أجد
منك غير مخبرج هذه المرأة لمسية التي حكم عليها ظمناً
وحالت بدم جاك جارود فكرة طارئة . قال في نفسه
- إنها لم تصرني ولكني قد عرفتها . . علم لا أعظم هذه
الفرصة لكي ألتصص منها إلى الأبد
صاح بها :

- إنك تتحدثين يا سيدي بلهجة فيها من الاتعالي والهياج ما يثير
الشبهات حتى لكأنك لست صديقة لها ! وبالأمس رأيت عند
صديق لي من المصورين صورة بهذه المجرمة جان فورتيه . وعكسي
أد أقول إن الشبه بينكما شديد !

اضطربت جان عندما سمعت هذه الكلمات فصاح جاك جارود

- إنك إذا لست ليرا يبرير ! أنت جان فورتيه الهاربة من
السجن . لا بد من القبض عليك يا سيدي . وسأناذي رجال
الشرطة بنفسي

ونكن جورج داريه اعترضه بقوله :

- لا يمكن أن أسمح بهذا يا سيدي !

ثم تحول إلى جان فورتيه وقال :

- سيدي . يمكنك أن تصرني بسلام أن يجرق أحد علي أن
يمك بسوء ما صحت تحت سقف بيتي

انطلق جان فوري وهي تكاد تفقد الوعي . وحاول بول هرمان
أن يلحق بها ولكن جورج داريه حال دون خروجه وهو يقول

- إن اهتمامك بالقبض عليها يا سيدي قد يثير ريتي فيك كما
أثار ريتك فيها اهتمامها بالدخاع من لوسي فورتيه !

ولما هذه الكلمات رأى بول هرمان من الحكمة أن يكظم هجاءه
وأن يرجع عن اللحاق بجان فورتيه .

حين رجع بول هرمان إلى داره دعا إليه أوليفر سوليمر وروى له
التطورات الأخيرة التي لم يكن يعلم بها حتى انتهى إلى حديث
مقابلته لجان فورتيه . وكيف حاول أن يقبض عليها لولا أن صده
عنها جورج داريه .

وقال بول هرمان

- ولقد خطر لي أن أبلغ الشرطة عنها وبكي أخشى أن يتشعب
التحقيق فيكتشف أمري إذ لا بد أن جورج داريه سيذكر أنني أن
الذي وثقت بها

- ومن شير إذا ؟

- قتلها . هذا هو سبيل الخلاص

فقال أوليفر

- إني أرى القتل حديراً بأن يثير شبهات أشد وأثوى . إذ ستجد
الشرطة صلة وثيقة بين قتلها ومحاولة اغتيال لوسي ! راد أنكشفت
هذه الصلة كذا من الهالكين

- إذن ما الذي ترى؟

- سأقنعها ولكن بمسيلة أخرى - سأدير الأمر بحيث يبدو موتها كأنه حادث وقع قصته وقدرها - أصبحت ! هذا هو عين الحكمة .
وأبناء يعونتها ووصفها له

وبعد نصف ساعة حادر أوليف البيت وقد تعتق دعه عن خطة محكمة للفضاء على جان فورتيه .

في تلك الليلة معها . وقبل الفجر بساعة حادر أوليف داره وتصد إلى شارع برزبون وشروى في ركن قريب من دار جان فورتيه

وفي نحو الساعة الخامسة صباحاً رأى امرأة تمر به من الدار تطبق عليها لأوصاف التي ذكرها جاك جارد - فانهلق في أثرها حتى إذا بلغت المصبر وأخذت رصلاتها بنادبها باسم ليرا أدرك أنها هي جان فورتيه التي يعذبها .

وقد ظل طيلة النهار يتحقب خطواتها من بيت إلى بيت ومن شارع إلى شارع حتى عرف الطرقات التي تسلكها وفي المساء رجع إلى دلو وهو يقول في نفسه :

- لا ريب أن موتها أصبح محققاً ! فإذا ما قتلتها لم يعد هناك خطر يهددنا

- ١٤ -

كان المصور إتيين كاستل مجتهداً في البحث عن قاتل جول لابر - فكان كلما وقع على أثر سمعه حتى يبط للثام عنه

وقد أخذ من لوسيان الورقة المزروعة من السجل وسافر إلى جواني وعرضها على العمدة فقال له هذا - هذه سرقة - فمن الذي ارتكبها يا ترى؟ لا ريب أنه رازون دشمان فقد ظهرت عليه يفتة مظهر الثراء بعد أن شوهه برفقة رجل غريب عن البلدة هبطها قادماً من باريس !
- ولين دشمان هذا؟

- لقد فصل من عمله وسافر إلى باريس - وعلمت أنه أصيب في حادث تصادم فتل إلى فندق عملة الميادين في مونبلر ولم يتردد إتيين في السفر إلى هذه البلدة .
فالت له صاحبة الفندق

- هذا صحيح يا سيدي - لقد نقل إلى هذا الفندق عقب إصابته - ولكنه سافر اليوم إلى باريس هرباً لأنه ذكر لنا أنه سيحضر يوم الأحد مع الأكنة أماندا - ومن هي هذه الأكنة؟

- إنها صديقة كهل يدعى البارون أرنولد دي روس - وكان المصور قد عرف من تحقيقاته في جواني أن البارون هذا هو الذي أغرق دشمان بسرقة السجل فقال :
- (إذاً البارون صديق دشمان !)
- كلا - فإن الأكنة أماندا لم تتقابل دشمان إلا بعد رحيل البارون

- أتعرفين عنوان هذا البارون؟

- نعم . - إنه مدون معنا في السجل - ولكن حين سافر إلى باريس وبحث عن هذا البارون في العنوان

الذي ذكر له لم يجد أحداً بهذا الاسم - فعرف أنه عوان كاذب
دونه البارون في سجل الفتق تعمية وتضليلًا .

وقال المصور لي نفسه .

- لا سبيل إلى جلاء هذا السر العاطس إلا إذا اجتمعت بدشمان
وأماند، والبارون دي ريس - وقد يلزم له أنني لا أعرف عوان
أحد منهم .

ومضى إلى دثره وقد اشتد به اليأس

في اليوم التالي مضى المصور إلى زيارة ريسه المحامي - فقص
عليه ما كان من لقاء جان فورتييه باليد بول هرمان في مكتبه
وكيف حاول أن يقنع عينا لولا أن تصدى له جورج
وقال المصور .

- هذا عجيب - لا تعرض مسألة تتعلق بجان فورتييه إلا وجدنا
ليون هرمان أصعباً فيها ! فما شأنه؟ وما الذي يهيج فيه هذا الاهتمام
الشاذ؟

- أثرتاب فيه؟

- نعم - لقد يت اعتقد أنه هو جاك جفورد كما أتيناك . ولا
ينقصي إلا الدليل الدامع - ولكني مؤمن من أن انتظاري لن يطول
أما أوليد فكان في خلال ذلك منهكاً في تدبير مكيدته ثلغها
على جان فورتييه .

وفد تعفها كما ذكرنا وعرف الطرقات التي اعتادت أن تسلكها
وفي السوم البالي كوت فوق سور أحد المنازل الخالية كومة كبيرة
من الحجارة ووقت يتظر مرور جان .
ورآها مقبلة على البعد فتها للمحل .

حين صاروب تحب السب دفع كومة الأحجار فانهارت وسقطت
قوتها وفوق غلام كاذ يسير أمامها

وسقطت جان والعلام على الأرض وقد انبعثت الدماء من
جراحهما .

لما اللام صارت لساعة - وأما جان فأصبحت بوضوح وجرح
خفيف

ولكن لوفايد حين رآها حريجه على الأرض أهنس أنها ماتت وطار
إلى صاحبه جاك يرف إليه البشري

في صباح يوم الأحد سافر المصور إثنين إلى فندق «محلة
الصيد» ولبث في انتظار قدوم دشمان وأماند، إذ كانت صاحبة
الفندق قد أنبأته أنهما سيحضران في ذلك اليوم

ولم يطل انتظاره إذ ما لبث الخادم أن جاءه بحطره بقدميهما
وقدم إليهما للمصور نفسه وقال :

- لقد جئت لبحثكما في شأن بول هرمان - ألسنت أنت يا سيد
دشمان الذي سرقت ورقة السجل وأعطيتها لبارون دي ريس؟
حاول دشمان أن يكر في أول الأمر ولكن أماند، قالت له
- وما الذي يدعوك إلى الإنكار؟ نعم - هو الذي فعل ذلك .
لقد أخراه هذا الرجل بالمال . . ولكننا سننتقم .

وروت له أماند قصة الأوراق «فروود» وكيف أن البارون يحفظ
بها ليتحدا سلاحاً قديماً - وأنهما يسعيان الآن إلى استردادها
وعالت مسترمله

- ومع ذلك فهو يتحل لقب البارونية !

وروت له ما علمت من جرائمه وأنه يدهي أوليد سويسر - وأنه

يعمل لحسابه بول هرمان

فقال للصورة

- هذا كله يزيد شكوكي - إنني أعتقد أن بول هرمان يتحلل هذا الاسم وأنه يدعى جاك جانودا وما دعتك تسيان إلى الانتقام من أوليفيد سم لا تتكاتف جميعاً على الانتقام وإظهار الحقيقة وبررة تلك المسكينة جان فورتية؟

ونم لاتصاف بين الثلاثة وراحوا يتدبرون الحطة المحكمة التي تتجح

وقال للصورة :

- الرأي عندي أن نبحث بريقة إلى بول هرمان مدبرة بتوقيع أوليفيد سوليفر نقول فيها

أقايبي هذا المساء في منزلي

وهي خلال ذلك يكون دشمان كاملاً بالقرب من منزل هرمان وقد رآه خارجاً نمتبه وبهذه الطريقة يسهل علينا أن نكتشف محبا أوليفيد ما دشنا قد يحصنا عنه طرلاً بلا جدوى .

- ١٦ -

حين عرف أوليفيد سوليفر أن جان فورتية لم تحت . وأن الحجارة التي سقطت فوقها أصابتها بجراح خطيرة ما لبثت أن شغبت معها بعد أيام قليلة بعث برسالة إلى إدارة الشرطة يقول فيها إن باثمة الخبير لير بيرين ما هي إلا جان فورتية

وحين كتب أوليفيد الرسالة إلى رئيس الشرطة دخل إلى حاته وكتبها فيها ، وكانت تلك الحانة هي الحانة نفسها التي يجتمع فيها

الخبازون عادة وجان منهم وكان جميع أولئك الخبازين يحبون جان ويحترمونها ، فلما علموا أنها سمت من الخطر وشغبت من الجرح الذي أصابها أرادوا أن يجمعوا بهذا الشغل ويلابرو عادة فرروا أن يجمعوا معانها منهم إكراماً لها .

وقد علم أوليفيد ، وهو حائس بينهم يسمع حديثهم ، مقصدهم ، فاشترك معهم في إعداد هذه المأدبة ودفع خمسة مراكات وهي القيمة المبرومة ، لأنه خطر له خاطر هائل يولد خطئه الشائنة

ذلك أنه خطر له أن يسقي جان من إكتسير الحقيقة الذي كان عنده ، حتى إذا حاجتها الشرطة ساعة الوثمة كان الشراب قد بلغ منها فاعترفت بحقيقة اسمها ولا يبقى سبيل لدفاع الخبازين عنها

وكان موعد الوليمة في اليوم التالي ، فجد أوليفيد إلى تلك الحانة قبل الموعد بساعة ، وقد أحضر معه زجاجة الشراب ، وجلس في القاعة العمومية المشرقة على الشارع ولها باب من رجاج يرى منه للار في الشارع جميع الجالسين في تلك الحانة .

وقد اتفق في تلك الساعة أن البسطة أرغسين أرسلت أماندا بمهمة إلى إحدى رباتها ، وقد مرّت بذلك الشارع فرأت من خلال الزجاج وجه أوليفيد ، فدخلت إلى تلك الحانة من باب هير باب القاعة العمومية ، وجلست في حرفة محاذية للمكان الذي كان فيه دواب أن يرادها ، على رجاء أن تقو أثره حين خروجه

وبما هو جالس جاعته خادمة الحانة تسأله عما يشرب ، فنهش إليها ولاحقها وأطلب في مديح لير بيرين التي سيحتدون بشعائنها فسرّت الخادمة بهذا المديح ووثقت من أن هذا الرجل يحترم باثمة

الخبر كما كان يحترمه الجميع .

وعند ذلك أخرج أوفيد من جيبه علبة تحتوي على قرطبي من الفيريز وقال للخدمة

- إني أعددت هذين القرطبين هبة دبيراً بيريز ، وسأقدمهما لها ساعة لاحتمال .

ثم أخرج علبة أخرى تحتوي على قرطبين مماثلين أيضاً وقال

- إن هذين القرطبين لك إذا صادقتني فيما أريد .

فدهشت الخادمة لقوته وقالت له

- ومذا تريد مني؟

- إني أهدم من ليبراً ما لا تعلمون ، فإن لها صوتاً يفتن الجبناء ،

ونكتها صنعت من العناء مد عهد بعد لكية أصابتها من نخب

ولمّا كانت هذه الزبينة معدة لها وكان صوتها على ما وصفت لك فقد أدركت أن أسنابل على سماع صوتها الرخيم .

فذهلت الخادمة وقالت

- كيف تكون هذه الخيلة؟

- إنّ لديّ شرباً حدياً إذا شرب المرء منه يضع نطق سي همومه

واسمع في العناء ، فإد ، واضعفي حتى أن أسقيها جرعة من هذا الشراب يوضع بلفظ منه في كأسه أعميتك هذين القرطبين ، فإنّ شوقي إلى صوتها شديد .

بأجابه قائلة

ذلك سهل ميسور ، ولكنني أخاف أن يؤديها ذلك الشراب

- كيف يؤديها وأنا أريد أن أسقيها إياه؟ وأي مارب لي في إيقاع

هذه المسكينة؟ كل ما في الأمر أنني أريد البسطة والخيلة على سماع صوتها

- ولكن كيف أسقيها هذا الشراب دون الحاصرين؟

- أعطيك رجاجة صغيرة فيها سائل تصعب من ثلاث نقط في

كلها وهذا كل ما أطلبه إليك مقابل هذين القرطبين

فوافقت الخادمة على ذلك ، وأعدت من القرطبين والرجاجة ، ودخلت إلى العروة التي كانت فيها أمائد ، وأخذتها أمائد بيدها وسارت بها إلى غرفة أخرى بمهدة من للكلان الذي كان فيه أوليد وقالت لها :

- لقد سمعت كل ما دار بينك وبين هذا الرجل الأثيم من

التحدث ، فإنه أعواك على أن أسقي تلك المرأة المسكينة من ذلك الشراب ، وهو يريد لها قشر ولأدى ، فإني أعرف هذا الشراب كما أعرف مقاصد هذا الرجل

ولا شك عندي بأنك لم توافقيه على مراده إلا وأنت واثقة من أنه يريد المراج وله لا ضرر من هذا الشراب ، ولكن الأمر على عكس ما لوعدتك .

فغضبت الخادمة لأنها كانت تحب جان كما كانت تحب جميع

طائفة الخبازين وقالت لها

- سأعود إلى ذلك الأثيم غارمي القرطبين في وجهه وأكلمه بما

يستحق

- بل احتفظي بالقرطبين هذك وتظاهري بموافقتك على ما أراد

واتقني منه يشربه نفسه .

- كيف ذلك؟

دلت أن تصغي تلك النقط من الشراب في كأسه بدلاً من أن
تصغيه في كأس ليرا

- وماذا يعمل هذا الشراب؟

- إن من يشربه يسرح بكل أسراوه ، فإذا شربه هذا الأليم باح
بذنبه وعرف الحاضرون جميع أثامه ، وكل دس من دونه يجزى
عنه بالثقل ، فإذا سقى من هذا الشراب عرف الناس كل بوابه ففته
ألفاً عدو للير .

- إذا فاعلمي يفتناً يا سيدي أن يرا لى تشرب من هذا الشراب
ولكن من يكون هذا الرجل؟ فإني أريد أن أخبر عنه صاحب الحانة
- احذري أن تفعلين . فإنه بطرته ولن يعلم شيئاً من بوابه .
- إذا سلخ الشراب في كأسه وأكتم الأمر .

فأخرجت أماندا ورقن قيمتهما مائتا فرنك ودفعتهما إليهما ، ثم
انصرفت عائداً إلى المنزل

وعند ذلك جلس الجميع إلى المائدة ووضعوا جاك في رأسها
وأمامها طاقة الأزهار

وفي هذه الأثناء دخل اثنان من رجال الشرطة ، وكان أوليد
جالساً بقرب جان ، فأبش أن هدى الشرطيين قدامان بضغى عليها ،
ولكنهما بن بفعل ذلك إلى أن يتم الحمل .

كان الجميع لوحين مستبشرين ما خلا أماندا التي كانت قد عادت
من المنزل وجلست في تلك العرفة التي كانت تراقب منها ما
يسجري ، وهي تنتظر بصراع الصبر أن تنتهي تلك الوليمة وأن يعمل
الشراب عمله بأوليد

وفي الساعة الثالثة فرعوا من الطعام ، وعدّمت الخادمة القهوه

للجميع ، وقد وضعت تقط الشراب في قنجان أوليد وهو يحسب
أنها وضعتها في قنجان جان

حتى إذا فرعوا من شربها وقف أوليد قائم جان التي يحسبون
بها وقدم ألياً الفطير هدية ، فصنق الجميع استحسنوا

ووضع أوليد يده على جيبه ، لأن الشراب كان قد بدأ يؤثر فيه ،
وبدا الحاضرون يندهشون لما رأوه منه ، فلأن عينيه لم احصرن ويات
كميرون السكارى ، فقال له صاحب الفندق - ماذا أصابك يا سيد
لويرس؟

ضحك أوليد ضحكاً عالياً وقال

- إني لا أدعى لويرس لأنها قبلها كما أوهمتكم ، بل إني أدعى
أوليد سولير ، وأنا أهبس من ذلك الزبد الذي عبه في ابن خالي
بول هرمان الذي الشهير

فارتفعت جان حين سمعت هذا الاسم ، ودهش الجميع ،
سموه ولما رأوه من أوليد . . ومضى في حديثه فقال :

- إنكم تعرفون بول هرمان ، فهو صاحب محل كورسرا الشهير ،
وقد قلت لكم إنه ابن خالي .

ولكني كنت كاذباً ، فإن هذا الرجل ليس بطيربي وما هو من أهل
الشرف ، بل إنه صارف حلق قاتل .

ثم فقد عرفته منذ واحد وعشرين عاماً ، إذ التفت على باخرة
مسافرة إلى ميرووك ، وكان عابراً من فرنسا لأرتكابته تلك الجرائم
الضلالت ، فتكّر باسم بول هرمان ابن خالي الذي كان قد توفي ، وقد
كشفت سره قبلت أطلع لي من البان منذ ذلك العهد إلى الآن أن
اسم هذا الرجل الحقيقي هو جاك جيلورد .

هوشت جان مدعوره ونقبت على يد أوليد وقالت جاك
جارود؟ - أهو جاك جارود المتكر باسم بول هومان؟

- نعم ، لقد قتت وأن أعيد ما قتته ، فإن بول هومان المحقق مات
من عهد بعيد ، وهذا الرجل المتكر باسم يدعى جاك جارود ، وهو
الذي قتل رئيسه جول لا برو منذ واحد وعشرين عاماً في معمله في
المووتيل ، وقد سقيته من الشراب الهندي فباح لي بجميع سره ،
كما سقيتك أنت يا ليزا بيرس وستوحين بأسرارك .

مدهشت جان وقالت

- ماذا يعني يا بول؟

- فقلت لها الخادمة :

- إن هذا الشراب الذي أعده لك قد شربه هو دون أن يعلم

- فسم بته أوليد لقول الخادمة وأتم حديثه مع جان فقال :

- إن هذا الشراب الذي سقيتهك إياه سيطلق لسانك بأسرارك

فتوحين أمام جميع الحاضرين أنك لا تدعين ليزا بيرس بل جان
فوريه

- مرتعت جان رعباً عظيماً وقالت ،

- امسكت

- نعم أنت جان فوريه ، التي حاولت أن تقتل ابنتها كما حاولت

أن أسحق رأسك باعجاجة

نعم أنت هي جان الهاربة من سجن كارسون

فصار الجميع في أسره ، وجمعوا ينظرون إلى جان وإلى أوليد ،

أما جان فإنها وقعت وقالت ،

ويج لك أيها الشقي ، فأنت أنقذتني وها أنت تحاول ضاعي !

نعم أيها الأصحاب ، فإني أدعى جان فوريه المحكوم عليها
والهاربة من السجن ، ولكي عوقب بالحرثم التي ارتكبتها جاك
جارود ، وقد سمعت المحكمة من فم هذا الشقي ، ولكي ما هربت
إلا لأبحث عن ولدي وأبي الذي حاول هذا الشاك قتلها

ويج لك أيها الشقي ، إنك اعترفت أمام شهود عدول ، وستبرئني
المحكمة بإقرارك فلا يلوث ولدي بهذا العار .

وأتم إليها الرعاف ، فقد حرمت لأن من أنا ، وما لقمشة من

المصائب ، كما حرمت حقيقة أمري ، فاحكموا عني يا ترو

فقام الجميع إلى جان وصافحوها ، أب أوليد فوه سقط على

كرسي وقد أصيب بنشجات عصبية شديدة

وبعد ذلك فرق الشرطيون الناس عن جان ودأ أحدهم معها فقال

لها

- يا جان فوريه الهاربة من السجن إني أبيض حيث باسم القابون

فقال صاحب الخانة :

- بل يجب القبض على هذا اللص السمين لا على هذه المرأة

الفاصلة !

- واشتدحت حملة الناس ، فحاولوا بين الشرطيين وبين جان ،

وهمس أحدهم في أذنها قائلاً

- أسرعي بالفرار فإنها خير فرصة تفقتم

فهرت جان ولم استطع الشرطيون مقاومة الحاضرين ، ولما أوليد

على حاله

فقال أحد الشرطيين مخاطباً صاحب الخانة .

- لقد صدقت ، إذ يجب أن بعيد هذا الرجل أنواله أمام المحكمة

وحدث ذلك نقلاً أوليد إلى مركبة وساروا به إلى دائرة الشرطة .

ولمّا تفروا الناس دخلت الخادمة إلى الغرفة التي كانت فيها
أمناء فلم تجدوا فيها إذ كانت قد سرعت إلى المصور لإخباره بما
حدث

ولكنها لم تجده في المنزل ، فعادت إلى منزلها وأخبرت فيه تنتظر
عودة راؤول حتى إذا كانت الساعة الثامنة جاءتها رسالة من راؤول
يقول لها فيها إنه وصل على أثر أوليد ، وأنه قد لا يعود الليلة
فذهبت إلى السرير كي نائم ولكنها لم تستطع النوم
نُقل أوليد إلى دائرة الشرطة ووضعوه في غرفة مبردة ، فلما زال
تأثير الشراب أعقبه النوم

وعندما استيقظ في الصباح وجد معه بلانكا على سرير من
الخشب وبجانبه شرطي قد هُش وقال :
- ليس أنا ؟

- إنك في السجن
بذعر دهرًا عظيمًا ووثب من السرير وقال :
- عني محنت ؟

- عند الساعة الخامسة من مساء أمس ، وقد كنت فاقد الذاكرة
فلم يذكر أوليد شيئاً من ذلك ، وكان جسمه مبهكاً فماد إلى
سريره ووضع يده على جبهته فتذكر ما جرى بالأمس لعوده وقال في
نفسه

- لا شك أن الخادمة قد أخطأت بوضعت الشراب في كأس بدلاً
من أن تضعه في كأس جان .
- ويلاه لقد نُصي عليّ قهراً وجب على يدي

وبعد هبة دخل ثلاثة من رجال الشرطة وذهبوا به إلى قاضي
التحقيق ، قُبِلَ القاضي سؤاله فقال له

- ماذا تدعي ؟
- بيار لوبرين ؟
- فحدث القاضي به وقال :
- بل أنت كاذب

فأجاب بلمحة وقحة قائلاً
- إذا كنت تعرف اسمي أكثر عما أعرفه أنا فكيف تسألني عنه ؟
- نعم أعرف اسمك فقلت تدعي أوليد سوبير
- إذا كان هذا الاسم برغيك فقد رغبته لنفسه .

- لا تحاول أن تضللنا بكلام لا يجديك ، فإنك إذا لم تجيبني عن
أسئلتني أجابني عنها بول هرمان
- فارتعش أوليد وقال في نفسه :
- لا شك أنني أكثرت الكلام في تلك الحانة .

ثم قال مخاطباً القاضي
- أرى يا سيدي أنه يوجد سوء تفاهم بيننا ، فإنك تسألني كيف
يكون التهمين فما هي هذه التهمة ؟
- ستعرفها قريباً ، عاجب الآن من بول هرمان بين خالك ؟

- نعم
- إنك تكذب أيضاً ، فقد قلت في حانة الخبازين إن بول هرمان
مات ، وإن هذا الرجل الذي تدعي قرابته متكر باسم هريث بيت
فأيقن أوليد أنه باح بكل مكنوناته وقال :

- إني كنت مسكر حين تكلمت في تلك الحانة فلا أدري ما
قلت

- إذا لقد كنت سكران أيضاً حين تهنت ليرا ييسر بأنها تدعى
جان مورييه الهادية من اللجي؟
- من هي جان فاني لا أعرفها؟
- هي تلك المرأة التي حاولت قتلها بالحجارة كما حاولت قتل
ابنتها بالمدية .

- من يجسر على اتهامي بهذه التهمة؟
- الدين اعترف أمامهم ، هذا ليست انطق بذلك لشرب الذي
أغويت الخادمة على أن تسقيه لتلك المرأة ، مقتك إياه فبحث بكل
أسرارك والآن قل لي أين تقيم؟
- نعم أوفيد ليضتيه مفضياً وقال .
- لقد أسأت إلي نسي في سبيل خدمة سواي وأعطيت خطأ لا
أخفئه لنسي

- ناهم الآن أنني أقيم في شارع كليشي عنة ١٧ ، ولا تسألني غير
ذلك فإني لن أجيب .
- إن بول هرمان الخصمي قد مات وإن لشكر باسمه الآن يدهي
جاك جارود أليس كذلك؟

- فهد أوفيد كتبه رسم يجب ، فأسر الفاضي بإدخاله إلى اللجي
وفي المساء جاء رئيس الشرطة إلى قاضي التحقيق وقال له -
- هل تريد أن تذهب معك أوفيد سولير؟
- ذلك لا بد من ، وسأذهب عند منتصف الليل كي لا نلفت
الأنظار فاستعد

•
كان بول هرمان قد ذهب في تلك الليلة بناء على البريقة إلى
سول أوفيد سولير وللاول في أثره ، فدهش إذ لم يجده في منزله ،

وحبر ساعة حظه يعود ثم انصرف .

وكان ذلك المنزل في جهة مقعده ، فغشم راؤول هذه المرحلة
وكسر باب المنزل ثم دخل إليه فوجد الصديق معدة لحملها إلى
بومس أيرس ، ورأى هناك درجاً استلقت نظره فكسره ووجد فيه
كثيراً من الأوراق المالية فتركها به ، وبحث في محفظته فوجد فيها
السديس اللذين روّعهما واعتراف أماندا بالسرقه وشهاد المستشعي
أثبتة وفاة بول هرمان .

فأسرع ووضع هذه المحفظة في جيبه ، وقد فرح بها فرحاً لا
يوصف ، ولركن إلى الفرار .
وبعد هبة أويل فاضي التحقيق رئيس الشرطة وبعض أهله
فوجدوا الباب مكسوراً .

وبعد البحث وجدوا لأوراق المالية لا تزان في موضعها فعلموا
أن كاسر الباب لا يريد السرقة ، وحسبوا أنه شريك لأوفيد في
جرائمه ، وأنه جاء تلك ما عده من الأوراق التي تزيد التهمة ،
فحاصروا شبيعتهم بول هرمان وضبطوا جميع ما كان موجوداً في
المنزل وانصرفوا

وبما كان أماندا حاله في سريره وهي شديدة الاضطراب
دخل عليها راؤول وقال لها :
- هلتي وأسري لذهب إلى إني المصور ضد عثرت بالأوراق
- أوراقنا؟

- نعم وأضيبي إليها الشهادة المؤيدة بوفاة بول هرمان فعد
سرقها من منزل أوفيد وهو لم يعد إليه إلى الآن
فذلك لأنهم قبضوا عليه ثم حكمت له بالإعدام وهي تلص

ملابسها ما اتفق لأوليد في تلك الحانة ، وسار الاثنان إلى منزل
المصور

كان المصور ينتظر عودة رايون بفارغ الصبر وقد جلس إلى
طاولة يكتب كتاباً إلى جورج داربي

وقد نادى حملاً كي يرسل إليه معه ذلك الرسم الكبير الذي
صنعه لأجنه ووضع في صندوق كبير رقبة له من الطرازي

وجاء الخيال وحاول وضع المواد الخشبي فوق الصندوق فعال

به

- دمع هذا الجواد على الأرض ، فأحمله بيدي .

فرفع الخيال الصندوق وقدر الاتحاق أن يقع ذلك الصندوق من
يده على الجواد فالتكر وتبعثر ما في جوفه من الأوراق .

أسب المصور أسماً شديداً ، لأن جورج كان يحتفظ بهذا الجواد
منذ حياته لاحتفائه أنه هدية من أمه .

لم يكثر لتلك الأوراق ، فأرسل الصندوق مع الخيال ، وعاد
إلى ذلك الكتاب الذي كان يكتبه إلى جورج ، وهو ينضم تهنته
بلوغة الخامسة والعشرين من عمره ، وأنه سيرورة في الساعة الثامنة
لإخباره بأمر خطير بمناسبة بلوغة هذا السن

وبعد أن أتم الكتاب وأرسله ، نظر إلى الأوراق التي خرجت
من بعض الجواد وقال .

- ترى ما هذه الأوراق ؟

ثم جعل يبحث فيها فرأى قطعاً مختلفة من الحرائد ، إلى أن
عثر بورقة ارتجف لها واصفر وجهه ، إذ رأى عليها توقيع جاك
جارود ، فقال في نفسه :

- ربك ! أيمكن أن يكون هذا الكتاب هو نفسه الذي كتبه إلى
جاك وحبت أن النار تهت ؟

ثم أخذ تلك الورقة وقرأ فيها بصوت يهدج ما يأتي
« حيتي جاك ... »

« لقد أخبرتك أمس بأنني أعد لك ولوديك وسائل استقبال
والآن أخبرك بأنني صممت هذا المستقبل بطريقة سرية ، فإنني عدا
سأكون من الأعياء وسأظفر باختراع يكون لي منه أرباح عظيمة
وبعائتي ألف فوطك لتبذل هذا الاختراع . »

« تشجمني يا جاك ولا تحشي عاراً ، لأن ولدك سيكون
ولدي ، ولما أنتظر في الساعة الخامسة عشرة مساءً هذا جسر
شاونتون فتهرب إلى الخارج وتصبح من الأعياء . »

« أولاً نأسي لفراق هذا العمل الذي طردوك منه ، واحضري
لتعطيني مع من يحبك أفضل حبش ، فإننا سم تحضري دفعتي إلى
الهلل ، ولكنك ستعطيني . »

« أيلول سبتمبر سنة ١٨٩١ »

« جاك جارود »

فصاح المصور صيحة انتعاش وقال :

- هذا هو البرهان الجلي الذي يبحث عنه ، وستثبت به براءة
جاك لا محالة

وعند ذلك قرع الباب ودخل دشمان فأخبره بالتفصيل على
سواجر ويسرقة الأوراق المثبتة وفاة بون هرمان وبأن والد ماري إنما
يُدعى جاك جارود .

كان اضطراب المصور عظيماً ، إذ لم يبق لديه مجال يشك ،

فنادى خادمه وقال له

- اركب مركبة وأسرع بها إلى لوسيان لآبرو في معمل كورونوا
وقل له أن يأتي إلي في الحال لشأن خطير

وبعد ساعة أجاب لوسيان وهو مضطرب فقال له

- ماذا حدث؟

- لقد ظفرت بقاتل ايك بفضل هذا الفتى الذي أصبح امرء ،
وأشدر إلى الأول -

- من هو؟

- سأحضره قريباً ، والآن هلموا بنا جميعاً إلى منزل الخاصي
جورج داريه .

كانت لوسي قد تاملت إلى العافية ، وقد انتظرت حلاً في
تلك الليلة التي كشف فيها أوليد امرأها فلم تحضر ، ولذا لم تعرف
الرقد في تلك الليلة . وعند الفجر أرسلت من يسأل عنها في الخبر ،
فعاد إليها بأخبار مهمة مدخضها أن لبرا بيرس متكرة باسم آخر ،
وأنها متهمة بأنها كانت في السجن وهرت منه ، وأنهم لا يعلمون
أين هي الآن ويخشون أن تكون في السجن .

فكادت المنكودة تغي بأساً وقالت في نفسها

- وبأنه كيف للسبيل إلى مساعدة هذه المرأة المصونة التي
كانت لي بمثابة أم ، فلقد كان لي رجاء بلوسيان لأنه يحبها أيضاً فلم
يخف في خبر جورج داريه ، فإذ لبرا أخبرني أنه أشعر عليها
وعند ذلك تسرعت إلى منزل جورج داريه وأخبرته بما اتفق
بالأمس لبرا بيرس ، فاضطرب جورج وقال .

- أهي تلك المرأة التي جاعني بالملف المفقود؟

- نعم .

- وأنت تدعين الآنسة لوسي ، أليس كذلك؟

- نعم يا سيدي

مضطرب دلائل الاشتغال على جورج ، إذ يقن بأن بوس هرام
قد وشى بلبرا ، ثم نظر نظرة حيرة إلى لوسي وقال لها

فجيت علي مسألة يا سيدتي ، فهل أخبرتك تلك المرأة
بخطبة اسمها؟

- لقد أخبرتني بأنها تدعى ليزا بيرس

- إنها كانت متكرة بهذا الاسم ولا يمكن إيجادها الآن إلا في

السجن

- لقد أزعجتني يا سيدي ، فهل كانت مجرمة حقاً؟

- لا أعلم ! ولكن لبرا بيرس حكم عليها منذ واحد وعشرين
عاماً بالسجن الفريد ثم هربت من السجن ، أما اسمها الحقيقي فهو
جيف لورثيه

فصاحت لوسي صيحة بأس وقالت :

- رياء إنها أهي ، ولكن حكم عليها ظمناً وهدراناً ، وقد

أخبرني لوسيان نفسه أنها عوقبت بدمية سواها

وبلده فقد عرفت الآن سبب حنوه علي ، فإنها أهي ! وما
أصح الآن باتيات برادتها؟ رحماك يا سيدي ، إنك من مشاهير
المخامير وقد عرفت بالقدر والشعفة مره إلي أهي

وعند ذلك فتح الباب فجأة ودخل منه لوسيان وإتبع
ودتسان ، فدهش جورج لعدومهم معاً ، ودن لوسيان من لوسي
وعصمها إلى صدره وقال .

- لقد حق لنا أن نأمل

فقال جورج

- لقد جاءت إليّ لتحريرني يا صديقي ليروا

فقال المصور بكينة

- لا بأس فسنجدها .

- فحاولت نوسي عند ذلك أن تعرج ، ولكن المصور اعترضها

فانقلب

- ابقي يا أنستي لتكوني شاهدة على ما سيكون

ثم التفت إلى جورج وقال له بملء الفم .

- لقد بدعت اليوم يا بني الخامسة والعشرين من صبرك ، وهو

اليوم الذي يجب عليّ فيه تنفيذ رغبة ذلك الكاهن الجليل الذي

ربّك فخذ هذا الكتاب واقرأ بصوت عالٍ ، وأنتما يا نوسي ويا

لوسيان أصغيا .

فصاح جورج الغلاف وقرأ ما يلي :

- أيها الابن الحبيب .

وفي شهر أيلول / سبتمبر سنة ١٨٦١ جاءت إليّ امرأة تحمل

طفلاً لا يتجاوز الثالثة من العمر ، وكان الجسد يطاردون هذه المرأة

المكروهة لاتهامها بثلاثة جرائم وهي تدعى جان فورييه

أعني أن هذه المرأة أُلصقت لي بريها وبولدها أنها بريئة ،

وكانت الحقيقة تتمثل في عينيها وفي سرّات صرتها ، فوثقت من

صددها ولا تزال وثقاً إلى الآن .

فربك ما حيلني ! إن جميع الأدلة كانت تؤيد اتهمته عليها

فحكّم عليها بالسجن المؤبد

«على أنني لا أزال معسداً ببرئتها بالرغم من هذا الحكم ،

وعندي أنها لم تكن مجرمة بل كانت شهيدة خطا القضاء . وما

تمكنت من نفعها إلا بتبريتي ولدها وبنيته باسم جورج فورييه»

فصاح الجميع صيحة اندحاش لا سمعوه ، ولعل جورج .

- فما ابن جان فورييه وأخو نوسي؟

فأسرعت نوسي إلى معانقته وهي تقول : يا أخي !

كانت دموع الحاضرين حراً لهذا الشهيد ، وصمّ جورج أخته

إلى صدره وهو يقول :

- نعم إننا ولدا المحكوم عيناها ، وهي بريئة في عيونا ولكنها

متهمة في عيون الناس ولا سبيل إلى تبرئتها وأسماء

فأخذ يمين بيده وقال له

- كلاً . . فإن براهين برائتها لديّ ، فخذ واقرأ

ثم دفع إليه كتاب جاك جارود إلى جان ، فلتّ قراء جورج

كاد يطير سروراً وقال :

- إنه خير برهان يثبت البراءة فلن وجدته؟

- وجدته في بطن جوادك الحشوي

- نعم لقد ذكرت الآن أنني ربما كنت في عهد حدثتي ألاعب

هذا الخواد ، وقد كان سقط مني وشق بطنه ، فجمعت أحشائه بأوراق

مختلفة ، ثم رأيت أنني قد كتّرت بيدها ورقة وألقيتها معطية إلى

الأرض فأسرعت إلى التقاطها ووضعتها في بطن خواد

ولكن ما حيلنا الآن في جاك جارود وهو من الأموات؟

- بل هو حي يروق وهو يدهي بول هرمان .

- ما الذي يثبت ذلك؟

- لا بدّ أن يكون لديك خط بول هرمان مقابل يده وبين خط

فدعس جورج ووجد الخطير متصلاً ، وكان دعر لوسيان شديداً فقال

- ويح لهذا السماء ، إنه كان يعرف من أنا ويحاول أن يروحي أيتته وهو ماتل أبي ، ثم إننا لا نستطيع إلتائه لمضي المدة القانونية بعد ارتكابه الجريمة

فقال إتيين

- إنه إذ سمع من عقاب جرائم المورووميل فهو لن ينجو من عقاب محاولته قتل لوسي وجان

فقال جورج

- لنبحث الآن عن أبي ، فمالذا جرى لها؟

فقال لوسيان -

- إننا سنجدها وستكون معنا جميعاً

- وماذا يصنع بيول هرمان؟

فقال إتيين

- أأعمل بتصحي؟

- نعم

- إذا جلسوا معي وخرج الحصاة من مرق جورج ، فركبوا

مركبتين ، وأوقف إتيين مركبته عند بائع بيع عاتسرى مع ورقنين عليها نقمة الحكومة .

- ١٧ -

كانت جان بعد أن مرت من تلك الحانة قد ذهب هاتمة على وجهها ، وقد أضاع الدعر رشدها ، فلم تزل تسير حتى وصلت إلى

مكان مقعر ، وهناك جلست على حاجر قحمت رأسها بين يديها وجعلت تقول

رباه ! لقد قضى الأمر وقدر لي أن أأرق سبي إلى الأبد

ولكن جاك جنود لا يزال حياً كما قال أوليف ، وهو متكر باسم بيول هرمان ، وهذا الرجل لا يمكن أن يكون كاذباً فإنه ما باح بمكومات سره إلا بعد أن شرب ذلك الشراب وهو قد قبض عليه دون شك وسيعلمون أنهم حكموا عليّ خطأ ونفسون براءتي فأرى ابتي وأبحث عن ولدي

نعم إن جاك قد يكون عرفت بالأمر وأرسل إلى القمار وعند ذلك جعلت تكي بكاءً كبيراً

ثم أعني عليها فلم تستقم من إغمائها إلا في الصباح ، وأحدث تسير هائمة كاحمامة تحشي سهم الصيد فلا تدري أين تستقر ، حتى وصلت إلى نهر السين ، وهناك خطر لها خاطر رهيب جعلت على أثره تسروح بين حب الموت واستبقاء الحياة ، إلى أن تغلب عليها حب ابنتها مرجمت من الانتحار ورغبت في الحياة رغبة الفتطيل ، ذلك أنه خطر لها أن تذهب إلى جاك جارود .

تمت شطر باريس ، وهناك سألت عن مرل بيول هرمان فاهتدت إليه وطرفت بابه وطلب مقابلة صاحبه باسم أوليف سوبير ، فلم يجد جاك بدأ من مقابلتها وقد شغل باله من نوم هذه المرأة باسم شريكه ، فأذن بإدخالها إليه ، حتى إذا رآها ترجع إلى الوراء مذعوراً وهو يقول

- أجاه يوم التشور والبحث من القبور .

فما جان فإنها متت إليه مساطة وقالت له بصوت أجش

- لم يبقَ شيءٌ في قلبك في تلك المبروت قتلي بلليل دهرك الآن حين
رأيتي في قيد الحياة

فرأى جاك أنه لا بد له من الثبات في هذا الموقف فتحملك
نفسه ، وقال :

- أنت هنا أينما المشقة ، ماذا جاء بك ومغنا تريدان ؟

- ويحب بك أيتها السمكة ، أتخسر أن تسألني عما أريد بعد أن
صمتت من أنت ؟

فهز جاك كتفيه وقال ،

- لا شك أنك مجنونة !

- لقد جئت من طوبى بسبك ، وقد سميت بعد ذلك وأنت

أنا فلك الحساب يا جاك جارود ،

لتكلف جاك الاندخال وقال :

- ما هذا الاسم ؟

- هو اسمك

- بل إنني أدعى بول هرماندا ، سلا شك أنك مجنونة يا ليرا

يريس

- وأنا لا أدعى بهذا الاسم هانت تعلم يقيناً أنني أدعى جاك

فورتيه ، وكفارك كدباً فقد عرفني هند الهامي جورج تاريز وحرمت

أنني تلك الشهيدة التي هوفت بديك

- اسكني

- كلا لن أسكن ، فإنهم بطردوسي ليميلوني إلى السجن ،

ونكبي أيتك إليك ولن أحرج من هنا إلا وأنت مسعي إلى ذلك

السجن ، وهذا لا بد لك أن تعترف بأنك الجاني وأنني البريء

محاول جاك أن يجيبها ، ولكن أيتها دخلت في تلك اللحظة
لاشعة وقالت

- ماذا حدث ؟

ماجلها أبوها فائلاً

- عودي يا أيتي إلى غرفتك ، فإن هذه امرأة مجنونة وهي تنذر

وتتوعد

- إذا سألني الخدم بظردوها ثم دت من جاك فقلت لها

- من أنت ؟

- سني أباك

- ماذا تريدان ؟

- أريد العمل وأريد أن يقص على هذا الرجل معي

فقال لها أبوها :

- أترين يا أيتي أنها مجنونة ؟

وقالت جاك

- أرايت يا سيدتي أنه لا يجوز أن يستغيث من جنوني

فدخلت ماري وقالت :

- لماذا لا تفرج الجرس يا أيتي ؟

صالت لها جاك :

- ذلك لأنه عاكف

فحاولت ماري أن تفرج الجرس ولكن أيتها أسرع إلى اعتراضها

وقال لها

- كلا لا تفعلني

- لماذا ؟

فأجابته جان قائلة :

- ذلك لأنه لا يريد أن يعلم الناس أن بول هرمان هو جاك جارود اللص السارق .

فجمد الدم في عروق جاك وقال لها :

- اسكتي أيتها الشقية رحمة يا بتي على الأقل !

- أيها الشقي ! ألعنك ورحمتي ورحمت ابنتي ! إنك سفكت دم جبول لأبرو وأحرقت معمله وسرقت ماله واغتراه ، ثم ألقيت بي تلك التهمة الهائلة ، فسجنت بها واحداً وعشرين عاماً بعيدة عن ولدي وابنتي ؟

وقد تركتهما طفلين وضعيفين ، ثم إنك تكثرت باسم رجل غريب ، وعدت إلى هذه العاصمة بعد أن أثريت بالهجرانم وجعلت تستخدم أموالك للإصرار بابنتي فسحقت قلبها وحاولت قتلها . ولم يكفك ذلك حتى قطعت رزقها ، ثم تريد مني بعد ذلك أن أسكت ؟

وكانت ماري تسمع هذه الأقوال وتظر إلى أبيها قشري من اضطرابه ما يدل على صدقها ، حتى إذا ألقت جان حكايتها وأظهرت حقيقة أمر هذا السفاك غطت ماري وجهها يديها استحياء وقالت :

- رياء .. إن ذلك هائل فظيع .

وعند ذلك هاج جاك هياج الهائلين وقال :

- أيتها الشقية ! إنك أثبت لشهدة بتي في منزلي وستلقين فيه الموت اللذيع . ثم انقضى عليها محاول غثها .

وعند ذلك قرع الباب فتراجع مذعوراً ، ودخل الخادم فأنبا بقدوم زائرين ، فدفع جان إلى غرفته وأقبل إليها ، ودخل إذفاك راؤول

دشمان وإثنين المصور ، فالتحتي إثنين أمامه وقال له :

- أخشى يا سيدي أن تكون قد أزعجتك بهذه الزيارة على غير موعد ، فإني أرى وجهك مصفراً ويديك تضطربان ، فهل أنت مريض ؟

- نعم ، إني مصاب بصداغ أليم ، فأهلاً بك وبهذا الزائر الجديد .

فقال إثنين :

- إنه السيد راؤول دشمان . وسأخبرك يا سيدي عن السبب في هذه الزيارة ففضل بالجلوس لتحدث .

فجلس جاك بإزائه وبدأ إثنين الحديث فقال :

- ألم تخرج يا سيدي في مدرسة الصنائع والفنون في شالون ؟

- نعم .

- ألم تسافر بعد ذلك إلى سويسرا ؟

- نعم .

- وقد أقمت فيها عامين ؟

- نعم .

- أريد أن أسألك عن رجل هو اليوم في عداد الأسوات كان

يشغل بصنعتكم وهو يدعى جاك جارود فهل عرفته ؟

- جاك جارود ؟

كلاً . إني لا أذكر لني عرفت رجلاً بهذا الاسم ، ولكنني أذكر

لني سمعت بهذا الاسم منذ عهد قريب ، إن هذا الرجل كما قرأت في الصحف كان يشغل في معمل جبول لأبرو ، وقد اشتهر بشهاته يوم احتراق هذا المعمل .

- هو ذلك يا سيدي ، فهل عرفت هذا الرجل ؟

- تلاً -

- هل أنت والحق بما تقول؟

- كل الثقة .

- وعندما سافرت إلى أميركا ألم تسمح بهذا الرجل؟

فزاد الشك في قلب جاك وقال :

- كيف أسمع به وهو ميت؟

- ذلك لأن كثيرين من الناس يعتقدون اليوم أنه لا يزال حياً ، وأنه

خرج من ذلك المعمل المحترق بعد أن سرق اختراع صاحبه وما كان فيه من ثمال ويعد أن قتل صاحب ذلك المعمل أيضاً .

فابتسم جاك وقال :

- إنها خرافة قديمة ، لأن الذي قتل لايرو امرأه حكم عليها بالسجن المؤبد .

- ولكن هذه المرأة تدعي أنها بريئة وأن لديها كشفاً من جاك جارود نفسه يثبت براءتها .

- إن ما يدّلك على فساد هذا الزعم أن هذا الكتاب لو كان موجوداً لأظهرته يوم المرافعة؟

- بل ما أقوله لك هو الحقيقة بعينها فإن الكتاب موجود .

فلم يسمع جاك إلا الاضطراب بالرغم من سيطرته على نفسه ، وقال :

- كيف وُجد هذا الكتاب وأين؟

- وُجد في بطن جواد خشبي .

- إن ما تقصّه عليّ يشبه الروايات الموضوعة ، فاسمع لي إن لا أصدقك .

- إذاً ، فانظر هذا هو الكتاب .

ثم قال له :

- أسمح لي أن أقرأه أمامك؟

- وما يهمني من كل ذلك؟

- سوف تعلم .

ثم وضع على المائدة ورقتين عليهما لغة الحكومة ، ونظر إليهما جاك فقال :

- ما هذا؟

- كما ترى .

- نعم ، ولكني لا أفهم؟

- سوف تفهم لأننا سنبحث في شؤون مالية ، وأنت من الماهرين

في الحساب يا سيدي ، فكم تبلغ فائدة مائتي ألف فرنك في مدة واحد وعشرين عاماً؟

- إنها تبلغ ثلاثة المصنف الأصل .

- إذا فأنت مدّين بمئتمائة ألف فرنك للموسيان لايرو وهو المبلغ

الذي سرقته من أبيه سنة ١٨٦١ .

- إلي أدعى بوله هرمان ، وأنت تهينني؟

- بل إنك تدعى جاك جارود ، وأنت لست سفاك هذه هي شهادة

المستشفى التي تثبت وفاة بول هرمان ، وستناقشك المحكمة الحساب عن ذلك .

لما الآن فيجب أن تدفع مئتمائة ألف فرنك .

فهاج جاك كالصاعقة وقال :

- لا مجال لديّ للدفاع عن نفسي ، وبلاء لقد سقطت إلى

الحضيض وسقطت معي ابنتي البتة .
 - ذلك متوط بك ، قادع لئال في البدء وسوف نرى -
 فديب الرجاء في قلب جاك وقال :
 - ليس لي مال هنا .
 - بل إنك قبضت اليوم أكثر من هذا المبلغ لتعطيه إلى ذلك الأثيم
 أوليفر سوليفر .
 فلم يجد جاك سبيلاً للمقاومة ، وأخرج من درج مكتبه ورقاً مالياً
 بهذه القيمة ودفعها إلى إيتين .
 فأخذها المصور وقال له :
 - لقد بقي عليك أن تكتب على هذه الورقة ذات التمغة ما أمليه عليك .
 فامتثل جاك مكرهاً ، وأملى عليه المصور ما يأتي :
 - أنا المولع أدناه ، جاك جارود ، أعترف بحضور إيتين كاستل ،
 وراؤول دشعان . .
 ثم توقف عن الكتابة قائلاً :
 - ولكنك تسألني أن أقر بجرمي وأعترف بذنوبي ، وذلك يتلهم
 شرف ابنتي فلن الفعل .
 فمشت ماري إليه مشياً بطيئاً ، وقد أومعتها هذه الحادثة فبانت شبه
 النائم نوماً مذهلياً وقالت :
 - بل اكتب يا أبي ؟
 فركع أبوها أمامها وسالت الدموع من عينيه وقال :
 - إنهم يريدون ثلم شرفك يا ابنتي !
 وعاد المصور إلى الإملاء فكتب جاك ما يأتي :
 - أعترف أنني لست لئال / سبتمبر سنة ١٨٦١ كتبت إلى جان

فورتيه هذا الكتاب للموقع باسمي والموجود في حلي .
 «وأعترف أيضاً أنني سرقت في تلك الليلة مائتي ألف فرنك من
 صندوق جول لاير و سرقت اختراعه وقتله وحرقت معمله .
 «وأعترف أنني أغريت أوليفر سوليفر بقتل لوسي فورتيه وأنها جان
 فورتيه الشهيرة باسم ليزا بيرين بائنة الخبز .
 وعند ذلك سقط القلم من يد جاك التي كانت ترتجف .
 فتح الباب فجأة فدخلت جان فورتيه من الغرفة التي كان حبسها
 فيها ، وقد وضعت يدها على عنقها وقالت :
 - ليعترف أيضاً أنه حاول اغتني منذ هنيهة أمام ابنته .
 فذعر جاك ودعش إيتين ، ردت ماري من أبيها وقالت له :
 - اكتب يا أبي . فكتب ما أرادته جان ، وتم بذلك الاعتراف ،
 فأمره إيتين أن يوقع على اعترافه .
 حتى إذا امتلأ أخذت ماري منه تلك الورقة فدفعتها إلى جان
 وقالت لها :
 - هذا هو برهان براحتك يا سيدتي .
 ثم التفتت إلى أبيها وقالت :
 - ليعترف الله لك يا أبي ، أما أنا فإني ساموت لحسن الخط .
 - ثم خرجت من تلك الغرفة التي ساد الصمت فيها ، ولم يسمع
 غير تنفس جاك الذي كان يخرج من صدره كالزفير .
 *
 وإنهم في هذا الموقف إذ جاء لوسيان وعطيتته لوسي والحامي
 جورج دارييه وقاضي التحقيق ورئيس الشرطة وبعض الجنود بفرودن
 أوليفر سوليفر .

فاتطرحت لوسي بين ذراعي أمها وهي لا تصدق أنها تراها ، ودنا
رئيس الشرطة فوضع يده على كتف جاك وقال له :
- إني أقبض عليك باسم القانون .

ثم التفت إلى جان وقال لها :

- أمّا أنت يا سيدتي فقد أدّن لي بإطلاق سراحك واستظهر براءتك
الثامة في أقرب وقت بعد أن ظهرت لنا أدلتها .

ثم أخذ من إثنين ذلك الكتاب الذي كتبه جاك إلى جان .

وهنا عرفت جان أنّ جورج ولدها ، فكان سوفقاً مؤثراً ، أسأل
الدموع من العيون .

وبعد عنبهة ساروا بأوليد وجاك إلى السجن ، وقد مروا بالقاعة
العمومية فوجدوا هاري مبنة على مقعد وقد حملت بيدها ورقة
مفتوحة كتبت فيها ما يأتي :

«إلى لوسي قورتيه ..»

«لقد أسأت إليك كثيراً ، ولكنني أحبته جداً وقد انتقم الله لك
غير انتقام فعلي لأجلي واغفري لي»

«ماري»

بعد ذلك بثلاثة أشهر حكم على جاك وأوليد سوليفر بالأشغال
الشاقة .

غير أن جاك لم يتحمل هذا السجن فوجد وسيلة للالتحارب
فالتحرر .

ولما تمت براءة جان عقد زواج لوسيان على لوسي وعاشا أعنا
عيش مع جورج أعينها وأمها جان ، ولقيت تلك الأم المنكودة من
الهناء مع ولديها ما أساعد مرارة تلك السنين العظيمة .